في علم النفس

تحليل الشخصية

تأليف

الدكتور محمد خليفة بركات

بكالوريوس ودكتوراه فى علم النفس (جامعة لندن)
زميل بالجمعية البريطانية لعلم النفس
مدرس بمعهد التربية العالى للمعلمين (جامعة هليوبوليس)

التزام الطبع والنشر

مكتبة مصر

شارع كامل صدقي باشا

دار مصر للطباعة
... شارع كامل صدقي باشا (الفجالة)

في علم النفس

تحليل الشخصية

تأليف

الدكتور محمد خليفة بركات
بكالوريوس ودكتوراه فى علم النفس (جامعة لندن)
زميل بالجمعية البريطانية لعلم النفس
مدرس بمعهد التربية العالى المعلمين (جامعة هليوپوليس)

التزام الطبع والنشر
مكتبة مصر
شارع كامل صدقى باشا

دار مصر للطباعة
شارع كامل صدقى باشا (الفجالة)

(الطبعة الثانية)

مقدمة الكتاب

إن ما لمسناه من نقص فى المكتبة العربية للكتب العلمية فى علم النفس جعلنا نفكر فى المساهمة بنشر أحدث الآراء فى هذا العلم الهام فى صورة سلسلة كتب سميناها : « فى علم النفس » .

وقد بدأ هذه السلسلة زميلى الأستاذ عبد المنعم المليجى فى كتابه « النمو النفسى » وتبعه زميلنا الدكتور مصطفى فهمى فى كتابه « الدوافع النفسية » .

وهذه هى الطبعة الثانية من الكتاب الثالث من السلسلة عن « تحليل الشخصية » .

والغرض من هذا الكتاب هو إشباع رغبة القراء الذين يهمهم دراسة موضوع الشخصية وأركانها الرئيسية ، حتى يمكنهم فى ضوء هذه الدراسة أن يعملوا على تحسين أساليب سلوكهم وسلوك غيرهم على أساس فهمهم لأنفسهم ونفوس غيرهم .

فالحديث عن الشخصية وتحليلها والحكم عليها أمر مألوف يجرى على كل لسان ، ولكن من الخير أن يدعم هذا الحديث والتحليل وأن تبنى هذه الأحكام على أسس علمية تشمل تحليل جميع عناصر الشخصية ، ليكون الحكم أقرب إلى الصحة وأدنى إلى المعقول .

وقد بدأت الكتاب بتحليل للتعاريف المختلفة للشخصية ثم استنتجت منها التخطيط العام الذى اتخذته هيكلا للكتاب ، وتناولت بالتحليل أركان

الشخصية ومكوناتها مبتدئاً بالنواحى الجسمية ثم النواحى العقلية ، ولتوضيح التفاعل المستمر بين هذه النواحى أفردت فصلا خاصا لديناميكية الشخصية ناقشت فيه اصطلاحات الغرائز والدوافع الفطرية والمكتسبة وفصلا آخر للاشعور والجهاز النفسى وأهميتهما فى تفسير السلوك السوى والشاذ ، وحرصت على الإبقاء على الاتجاه الحديث فى علم النفس الاجتماعى الذى يعتبر الشخصية محصلة لعوامل الفرد وعوامل البيئة معا ، ولذا أفردت فصلا خاصاً لأثر البيئة فى تكوين الشخصية .

وقد اختتمت الكتاب بفصل عن تكامل الشخصية وأهمية النظر إليها كوحدة لا تتجزأ رغم ما قمت به من تحليل إلى عناصرها الأولية ، وتبعت ذلك بفصل عن الناحية التطبيقية لمن يهمهم فعلا طرق تقدير الشخصية والحكم عليها . .

وقد حرصت خلال الحديث عن النواحى المختلفة على أن أوضح فى تأكيد وإيمان تداخل نواحى الشخصية وتفاعلها المستمر بعضها مع البعض بحيث يصعب الفصل بين ما هو جسمى وما هو عقلى أو ما هو معرفى وما هو مزاجى ، ولم يفتنى أن أوضح هذه الحقيقة بالأمثلة المختلفة . فالذى يحدث التميز والاختلاف بين الشخصيات ليس مجرد وجود صفات معينة ، وإنما الطريقة التى ينتظم بها تكوين هذه الصفات وتفاعلها مما يخلق تلك الصفة الانفرادية الهامة التى تجعل من كل شخصية وحدة ، والتى تؤدى إلى عدم وجود شخصين متشابهين شبهاً كاملا على الإطلاق .

ولعلى أكون قد وفقت فى تقديم بعض العون إلى طلاب علم النفس ، وزملائى من الآباء والمدرسين والإخصائيين الاجتماعيين وكل من يهمهم

دراسة علم النفس ، بما يمكنهم من القيام بدراسة الحالات النفسية لمن يتعاملوا معهم سواء كانوا من الأطفال أو الكبار ، ومن العاديين أو الشواذ ، وسواء كان ذلك فى المنزل أو المدرسة أو المصنع أو المستشفى أو أى مؤسسة اجتماعية مما يُحتاج فيها إلى الاسترشاد بضوء علم النفس .

وقد عنيت فى هذه الطبعة الثانية للكتاب باستيفاء بعض الموضوعات التى ظهرت مختصرة فى الطبعة الأولى ، كتوضيح معنى الذكاء وأهمية عاملى الوراثة والبيئة فى الشخصية . كما أكدت أيضا فكرة ديناميكية الشخصية ، وأثر الدوافع النفسية الشعورية واللاشعورية فى ذلك .

وقد رأيت أن أجمع مراجع الكتاب كلها فى نهايته بعد أن كانت موزعة بعد فصوله المختلفة لمنع التكرار فى ذكر هذه المراجع .

ولعل الكتاب فى طبعته الثانية هذه يحقق ما قصدناه من تحسين ونمو لموضوعاته والله ولى التوفيق .

الروضة فى مايو ١٩٥٤ — محمد خليفة بركات

الفصل الأول

تعاريف الشخصية

مقـدمة :

يرمى علم النفس العام إلى دراسة ظواهر الحياة العقلية وأنواع السلوك المختلفة التى تنتج من تفاعل الـكائن الحى مع بيئته المادية والاجتماعية ، ويتبع فى ذلك الطرق والأساليب التى تساعده على معرفة الصفات النفسية التى يمكن تصنيفها ويسهل إرجاعها إلى قواعد أو قوانين عامة ، شأنه فى ذلك شأن أى علم من العلوم . ولـكن مهما توصلنا إلى كشف تلك الصـفات وخصائص السلوك العامة للعقل ، فإنه لا تزال أمامنا ظاهرة عامة أخرى وهى : صفة الانفرادية ، تلك الظاهرة التى يتميز بها كل كائن حى عن سواه من الـكائنات ، والتى تجعل منه وحدة مستقلة مختلفة عن باقى الأفراد من أبناء جنسه رغم ما يوجد بينهم من تشابه واتفاق . فـكل إنسان من حيث كونه ظاهرة وحيدة متميزة لا تتـكرر أبداً على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبهاً كاملا فى أى مكان ، يعتبر من هذه الوجهة بعيداً عن مجال البحث العلمى الذى يجعل مهمته استخلاص القواعد العامة ، والذى تتضاءل أمامه أهمية تلك الظاهرة الانفرادية الهامة .

وقد أدى إهمال هـذه الفردية فى علم النفس إلى اتهامه بالقصور ، إذ أنه — كما قلنا — يضع القواعد التى تنطبق على العقل والسلوك بصفة عامة دون أن يأخذ فى الاعتبار تلك التفاصيل الدقيقة التى تميز كل فرد عن غيره تمييزاً تاما .

وقد يوجه هذا الكلام لكل العلوم التي تنهج هذا النهج في البحث العلمي، ولكن علم النفس أكثر تعرضاً لهذا الاتهام بالقصور ؛ لأن موضوعه هو الكائن الحي وخصوصاً الإنسان الذي تبدو فيه ظاهرة الانفرادية بوضوح وجلاء . وقد فطن لهذه الحقيقة عالم النفس الألماني ڤونت (Wundt) مؤسس علم النفس التجريبي ، والذي يعتبر من قادة علم النفس الفردي أيضا حيث قال:

« ليس في علم النفس قانون إلا رأينا فيه أن الحالات التي تشذ عن القانون أكثر عدداً من الحالات التي ينطبق عليها » .

ومن أجل ذلك نجد أن كثيراً من الاتجاهات الحديثة في علم النفس قد تركزت في بحث الفروق الفردية ، وأصبحنا نجد لعلم النفس فروعا تهتم بها مثل « علم نفس الفروق الفردية » ، و « علم النفس الفردي » و « علم النفس التحليلي » . كما نجد أيضاً فروعا تهتم بالصفات الطائفية وأنماط السلوك المختلفة، وأنواع الشخصيات ، كالفروع التي تهتم بالشواذ ، وتلك التي تهتم بفكرة الشخصية كوحدة من وحدات الحياة العقلية ، أو ما يسمى « سيكلوجية الشخصية » .

إذن فدراسة الشخصية يقصد بها الاهتمام بتلك الصفات الخاصة بكل فرد ، والتي تجعل منه وحدة متميزة مختلفة عن غيره ، من حيث العوامل المختلفة التي تفاعلت مع بعضها في تكوينه وأدت إلى هذا الأسلوب الخاص من السلوك ، وهذا الطابع الذي لا يشترك فيه اثنان اشتراكا كاملا من كل ناحية .

ولما كانت مثل هذه الدراسة لا تتم إلا بتتبع الحالات الفردية ودراسة كل حالة على حدة ، كان للأبحاث الإكلينيكية في الميادات السيكلوجية المختلفة أهمية كبرى في دراسة موضوع الشخصية .

غير أنه لا يمكن لأى باحث أن يحيط علماً بعقلية كل فرد على حدة ، ولا تزال مهمتنا فى البحث هى أن نجمع بين ميزات القواعد العامة ، و بين ما يمكن استفادته من الحالات الخاصة .

و إذا كان علم النفس العام يرمى إلى دراسة العوامل العامة ، والصفات المشتركة بوجه عام ، وعلم النفس الفردى يرمى إلى دراسة الحالات الخاصة من ناحية التفاصيل ، والصفات المميزة التي تنفرد بها كل حالة على حـدة ، فإن من الممكن أن نجمع بين الاثنين بالالتجاء إلى علم النفس الإحصائى ليساعدنا فى تصنيف الصفات المختلفة ، المشتركة منها والخاصة ، كما فى طريقة التحليل العاملى التى تحاول التصنيف بالوصول إلى :

الصفات العامة ، والصفات الطائفية ، والصفات الفردية .

فالصفات العامة هى التى يشترك فيها الجميع... والصفات الطائفية هى التى يشترك فيها طائفة من الناس. والصفات الفردية هى التى لا يشترك فيها أحد.. والواقع أن الذى يميز شخصية عن الأخرى هو ذلك الطابع الذى ينتج من تفاعل كل هذه الأنواع من الصفات بعضها مع البعض الآخر .

تعاريف الشخصية

قبل أن نحاول دراسـة الشخصية ينبغى أن نحاول تحديد المعنى العلمى لهذه الكلمة وخصوصاً أن استعمالها فى الأحاديث العادية من المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد .

وحين نتتبع محاولات علم النفس لتعريف هذه الكلمة ، نجد أن كلا منهم كان ينظر إلى الشخصية من زاوية خاصة . وسنورد فيما يلى بعض

الخطوات التى تطور فيها معنى هذه الكلمة ، وهى فى جملتها تتبع مراحل تطور علم النفس ، وأساليب البحث فيه .

الشخصية كمظهر خارجى :

الأصل فى كلمة (Personality) أنها مشتقة من لفظ لاتينى (Persona) ومعناه القناع ، أو الوجه المستعار ، الذى يظهر به الشخص أمام الغير ، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحى ، حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرية . ولهذا فإن تعاريف الشخصية قامت فى البداية على فكرة التمثيل ، وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرية بصرف النظر عما يخفيه فى نفسه من صفات داخلية . ويرتبط بهذه الفكرة ، تعريف الشخصية بالقدرة على التأثير فى الغير ، أو الأثر الذى يتركه الشخص فيمن حوله ، وما يرتبط بذلك مما قد يكون لديه من هيبة ووقار ، وكبرياء ، أو تواضع وخضوع واستسلام .

وتتمشى هذه التعاريف مع طريقة الملاحظة الخارجية فى الدراسة النفسية ، تلك الطريقة التى تهتم بما يبدو على الشخص من مظاهر السلوك الخارجى . . وفاتها أن من الضرورى أيضا أن نكشف الستار عن الصفات الداخلية الحقيقية التى قد يتمكن الشخص من إخفائها عن الغير . وإذا علمنا أن أى فرد يمكن أن يعتبر عددا من الشخصيات ، منها الشخص كما يراه غيره ، والشخص كما يرى نفسه ، ثم الشخص على حقيقته ، لأدركنا أن تعاريف الشخصية السابقة غير شاملة ، لأنها تهمل أهم زوايا الشخصية الهامة ، إذ تهتم فقط بالشخص كما يراه غيره ، ولا توضح لنا شيئا عن الصفات الداخلية الحقيقية فى الشخص .

الشخصية كقوة مركزية داخلية :

وعلى النقيض من ذلك تماما نجد فكرة النظر إلى الشخصية من ناحية كونها تركيبا نفسيا معقدا ، غير ممكن تحليله أو فهمه من مجرد المظاهر الخارجية ، أو كونها قوة مركزية داخلية توجه الفرد وتسيطر على حركاته وسكناته . وطبيعى أن مثل هذه النظرة لا تفيدنا كثيرا ، ولا تقدم ولا تؤخر فى فهم طبيعة النفس ؛ إذ أنها تترك باب البحث والدرس مغلقا أمام من يريد فهم عناصر الشخصية ومكوناتها .

ويرتبط بذلك أيضاً تعريف الشخصية بالفكرة التى يكونها المرء عن نفسه نتيجة ملاحظته لما تجرى فيها وتحليله لخواطره ، ومعرفته لصفاته النفسية الداخلية كما تبدو له .

ويتمشى هذا مع طريقة التأمل الباطنى وهى إحدى طرق البحث الهامة فى علم النفس — كما كان التعريف السابق متمشيا مع طريقة الملاحظة الخارجية — وهذا النوع من التعاريف يعتبر ناقصا كسابقه ؛ إذ أنه يهتم فقط بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه ولا يفيدنا فى معرفة الشخص على حقيقته .

التعريف الاجتماعى :

وانتقل التعريف خطوة مفيدة عندما اتجه إلى الاهتمام بالإشارة إلى تعامل الفرد مع المجتمع ، فأصبح التعريف يتضمن شعور الفرد بقيمته فى المجتمع ، ومبلغ أهميته فيه ومدى إدراكه لحقوقه وواجباته . وهذه الصبغة الاجتماعية فى تعريف الشخصية بجانب فكرة المرء عن نفسه ، ترتبط بشعور

الفرد بمبلغ حاجة المجتمع إليه ، وهل هو مطلوب أو يمكن الاستغناء عنه ؟ وهل هو مهم أو لا أثر له ؟ وهكذا .

وتؤكد هذه التعاريف أهمية فكرة تعامل الفرد مع بيئته ، وقيمته من حيث تأثيره فى المجتمع ، وتأثر المجتمع به والنظرة إلى الفرد كعامل فعال فى الوسط الذى يعيش فيه ، إذ تقاس شخصيته بمبلغ اشتراكه فى نواحى النشاط المختلفة التى تؤدى إلى إحداث التغير والتطور فى هذا المجتمع وتلك البيئة المحيطة به

وتتمشى مثل هذه التعاريف مع تطور النظرة إلى علم النفس من حيث صلته الوثيقة بالعلوم البيولوجية والاجتماعية الأخرى ، مما يؤكد لنا أهمية دراسة الفرد بالنظر إليه فى مجال البيئة التى يعيش فيها و بمحاولة فهم القوى المختلفة التى تؤثر فى هذا المجال وتتحكم فى نمط السلوك الذى يجعل للشخصية طابعها الخاص .

الشخصية كمجموعة من الصفات :

إلى هنا كانت التعاريف فى جملتها وصفية ، ويتناول كل منها ناحية محدودة من نواحى الشخصية ؛ أما التعاريف القادمة — التى تقوم على تحليل الصفات ومحاولة تجميعها — فقد تلقى الضوء على عناصر الشخصية المختلفة وتفيدنا من الناحية الدراسية فائدة مباشرة . ومن أمثلة ذلك تعريف مورتن برنس (Morton prince) الذى يقول :

إن الشخصية « هى حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة ، وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة » .

وقد أوضح لنا هذا التعريف أهمية دراسة الفرد من ناحية ماضيه الوراثى وطبيعة تكوينه البيولوجى وما أخذه عن أسلافه من استعدادات . . بجانب

دراسة حياته الحاضرة من حيث تأثره بعوامل البيئة وما تحدثه فى شخصيته من صفات مكتسبة .

وهناك تعاريف كثيرة من هذا النوع تبدأ كلها بفكرة مجموع أو حاصل جمع الصفات الداخلية والخارجية الموروثة والمكتسبة ، أو مجموع الصفات العقلية والجسمية والاجتماعية .

ولكن هذه التعاريف القائمة على مجرد تعداد الصفات والتى تنظر إلى حاصل جمعها فقط تحمل فى طياتها خطر اعتبار هذه الصفات وحدات منعزلة بعضها عن البعض أو أن كل عنصر منها مستقل بذاته . . ولكن الواقع خلاف ذلك تماما ، فالنظرة الحديثة للشخصية تعتبرها وحدة أو تنظيم كلى عام . إذ أن الكائن الحى أكثر من مجرد مجموع صفاته . وكل صفة من صفاته لا يكون لها معنى إلا فى وجود باقى الصفات . والفرق بين النظرتين يوازى الفرق بين المخلوط والمركب فى الكيمياء ؛ فالمخلوط يمكن فصل مكوناته عن بعضها بسهولة ، وصفاته هى مجرد مجموع صفات العناصر الداخلة فى تركيبه بينما المركب الكيمائى ينتج لنا مادة جديدة لها خصائصها التى تخالف صفات مركباتها

ولهذا استفادت التعاريف الجديدة من هذه الفكرة فأكدت أهمية التكامل، ولذا أصبحت تبدأ بكون الشخصية عبارة عن تكوين عام أو تكامل منتظم لمجموعة صفات . . أو تركيب كلى . . أو وحدة .

التعاريف القائمة على فكرة التكامل والتفاعل الاجتماعى :

ثم أضيف إلى التعاريف ذلك العنصر الاجتماعى الذى يظهر فى تكييف الفرد لنفسه فى المجتمع وتعامله مع البيئة ومبلغ اندماجه فيها ، ومن أمثلة هذه

التعاريف ما قاله كمف (Kempf) وهو أن « الشخصية هى تكامل مجموعات العادات التى تمثل خصائص الفرد فى تعامله مع المجتمع » .

وأخيراً نجد فكرة التميز أو الانفرادية تتخذ مكانا بارزاً فى التعاريف كما فى تعريف شن (Schoen) حيث يقول :

« الشخصية هى التكوين المنتظم أو الوحدة العامة الناتجة من العادات والاستعدادات والعواطف التى تميز فرداً عن المجموع وتجعل منه وحدة مختلفة عن باقى وحدات المجموعة التى ينتمى إليها » .

التعاريف الوافية للشخصية :

وإذا كانت التعاريف السابقة جميعها حتى الآن تهتم ببعض عناصر التعريف وتهمل البعض الآخر ، فمنها مايهمل صفة التكيف الاجتماعى ، ومنها ما يهمل صفة التميز أو الانفرادية ، ومنها مايهمل فكرة التكامل ، فإن التعاريف الحديثة التى يؤخذ بها الآن مبنية على جميع الخطوات السابقة والاستفادة من كل التعاريف بحيث نجدها وافية شاملة . ومن أمثلة ذلك تعريف أولبرت (G. H. Allport) القائل بأن :

« الشخصية هى التنظيم الديناميكى فى نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة » .

وهذا لا يختلف كثيراً عن تعريف بيرت (Burt) القائل بأن :

« الشخصية هى ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية ، الثابتة نسبياً ، التى تعتبر مميزاً خاصاً للفرد ، وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية » .

تعريف الكاتب :

من العرض السابق لمختلف التعاريف يمكن أن نستخلص أهم الاعتبارات التي يتضمنها التعريف الجيد للشخصية . . والتي تفيدنا أيضا عندما نحاول الدراسة التحليلية للشخصية أو الحكم عليها وهي :

١ — « التكامل » ويتضمن كون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات التي تكونها . . وإنما الوحدة الناتجة منها . فهي أكثر من مجرد مجموع حاصل جمع ما يدخل فيها من مكونات . والواقع أن قوة الشخصية تقاس بقدر ما يكون بين مكوناتها من تماسك وانسجام وتكامل .

٢ — « الديناميكية » وتشير إلى أهمية التفاعل المستمر بين عناصر الشخصية المختلفة فليست الشخصية مجموعة متراصة من القوى الاستاتيكية الجامدة و إنما طبيعتها البيولوجية تقتضى دوام التفاعل والنمو والتغير الذى يضيف إلى الشخصية صفة الحيوية .

٣ — صفات الشخصية « الثابتة نسبيا » وهى التى لا تتغير كثيرا على طول الزمن — بالرغم من دوام التفاعل والصفة الديناميكية السابقة — هى التى تجعل للشخصية طابعها الخاص ويمكن الاستناد عليها فى تمييز شخص عن غيره . مثل هيئة الجسم والذكاء العام والاستعدادات الموروثة أو المكتسبة التى يكون لها صفة الدوام والثبات بالنسبة لغيرها من الصفات العارضة الدائمة التغير .

٤ — الشخصية ليست مجرد النواحى الجسمية فقط ، كالمخ والعظام والجلد والأحشاء والأوعية الدموية . . وطريقة الابتسام وشكل الأنف وبروز الذقن . . . بل تتضمن أيضا النواحى العقلية كآمال الشخص وأفكاره ومشاعره ، وما يحب و يكره ، وصداقاته وميوله . وهى ليست كل هذه وتلك مجتمعة فقط ، بل تتضمن أيضا طريقة اندماج هذه المكونات وتفاعلها ،

والطريقة التى يلجأ إليها الجسم للتعبير عن العقل فى الحركة والإحساس والإدراك . . . وكذلك الأسلوب الذى يلجأ إليه العقل فى التعبير عن الجسم وما ينتابه من آلام ومؤثرات . . والواقع أن ما نسميه « عقلا وجسما » هو شىء واحد ، لأن هذين الاثنين مرتبطان بعضهما ببعض لدرجة أنه لا يمكن فصلهما ، أو حتى التفكير فيهما منفصلين .

٥ — « التكيف مع البيئة » أمر أساسى فى دراسة الشخصية ، إذ لا يمكن دراسة الفرد منعزلا عن المجتمع الذى يحيط به ، ولا يمكن إهمال القوى المادية والاجتماعية فى البيئة من حيث أثرها فى تكوين الشخصية وصبغها بطابع معين .

٦ — « التميز » أو الطابع الفريد لكل شخص هو الذى يجعل كل فرد مختلفا عن غيره ، بحيث لا يوجد اثنان متشابهان تشابها تاما . . وهذا التميز هو الأساس الذى يقوم عليه معنى الشخصية .

وبناء على هذه الاعتبارات يمكن أن نستخلص التعريف الآتى للشخصية :

« الشخصية هى ذلك الطابع ، الثابت نسبيا ، للتنظيم التكاملى ، لصفات الفرد الناتجة من التفاعل الديناميكى المستمر ، بين استعداداته ومكوناته الجسمية والعقلية ، الموروثة والمكتسبة ، وبين المؤثرات المادية والاجتماعية للبيئة التى يعيش فيها ، والذى يتحدد به أسلوبه الخاص المميز له عن غيره فى التكيف مع هذه البيئة . »

ومن هذا التعريف يمكن أن ندرك ما يأتى :

أولا : أن الشخصية وحـــدة ويجب دراستها كتنظيم كلى عام أو جشتالت (Gestalt) .

ثانياً : أنه إذا جاز لنا تحليل عواملها فإنما يكون ذلك بقصد التصنيف والدراسة فقط ، على أن نضع فى أذهاننا دائما فكرة اندماج العناصر وتفاعلها المستمر بعضها مع البعض .

الفصل الثانى

مكونات الشخصية

إذا اقتنعنا بفكرة وحدة الشخصية وتداخل مكوناتها واستمرار تفاعل عناصرها مع بعضها أمكننا أن ندرك الصعوبة التى تواجهنا عند محاولة إحصاء هذه العناصر أو تصنيف هذه المكونات . ولكن لابد لنا من رسم خطة عامة تحدد أركان الشخصية الرئيسية إذا ما أردنا دراستها أو الحكم عليها . فما هى إذن أهم النواحى التى يصح أن تؤخذ فى الاعتبار عندما نود أن نصف شخصية ما بالقوة أو الضعف ، أو بأنها شخصية سوية أو منحرفة ، أو بأنها شخصية متكاملة أو مفككة ؟ هناك اعتبارات كثيرة يمكن أن تتخذ أساساً لذلك فيصح أن نجمع الصفات المختلفة مبوبة بحسب الموروث منها والمكتسب أو بحسب الشعورى منها واللاشعورى ، أو بحسب الصفات الجسمية والعقلية . . وهكذا .

وقد أخذ كاتل (Cattell) بهذه الاعتبارات جميعها فى تقسيمه للشخصية إلى وحداتها الأولية فى كتابه « وصف وقياس الشخصية » حيث وضع هذه الوحدات فى جدول كالآتى : —

	وحدات تكوينية (موروثة)	وحدات مكتسبة من البيئة	
العوامل الديناميكية	١ — الدوافع والرغبات والحاجات	٤ — العواطف والاتجاهات العقلية	
العوامل المزاجية	٢ — الصفات الانفعالية والمزاجية	٥ — الصفات الخلقية	
العوامل المعرفية	٣ — الذكاء والمواهب الخاصة كالذاكرة والقدرة الموسيقية	٦ — المهارات المكتسبة والمعلومات العامة	
		شعورية	لاشعورية

وقد مضى « كاتل » فى شرحه وتقسيمه لهذه الوحدات الست الرئيسية إلى فروعها وعواملها بشىء من التفصيل ، إلى أن وصل لوضع قائمة طويلة للصفات التى يصح دراستها للحكم على الشخصية حكما شاملا من جميع النواحى ، ووصل عدد هذه الصفات فى القائمة المذكورة إلى ١٧١ صفة .

ولكن مما يؤخذ على تقسيم كهذا إهماله التام للنواحى الجسمية ، ونظرته إلى الشخصية بمعناها المحدود وبما يقع فى دائرة علم النفس وحده .

ويلاحظ أن كثرة الصفات والقوائم الطويلة التى يلجأ إليها بعض العلماء فى دراسة الشخصية لا تفيد كثيراً فى إعطاء صورة سريعة للشخصية وإن كانت تفيد من يريد القيام بأبحاث إحصائية بقصد دراسة الصفات التى تتمشى مع بعضها البعض ، والتى تتعاون فى تكوين أنماط السلوك وأنواع الشخصيات المختلفة .

وإذا فحصنا القوائم الكثيرة التى يضعها العلماء المختلفون لمكونات الشخصية فإنا نجدها — وإن اختلفت فى ظاهرها من حيث العدد والاسترسال

فى التفاصيل — غالبا تتفق على الأبعاد الرئيسية التى ينبغى ألا تغفل فى أى تقسيم أو تصنيف وهى : —

(ا) النواحى الجسمية .

(ب) النواحى العقلية المعرفية (Cognitive) .

(ﺟ) النواحى المزاجية (Temperamental) .

(د) النواحى الخلقية (Character) .

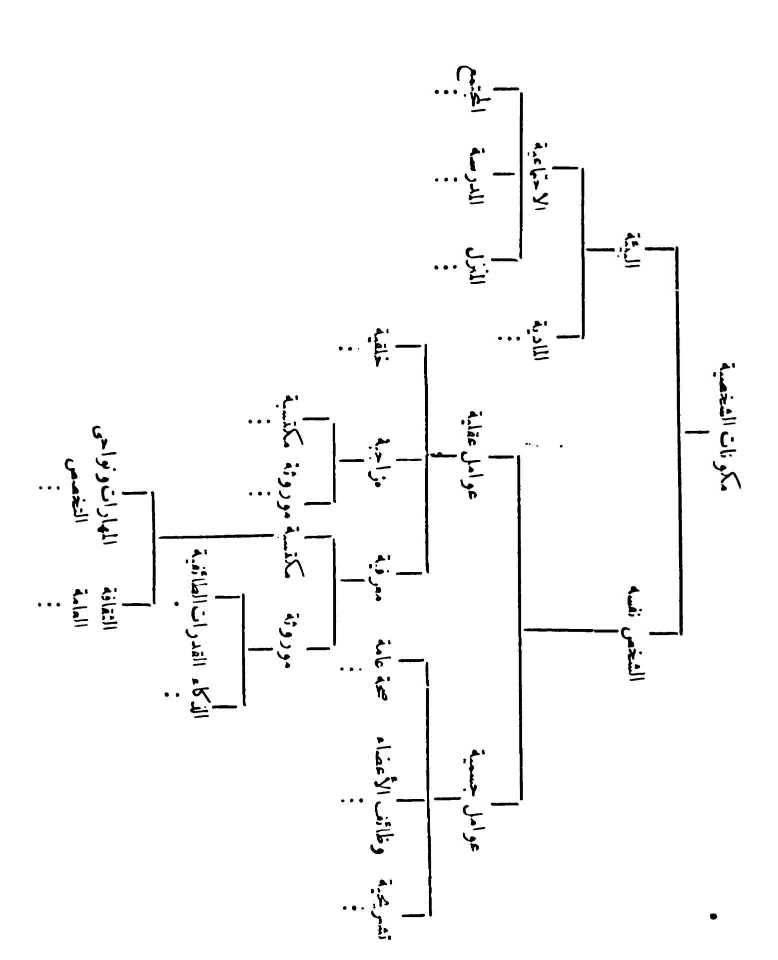
(ﻫ) ومن المهم أن ننظر إلى الأركان الأربعة السابقة فى ضوء البيئة الاجتماعية والوسط العام الذى يحيط بالشخصية المراد دراستها .

ويختلف الباحثون فى الشخصية فى نظرتهم للأهمية النسبية لهذه النواحى ؛ فنجد علماء النفس التربوى مثلا يولون اهتماما خاصاً للنواحى العقلية المعرفية ؛ كالذكاء والقدرات التحصيلية ، بينما علماء النفس الطبى يولون للنواحى الجسمية والانفعالية والمزاجية اهتماما أكبر فى نظرتهم إلى الشخصية ، وكذلك علماء النفس الجنائى والباحثون فى الإجرام يؤكدون أهميــــة النواحى الخلقية والاجتماعية . . وهكذا .

وقد يكون من المفيد أن نضع تخطيطا عاما لمكونات الشخصية وعواملها الفرعية فى شكل يسهل إدراك وحدتها وتحليلها عند الدراسة والبحث كما فى التنظيم المبين على صفحة ١٤ .

وينبغى أن نؤكد هنا أهمية تداخل هذه العوامل جميعها ، وتفاعلها المستمر ، بحيث ينتج منها جميعا تركيب عام يميز الفرد ويجعل منه شخصية فريدة

تخطيط عام لدراسة مكونات الشخصية



هذا ومن الممكن أن نستمر فى التحليل عند كل ناحية من نواحى الشخصية ، فنقسم العوامل المنزلية مثلا إلى : علاقة الفرد بباقى أفراد المنزل ، وتأثير الوسط المنزلى من النواحى الثقافية والخلقية . . الخ . ويمكن بنفس الأسلوب أن نقسم النواحى الجسمية من حيث وظائف الأعضاء إلى حالة الجهاز العصبى ، وتأثير الغدد الصماء ، وحالة الجهاز الهضمى . . . الخ . وكذلك فى المهارات المكتسبة التى يمكن تقسيمها إلى نواحى التخصص الدراسى ونواحى التخصص المهنى وما ينطوى تحت كل منها من صفات لا ينكر أثرها فى تكوين الشخصية . . .

ويمكن بصفة عامة أن يفيدنا هذا التخطيط العام فيما يأتى :

أولا : يسهل على الباحث الاجتماعى أو أى إخصائى يهمه دراسة الحالات (Case study) أو تحليل شخصية أحد الأفراد — طفلا كان أو رجلا ، عاديا أو شاذاً — فى تنظيم عمله وترتيبه . فإذا أردنا دراسة حالة طفل منحرف أو متهم بجريمة فيمكن أن نتخذ هذا التقسيم أساسا لهذه الدراسة .. وإذا كنا بصدد تصميم بطاقة مدرسية لتكون سجلا لحالة كل تلميذ فى حياته المدرسية فيصح أن نستعين بهذا التخطيط حتى لا نغفل ناحية من النواحى التى قد تكون ذات أثر هام فى الحكم على الشخصية عند توجيه التلميذ تعليمياً أو مهنياً .

ثانياً : يوضح هذا التخطيط أهمية العلاقة بين علم النفس وباقى العلوم البيولوجية والاجتماعية الأخرى ، وتعاون هذه العلوم المختلفة ، وترابط ميادين الدراسة فيها ، وتداخلها بشكل يجعل الإحاطة بها جميعا أمراً واجباً لكل

من يتعرض لدراسة الشخصية فى أى صورة من صورها . فمثلا عوامل البيئة من حيث المنزل والمدرسة والمجتمع يمكن فهم آثارها على الشخصية من فهمنا لمبادىء علوم الخدمة الاجتماعية والتربية والاجتماع والأنثروبولوجيا ، والعوامل الجسمية تتطلب الإلمام بعلوم التشريح والفسيولوجيا والصحة العامة والعلوم الطبية بصفة عامة . وطبيعى أن العوامل العقلية هى ميدان علم النفس الذى لا غنى له عن التعاون مع هذه العلوم جميعا ومع غيرها من العلوم التى تهتم بدراسة الحياة العقلية كعلم الأخلاق والدين والمنطق .

الفصل الثالث

النواحى الجسمية

لا يجوز أن نغفل ما للتكوين الجسمى سواء من حيث التشريح أو وظائف الأعضاء أو الصحة العامة من أثر فى الشخصية بوجه عام . فقد أثبتت الأبحاث صحة المثل القائل : « إن العقل السليم فى الجسم السليم » .

و بعض الباحثين فى الشخصية يهمل أحيانا هذا الركن الهام من أركان الشخصية برغم ارتباطه الوثيق بالنواحى الانفعالية والمزاجية التى تعتمد فى أساسها على التركيب الكيميائى والغددى والدموى ، و برغم تأثر النواحى الخلقية بكل ذلك . ولعل السبب فى إهمال هذه الناحية لمن يدرسون سيكلوجية الشخصية وقوعها فى دائرة علوم التشريح والطب ، ووضوح أهميتها لدرجة تجعلها أمراً بديهياً مسلما به . وطبيعى أن يكون لهذه العوامل تأثير واضح فى كثير من الحالات المرضية كما فى الأمراض التى تنتج من إصابات الجهاز العصبى أو اضطراب وظائفه ؛ و يقل وضوح تأثير هذه العوامل عند دراستنا للشخصيات العادية السليمة حيث يقل نسبياً تأثير الاختلافات الفردية فى هذه النواحى الجسمية

ولكن هذا لا يمنع من ذكر بعض العوامل الجسمية على سبيل المثال لنعرف كيفية تأثر الشخصية بها ومن ذلك ما يأتى :

١ — النمو الجسمى . ٢ — حالة الجهاز العصبى .

٣ — حالة الحواس . ٤ — حالة الغدد الصماء .
٥ — المظاهر الحركية . ٦ — العاهات والأمراض الجسمية .

١ — النمو الجسمى :

ويتبعه حالة الجسم من حيث القامة والهيئة وتوافق النمو الجسمى مع النمو العقلى والاجتماعى . فكثيراً ما نلجأ فى أحكامنا على الشخصية إلى معرفة العمر الزمنى الذى أمكن للشخص فيه أن يمشى أو يتكلم ، أو التاريخ الذى تم عنده البلوغ والنضج الجنسى ؛ فمثل هذه النواحى من مظاهر النمو الجسمى تلقى كثيراً من الضوء على سمات الشخصية التى يراد بحثها . وهناك علامات جسمية خاصة فى أجزاء مختلفة من الجسم يمكن بها أن نعرف العمر التشريحى للشخص (Anatomical age) كمعرفة السن الذى تحولت فيه الغضاريف إلى عظام فى منطقة الرسغ مثلا . . . وهكذا .

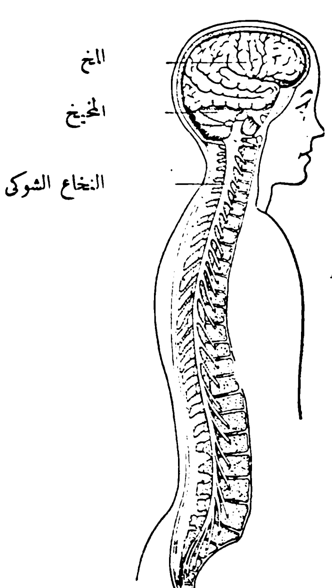
٢ — حالة الجهاز العصبى :

إن أى اضطراب أو اختلال فى أحد أجهزة الجسم سيحدث أثرا كبيراً فى شخصية صاحبه ولكن الجهاز العصبى له أهمية خاصة لأنه حلقة الاتصال بين الجسم والعقل . ويشمل الجهاز العصبى ما يأتى : —

(ا) الجهاز العصبى المركزى بداخل الجمجمة .
(ب) النخاع الشوكى . (ج) المسالك العصبية المنتشرة فى الجسم .
(د) الجهاز العصبى السمبائوى والباراسمبائوى .

والجهاز العصبى المركزى (ويشمل المخ والمخيخ . وقنطرة فارول والنخاع المستطيل) مسئول عما يحدث فى الشخصية من توازن وتوافق وتكامل لوظائفها المختلفة ، إذ أنه المسئول عن الإدراك والترابط والتعلم والتفكير والتخيل

وكل ما يحدث من كسب الفرد لخبرات جديدة . ولتكوين القشرة المخية ارتباط بالقدرات العقلية ، كما أن المخيخ مسئول عن تنظيم بعض الوظائف العقلية كالتوازن أما النخاع الشوكى فوظيفته استقبال بعض الإشارات العصبية التى يتلقاها الجسم عن طريق المؤثرات الخارجية والرد على البسيط منها ، أو توصيلها إلى المخ وتلقى إشارات الرد عليها لتوصيلها إلى أعضاء الحركة. والمسالك العصبية أو الأعصاب المنتشرة فى الجسم هى التى تحمل التيارات العصبية ، ويتوقف على سلامة تركيبها ما يحدث لهذه التيارات من ضعف أو بطء عند وصولها من المخ أو إليه ومن عضلات الجسم وحواسه وأعضائه الأخرى أو إليها .



الجهاز العصبي المركزى

ولكل من الجهازين السمبائوى والباراسمبائوى اختصاص هام يتصل بوظائف أجهزة الجسم وأحشائه الداخلية . . وكذلك نشاط الغدد المختلفة فالجهاز السمبائوى هو الذى ينشط فى الأزمات والمواقف الخطيرة التى تتطلب صرف الطاقة الحيوية ، فيكون مسئولا عن تنظيم زيادة ضربات القلب والاكثار من افراز الأدرينالين والجلوكوز فى الدم وتنشيط الأوعية الدموية الموصلة إلى أطراف الجسم حتى تتمكن من مواجهة الموقف بالحركة أو المقاتلة مثلا . . أما الجهاز الباراسمبائوى فوظيفته تعتبر مخالفة لذلك ، حيث أنه ينشط فى الأوقات العادية الأخرى التى يحتاج الجسم فيها إلى البناء والاحتفاظ بطاقته ، ولذا يكون مسئولا عن تنشيط الأوعية الدموية لمتصلة بالمعدة وعمليات الهضم والامتصاص الغذائى وتخزين الطاقة الحيوية . . وعلى قدر ما يوجد بين وظيفتى هذين الجهازين من تنسيق وتعاون تتوقف قدرة الشخصية على التصرف فى المواقف المختلفة .

وزيادة حساسية الجهاز السمبائوى تقترن عادة بالتقلب الانفعالى وزيادة ضغط الدم والقلق العصبى . . أما زيادة حساسية الجهاز الباراسمبائوى فتقترن عادة بحالات الهبوط الانفعالى وانخفاض ضغط الدم والتبلد والخمول العام .

وكلنا يعرف نتائج اضطرابات الجهاز العصبى من حالات الشلل وعاهات الحس والحركة ، واختلال التوازن ، وحالات الضعف العقلى أو التعرض للاصابة بالأمراض العقلية والعصبية أو حالات القابلية للتعب السريع . . . ولا شك أن الشخصية كلها تتأثر بهذه الحالات .

ومن الميسور الآن باستعمال المقياس الكهربائى المخ فحص أنواع التموجات

العصبية للشخص والاستدلال منها على درجة القوة أو الضعف فى أجهزته العصبية التى يكون لها أكبر الأثر فى سلامة الشخصية أو انحلالها ومرضها .

٣ — حالة الحواس:

الحواس حقاً أبواب المعرفة لأنها أجهزة استقبال القوى المؤثرة على الكائن الحى فى بيئته بصرية كانت أو سمعية أو شمية أو ذوقية أو لمسية ، ولهذه الحواس أثر كبير فى مساعدة الكائن الحى على التكيف لمقتضيات هذه البيئة . . . وقد تبين أن هناك حواس أخرى أقل وضوحا وتحديداً من الحواس الخمس الرئيسية ، منها الحاسة الحركية التى تساعد على معرفة الاتجاهات والتى نجدها واضحة عند العميان فتقودهم فى تنقلاتهم ، ومراكزها فى الوصلات العضلية والمفصلية ؛ ومنها الحاسة الأستاتيكية التى تساعد الفرد على حفظ اتزانه، ومراكزها فى الأذن الوسطى والقنوات السمعية؛ ثم الحاسة العضوية التى يعرف بها الشخص إحساساته المتعلقة بأعضائه الداخلية كإحساسات الجوع والإخراج . . إلى غير ذلك .

والحواس من أهم النواحى التى يتجه إليها الباحثون فى الشخصية ومن يريدون الحكم عليها ، ولهذا تأخذ اهتماما كبيراً فى الكشف الطبى عند القبول فى المدارس أو المهن المختلفة ، أو التوجيه للأعمال الحربية فى الجيش . . ولذا نجد الآن لها أجهزة دقيقة تصلح لقياس مواطن الضعف والقوة فى كل حاسة منها . . وتدل دراسة الحواس على أن هناك اختلافات واسعة بين الأفراد فى حدة حواسهم ، فبجانب مانجده فى بعض الأشخاص العاديين منا من تكون درجة إبصارهم ضعيفة بسبب طول النظر أو قصر النظر أو غير ذلك، فإن هناك

من الأفراد من يكون مصابا بأنواع معينة من العمى اللونى أو ضعف الأبصار فى الظلام، ومن يكون مصابا بالضعف السمعى بحيث لا يسمع أنواعا معينة من التموجات الصوتية أو النغمات الموسيقية . بينما يكون سمعه عاديا لأنواع أخرى . وهناك درجات كثيرة من التفاوت فى الحساسية الشمية والذوقية بين الأفراد أما الإحساسات اللمسية من حيث تمييز البرودة والحرارة أو الضغط أو الألم فتختلف فى الأشخاص باختلاف تكوينهم مما يكون له أثر كبير فى قوة احتمالهم وصلاحيتهم لأنواع الأعمال المختلفة التى يتعرضون فيها لمثل هذه الإحساسات

ومن ذلك نرى أن تأثير الحواس فى الشخصية لا يقتصر على حالات فقدان بعض هذه الحواس أو حدوث بعض الإصابات أو العاهات لها ، و إنما يتوقف أيضا على التكوين الطبيعى للحواس المختلفة من حيث الحساسية أو الضعف الكلى أو الجزئى مما يكون له أثر كبير فى تحديد قابلية الشخص للإفادة من المؤثرات المحيطة به فى بيئته وقدرته على فهم مطالب هذه البيئة والتكيف إزاءها .

٤ — أثر إفرازات الغدد الصماء فى الشخصية :

وليس لهذه الغدد قنوات و إنما تصب إفرازاتها فى الدم مباشرة .ولها تأثير كبير على النمو الجسمى والحركى والتغير الانفعالى وما يتركه ذلك فى اتزان الشخصية أو انحرافها من آثار .

غدة الأدرنالين : أو الغدة فوق الكلية : وتفرز أنواعا من الهرمونات لها أثرها فى مظاهر الحياة الانفعالية فى الشخصية ، وما يصاحب الانفعال من تغيرات جسمية ذات قيمة بيولوجية تساعد على مواجهة المواقف والأخطار .

وعلى تنظيم وظيفة هذه الغدة وغيرها من الغدد بتأثير الجهاز العصبى السمبثاوى والباراسمبثاوى يتوقف استمرار أو انتهاء الآثار الانفعالية التى بها تحدث الحالات المزاجية غير الثابتة التى تسمى (Moods) وما يتبعها من تغيرات دورية بين الهبوط والنشاط ، أو بين التفاؤل والتشاؤم ، أو الشعور بالسرور والشعور بالبؤس والحزن . . وغير ذلك .

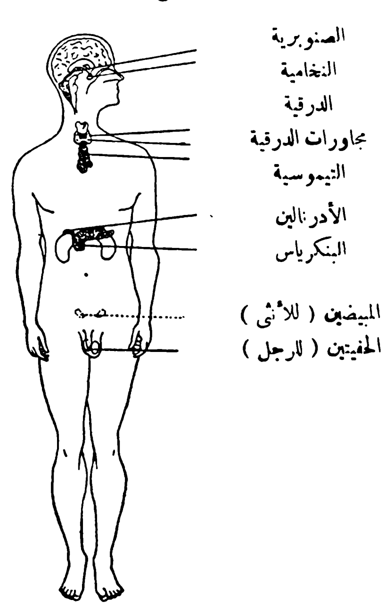
الغدة الدرقية : ومكانها على جانبى القصبة الهوائية عند الحنجرة ، و إفرازاتها تؤثر على تنظيم بناء خلايا الجسم ، ولها إذن تأثير على سرعة النمو والنضج عند المشى أو الكلام . وقد يقل إفرازها بدرجة تنتج لنا نوعا خاصا من الشخصية التى تتميز بالخمول وضعف الحيوية وهبوط المستوى العقلى . . ومن الأمثلة لذلك حالات الأطفال المصابين فى طفولتهم بضمور هذه الغدة أو ضعفها لدرجة يصل بها مستواهم العقلى إلى درجة تجعلهم من طائفة ضعاف العقول . ويعرف هذا النوع من الضعف العقلى بالكريتنزم (Cretinism) ومن الممكن علاج هذا النوع من الضعف العقلى طبياً إذا اكتشفت الحالة فى وقت مبكر .

أما إذا زاد إفراز هذه الغدة عن الحد الضرورى فإن الشخصية تتميز بالقلق والاضطراب ، وعدم الثبات وسرعة الاستثارة ، وصفات الشخصية « العصبية » وما يتبع ذلك من نحول وخفة فى الوزن .

الغدة النخامية : ومكانها فى قاع المخ وتعتبر منظمة ومحركة لباقى الغدد حيث نجد لإفرازاتها آثاراً عليها جميعا . فلها هورمونات تؤثر فى النمو وطول القامة أو قصرها ، و إفرازات تتعادل مع إفرازات الغدد التناسلية فتؤثر

على النضج الجنسى ، وإفرازات تؤثر فى بنـاء أنسجة الجسم فترتبط بذلك مع الغدة الدرقيـــة . . . ومن أنواع الشخصية الظاهرة التى يدخل فيها أثر هذه الغدة طوال القامة بسبب نمو العظام ، أو من يكونون على درجة كبيرة من قصر القامة مع السمنة المفرطة المصحوبة بالضعف الجنسى وتوزيع الدهن على أجزاء معينة من الجسم . . وهكذا . .

الغدد التناسلية : وهى المسئولة عن التحكم فى نضج وعمـل الأجهزة التناسلية ، ومظاهر الرجولة أو الأنوثة وعلاماتها التى توتر تأثيراً ظاهراً فى نوع الشخصية . و إلى نشاط هذه الغدد و إفرازاتها يرجع وجود صفات الأنوثة التى قد تصل إلى درجة كبيرة من التخنث عند بعض الذكور ؛ ووجود صفات



مواضع الغدد الصماء فى الجسم

الرجولة التى تصل أحيانا لدرجة ظاهرة فى بعض الإناث ؛ وما يصاحب ذلك من أثر فى طابع الشخصية العام وأسلوبها فى الحياة .

وقد يحدث عن إضطراب إفرازات هذه الغدد حدوث البلوغ مبكراً وقبل الأوان ، و يكون ذلك فى الغالب بسبب الزيادة المفرطة لإفرازات هذه الغـدد المصحوب بضمور أو ضعف فى إفرازات الغدد الأخرى بحيث لا تتوازن إفرازاتها ؛ وطبيعى أن الشخصية فى هذه الحالة تتأثر فى جملتها بسبب عدم تناسب النمو الجنسى والانفعالى مع النمو الجسمى ، وما قد يؤدى إليه ذلك من إشباع الميل الجنسى بطرق غير مشروعة ؛ و يقال إن هناك حالات حدث فيها البلوغ عند سن السابعة . . وحالات حدث فيها البلوغ عند سن الرابعة ! ! وعلى النقيض من ذلك قد يحدث أن يتأخر موعد البلوغ عن أوانه المعتاد بسبب عدم كفاية الإفرازات الداخلية أو هورمونات الغدد التناسلية ، وطبيعى أن يبقى الشخص رغم كبر سنه متصفاً بصفات فيها مظاهر الطفولية ، فنجد هذا النوع من الرجال صغاراً فى تصرفاتهم ، ولا يستطيعون بسهولة أن يكيفوا أنفسهم فى الوسط المحيط بهم حيث تتغير النظرة إليهم لما يبدو عليهم غالبا من صفات أقرب إلى الأنوثة منها إلى الرجولة . و يلاحظ فى مثل هذه الحالات أن غدتى الطفولة وهما الغدة التيموسية والغدة الصنوبرية تظلان فى حالة نشاط مستمر ، إذ أن حدوث البلوغ يصحبه عادة ضمور هاتين الغدتين ، لأن عملهما مضاد لعمل الغدد التناسلية .

و يجب أن نضع فى أذهاننا عند بحث آثار الغدد الصماء على الشخصية أن نشاط الغدد جميعها متداخل ، وأن أى أعراض من التى سبق ذكرها يمكن

أن ترجع لأكثر من غدة من الغدد السابقة ، ولهذا فإن الحكم النهائى على نشاط هذه الغدد وأثرها يجب أن يترك للاخصائيين .

٥ — أثر المظاهر الحركية فى الشخصية :

تتوقف هذه المظاهر الحركية على عوامل جسمية وعوامل عقلية فى آن واحد ؛ فسرعة الحركة أو بطؤها والاندفاع أو القدرة على التحكم فى الحركات والتوافق الحركى سواء فى المشى أو الكتابة أو القيام بأعمال يدوية تحتاج لمهارات خاصة ، كلها تتوقف على ما يتكون بين الجهاز العصبى والعضلى وبين عمليات الإحساس والإدراك والانتباه من ارتباطات ، وما يحدث للشخص من تغيرات انفعالية ومزاجية .

وللنواحى الحركية أهمية كبيرة فى الحكم على الشخصية لأنها من العوامل الظاهرة الممكن ملاحظتها بوضوح ، ولهذا يقال أحيانا إن من الممكن أن نميز نوع شخصية الناس من حركاتهم وكلامهم و إشاراتهم وطريقة نومهم أو جلوسهم وغير ذلك من المظاهر الحركية ؛ فالشخص المضطرب الانفعال المتغير المزاج يكون مضطربا فى حركاته ومرتبكا فى مشيته وطريقة كلامه . والشخص الهادىء المتزن نجده متزنا فى مشيته وحديثه وحركاته . وهكذا ... وفى بعض الأمراض العقلية تتخذ الأعراض الحركية مقياساً مساعداً لتشخيص الحالة المرضية ، ومن أمثلة ذلك الحركات النمطية والحركات العنادية أو الجمود الحركى فى أوضاع حركية معينة بدون سبب مفهوم ، وغير ذلك مما يشاهد فى بعض مرضى العقول .

٦ — أثر العاهات والأمراض الجسمية فى الشخصية :

العاهات من أبرز العوامل التى تميز صاحبها فى شخصيته تبعا لنوع العاهة وما تحدثه من شعور بالنقص إزاء الغير ، وبحسب ما يحدث بسببها أحيانا من تقليل الفرص أمام الشخص ، سواء من حيث كسب الخبرة الحسية كما فى عاهات الحواس ، أو من حيث الانتقال والحركة كما فى عاهات الأطراف . . . وغنى عن الذكر ما تحدثه العاهات الناتجة من حوادث الإصابة فى المخ أو أى جزء آخر من أجزاء الجهاز العصبى من شذوذ وتأثير بالغ فى الشخصية عموما . ولا يفوتنا أن نشير إلى ما قد تحدثه بعض العاهات من أثر تعويضى حيث تبرز فى الشخصية نواح تساعد صاحبها على النجاح أو الظهور مما ينطبق عليه المثل القائل « كل ذى عاهة جبار » .

أما الأمراض وخصوصاً المزمنة منها فأثرها قد يكون أبعد من تأثير العاهات فى تكوين الشخصية ؛ إذ أن الأمراض عادة تتناول الجسم كله ، وتؤثر على الشخصية بأجمعها من حيث استغلال الطاقة الجسمية والعقلية وتوجيهها . . ويضاف إلى ذلك أن بعض الأمراض لا يكون ظاهراً فيشعر به الغير ؛ ولذا لا يستدر الشفقة أو العطف من المحيطين بالشخص كما يحدث فى حالات العاهات الظاهرة ، ولذلك فإن تأثير الأمراض فى تكوين الشخصية لا يقل فى أهميته عن أى عامل آخر .

ومن كل هذا يتبين أن الحكم الصحيح على الشخصية يجب أن يشمل النواحى الجسمية خصوصاً فى دراسة الشخصيات المرضية أو الشاذة ؛ فكثيراً ما تلقى هذه العوامل الجسمية الضوء على النواحى النفسية والعقلية للشخصية .

الفصل الرابع

النواحى العقلية المعرفية

إن نواحى الشخصية العقلية ، ومركباتها النفسية ، من حيث القدرات والمواهب والعوامل المزاجية والصفات الخلقية هى ميدان علم النفس الحقيقى ؛ والدراسة التفصيلية لهذه النواحى يمكن أن تطول وتتشعب حتى تشمل علم النفس بأكمله . وتسهيلا للبحث كالمعتاد نلجأ إلى تقسيم هذه النواحى العقلية إلى : النواحى المعرفية ، والنواحى المزاجية ، والنواحى الخلقية . وسأتناول الآن أثر النواحى العقلية المعرفية فى تكوين الشخصية . .

من حسن الحظ أن هذا الركن من أركان الشخصية هو أكثر النواحى وضوحا وتحديداً نظراً للدراسات الكثيرة التى تمت فى محيطه ؛ فالحياة العقلية المعرفية أكثر خضوعا للقياس والتحديد من الحياة المزاجية أو الخلقية .

ونظراً لهذا الوضوح ، وللنتائج الثابتة نسبياً التى وصل إليها علماء النفس فى هذه الناحية ، فإن عدداً كبيراً من الباحثين حديثا فى موضوع الشخصية يمر على هذه الناحية مروراً سريعا باعتبار أن حقائقها قد أصبحت أمراً معلوما للكثيرين .

والمقصود بالنواحى المعرفية تلك العمليات والعوامل العقلية التى يتوقف عليها كسب المعرفة والخبرة بما تشمل من إدراك وتصور وتخيل وقدرة على التذكر والتفكير والتعلم ، وبما يتطلبه كل ذلك من ذكاء عام ومواهب أو قدرات عقلية .

ويمكن فى دراستنا للشخصية أن ندرس هذه النواحى المعرفية من حيث :
(ا) العمليات العقلية وتدرج مستوياتها من البسيط إلى المركب ، أو :
(ب) من حيث تقسيم القدرات العقلية إلى عوامل عامة وطائفية وفردية .

(ا) العمليات العقلية ومستوياتها

أما من حيث المستويات فقد دلت الأبحاث النفسية على أن هناك ارتباطا كبيراً بين النواحى الجسمية والحركية والنواحى الإدراكية والمعرفية ، وأن هناك نوعا من التدريج يوضح تداخلها وتعاونها دائما بحيث يصعب أن نجد بينها حدوداً فاصلة ؛ لأن الشخصية كلها وحدة متكاملة كما سبق القول . ويمكن أن نلمس هذا التدريج فى المستويات الآتية : —

١ — المستوى الحسى الإدراكى ٢ — المستوى الإدراكى الحركى .
٣ — المستوى الترابطى ٤ — مستوى إدراك العلاقات .

المستوى الحسى الإدراكى :

ويشمل العمليات العقلية التى تتعلق بالإبصار والسمع والذوق والشم واللمس والاتزان الحركى ، وباقى الحواس الأخرى ، وما يتصل بها من مسالك عصبية تساعد على وصول الإحساسات إلى المراكز المخية لإدراكها وتمييزها . ويختلف الناس فى استجاباتهم الحسية الإدراكية من حيث السرعة والبطء ، ومن حيث الوضوح والغموض . وتقاس الاختلافات بين الأشخاص فى هذه النواحى بوسائل مختلفة مثل قياس زمن الرجع ، وهو الزمن الذى يمضى بين حدوث المؤثر والرد عليه ، كما تقاس أنواع الإحساسات بما يناسب نوعها

بصرية كانت أو سمعية أو لمسية . . وهكذا ويرتبط بهذا المستوى ما يكون لدى الشخص من قدرة على الانتباه والملاحظة ، وإن كانت هذه ترتبط أيضاً بعوامل أخرى فى الشخصية .

المستوى الإدراكى الحركى :

ويشمل الاستجابات الحركية المبنية على الإدراك كالتوافق الحركى فى عملية الإبصار وتكييف العين ، أو أوضاع الرأس المناسبة لاستماع الأصوات بحسب مصادرها . أو حركة الأطراف عند الاستجابات الإدراكية المختلفة ، وما ينطوى تحتها من مهارات يدوية وتوافق حركى .

ويلاحظ أن هذه الاستجابات جميعاً — مع وضوح العنصر الجسمى فيها — مبنية على عمليات عقلية ؛ ولهذا يصح أن نعالجها كناحية عقلية معرفية ، فى أغلب الحالات نجد أن التغيرات الحركية مظاهر لتغيرات عقلية . وهنا يتبين جيداً أن من الصعب أن نفصل بين النواحى الجسمية والنواحى العقلية

المستوى الترابطى :

ويظهر أثر النواحى العقلية بوضوح أكثر عند ما نحاول تحليل العمليات العقلية فى المستوى الترابطى ، وهى التذكر والتصور ، وتداعى المعانى ، والتخيل والوعى والحفظ ، وتكوين العادات المعرفية . فإدراكنا للجديد يتبعه عادة حدوث ارتباطات مع ما فى الذهن من مجمعات عقلية تكونت فى الماضى من الخبرات السابقة . . وهذه المجمعات تجتذب إليها المدركات الجديدة ، وبهذا التفاعل المستمر يتم الاختيار الذى يقوم به العقل فى انتقاء ما يدور فى مجال السلوك من مدركات مختلفة ويختلف الناس كثيراً فى مقدراتهم الترابطية ،

وكلنا يعلم الفروق الفردية فى التذكر والنسيان ، وفى سرعة استحضار الصور الذهنية المرتبطة بمثيرات خاصة وليس هذا فقط ، بل يختلف الناس أيضا فى تفكك محتويات عقولهم أو تماسكها ، وما يتبع ذلك من تفكك أو تسلسل فى أفكارهم وتعبيراتهم .

ومما يجدر معرفته فى هذا المستوى بالنسبة لدراسة الشخصية اختلاف الناس فى نوع تخيلاتهم التى تسهل عليهم عمل الترابطات اللازمة للتذكر أو الحفظ ؛ فمن الناس من يكونون بصريين ، ومنهم من يكونون سمعيين ، ومنهم من يكونون حركيين ، وهكذا على حسب الناحية القوية فيهم من حيث القدرة على التخيل . ويتضح هذا الاختلاف من الأمثلة الآتية : —

هناك أشخاص يفكرون بصورة بصرية غالبا ، وعندما يحفظون أو يستذكرون يعتمدون على الإدراك والتخيل البصرى عند التذكر ، فيتذكرون العبارات بمكانها فى السطر أو الصفحة مثلا . بينما نجد أشخاصاً آخرين يميلون إلى التفكير بصور سمعية ، ويفضلون أن يستمعوا بآذانهم ، وأن يتصوروا النغمة والأصوات التى سمعوها عند محاولة التذكر، بل إن بعض الناس يوجد عندهم التخيل الحركى بوضوح فى أفكارهم وتصوراتهم ويمكن أن نعرف هذه الأنواع من الشخصيات بأساليبهم فى الكتابة أو فى الحديث . فإذا طلبت من ثلاثة أشخاص أن يشرحوا لك ما حدث فى حفلة ساهرة مثلا فإن النوع البصرى سيغلب على حديثه ما رأى وما يتصوره بصريًا من ألوان الملابس والأنوار وأوصاف الأشخاص من أماكن جلوسهم وهكذا ، بينما تجد النوع السمعى يصور لك الحفلة بطريقة تغلب فيها الصور السمعية للموسيقى أو الغناء ، أو أصوات الحاضرين ، أو ما كان هناك من ضوضاء

وسكون . . وأما النوع الحركى فيستعين بيديه وحركاته مقلداً ما حدث من حركات وانتقالات ، و إشارات حركية وهكذا ؛ على أن هذه الأنواع من الشخصيات لا تظهر بوضوح إلا فى الحالات الظاهرة كما فى أعراض الأمراض العقلية المختلفة . ولـكن أغلب الناس العاديين لديهم هذه القدرات المختلفة بنسب يصعب فيها تمييز نوع الشخصية التى ينتمون إليها .

مستوى إدراك العلاقات :

فى هذا المستوى من العمليات العقلية نجد أيضاً حدوث ارتباطات كما فى العمليات العقلية فى المستوى السابق ، ولـكن الارتباط فى هذه المرة لا يحدث بطريقة ميكانيكية و إنما يحتاج لإعمال العقل فى إدراك العلاقات بين المترابطات، وفى تـكوين علاقات جديدة ليستفيد بها العقل . و يتضح هذا فى العمليات العقلية الخاصة بالتفـكير والاستنتاج ، و استخلاص النتائج من المقدمات ، والتخيل والابتكار .

وطبيعى أن العقل فى هذا المستوى يعتمد على جميع العمليات العقلية فى المستويات السابقة أيضاً ، بل إن إدراك العلاقات قد يحدث أيضاً فى أحد المستويات السابقة ، إذ أن الإدراك الحسى يعتبر إدراك علاقة بين المحسوسات ومدلولاتها ؛ وتـكوين العادات الحركية أو المهارات اليدوية يعتمد فى أساسه على تـكوين علاقات معينة وعمل ارتباطات ثابتة بين سلسلة من الخبرات . وهكذا يمكن أن ندرك أن أية ظاهرة نفسية يمكن أن تظهر بدرجات مختلفة فى المستويات العقلية المختلفة .

و يمكن أن ندرك أهمية العمليات العقلية فى هذا المستوى فى تـكوين

الشخصية إذا علمنا مبلغ الاختلافات الفردية فى القدرة على التفكير والابتكار؛ فمن الناس من يتبع خطوات بطيئة مرتبة صريحة فى تفكيره، ومنهم من يعتمد فى تفكيره على الإلهام والخطوات الضمنية، ومنهم من لا يحسن التفكير إلا فى مجال ضيق الأفق، ومنهم من يستطيع الإلمام بأطراف الموقف ويستعرضه كله بوضوح وجلاء.

على أن أهم ما يمكن أن ننظر إليه فى هذا المستوى هو القدرة على تقدير الجمال وما ينطوى تحت هذه القدرة من اختلافات فردية؛ فهناك من يهتمون فى نظرتهم الجمالية بالحقيقة الواقعة، أو ما يلمسونه بحواسهم، ويقابل هؤلاء فريق خيالى ينساق فى أحكامه وتقديراته للجمال على ما يستثار فى نفسه من عواطف وانفعالات وخيالات، وهناك من يبدعون فى الابتكار الفنى التعبيرى كالموسيقيين والمصورين والشعراء، ومن توجد عندهم المقدرة على تقدير الجمال وتذوقه بدون أن يكونوا أنفسهم فنانين . . . .

هذا ويظهر أثر الذكاء فى هذا المستوى بوضوح كبير لدرجة أن سبيرمان (Spearman) كان يعتقد أن أساس الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات واستنتاج علاقات جديدة أو إدراك المتعلقات. ولكن ينبغى أن ننظر للذكاء نظرة أوسع بحيث يشمل جميع المستويات السابقة. فهو القدرة الفطرية المعرفية العامة التى يمكن الاستفادة بها فى جميع العمليات العقلية.

(ب) القدرات العقلية المعرفية

يولد الناس جميعاً مزودين بنفس الأنواع من العمليات العقلية التى رأيناها فى المستويات السابقة، ولكنهم بجانب ذلك يزودون بقدرات متفاوتة، ومواهب مختلفة من حيث الدرجة؛ ولهذ نجد أنه مع ما لجميع الأفراد من الحق

الطبيعى فى التمتع بالحياة بكل مافيها إلا أن ما ركب فى نفوسهم من استعدادات مختلفة يجعل من المستحيل أن تتساوى الفرص التى تتاح لكل منهم .

ومع ما لكل فرد من الحق فى التعليم إلا أن من الخطأ أن نتجاهل الفروق الفردية وأن نعطى الجميع نفس النوع من الدراسة والتثقيف فمبدأ تكافؤ الفرص إذن يخضع لشرط ضرورى جداً ، وهو وجود الدرجة الكافية من الاستعداد الفطرى ، وتوافر القدر اللازم من القوى والقدرات العقلية ، بحيث يصح أن تتكافأ الفرص إذا تساوت الاستعدادات والمواهب .

ولكن ما هى هذه الاستعدادات أو القدرات العقلية التى تتحكم فى مدى ما يمكن المرء أن ينال من فرص فى هذه الحياة ؟

من المهم أن نجيب عن هذا السؤال فى هذه المناسبة خصوصاً أن هذه القدرات والمواهب هى التى تحدد المستوى الممكن أن تصل إليه الشخصية من حيث المركز الثقافى والاجتماعى ، وما يحتمل أن تتصف به الشخصية من حيث الأسلوب العام فى الحياة .

من الممكن — لتسهيل دراسة هذه القدرات — أن نقسمها كما يأتى :—

أولا : القدرات المعرفية الفطرية وتشمل :

(ا) القدرة العامة أو « الذكاء » .

(ب) القدرات الطائفية أو « الملكات » .

ثانياً : القدرات المعرفية المكتسبة وتشمل :

(ا) الثقافة العامة عند الشخص .

(ب) الثقافات الخاصة أو أنواع التخصص الدراسى والمهنى .

وسأتناول هذه القدرات بشىء من التفصيل فى الفصول القادمة .

الفصل الخامس

الذكاء

—

معنى الذكاء :

الذكاء حسب وضعه فى التخطيط العام لمكونات الشخصية هو «القدرة العقلية المعرفية الفطرية العامة» . ومعنى كونه قدرة عقلية أنه لا يتأثر فى جوهره بالنواحى الجسمية أو الصحية ، فقد نجد شخصا ذكيا رغم ضعف بنيته وانحلال صحته . . . وقد نجد شخصا قوى الجسم جيد الصحة ومع ذلك يكون غبيا أو ناقص الذكاء . . . أما كونه قدرة معرفية فيدلنا على أن المجال الذى يظهر فيه الذكاء بوضوح هو النواحى العقلية التى تتصل بكسب المعرفة وزيادة الخبرة . ومعنى ذلك أن النواحى المزاجية والخلقية فى الشخصية لا تؤثر فى جوهر الذكاء الذى يخلق به الفرد ، فقد نجد شخصا معتدل المزاج وهادىء الخلق ولكنه على درجة قليلة من الذكاء . . . بينما نجد شخصا آخر متقلب المزاج وسىء الخلق ولكنه على درجة عالية من الذكاء .

أما كون الذكاء قدرة عامة فيدل على أنه عامل مشترك يتدخل فى جميع نواحى نشاطنا العقلى ، ويتوقف عليه نجاحنا أو إخفاقنا فى جميع العمليات العقلية من جميع مستوياتها من إحساس وإدراك وتصور وتفكير وتخيل . ولذا فإن للذكاء أهمية خاصة كدعامة من دعامات الشخصية ، فهو فى الواقع سلاح الشخصية فى التصرف فى المواقف المختلفة والتكييف مع البيئة وظروفها المتقلبة ، والتحكم فى النزعات والدوافع النفسية ، والتوفيق بينها وبين تقاليد

البيئة ومقتضياتها . وعلى قدر ما يكون لدى الشخص من ذكاء تكون قدرته على الاستفادة بما حوله من تسهيلات ، وقدرته على اختيار ما يصلح له من خبرات ، وتعلم ما ينبغى له أن يتعلمه من هذا المحيط الواسع الذى يكون مجال حياته .

والشخص الذكى يستطيع أن يدرك أهمية الاحتفاظ بصحته الجسمية ووقايتها من الأمراض ، ويستطيع أن يعمل على تهيئة الظروف الاجتماعية المحيطة به بما يساعد على تحسين مستواه واستكمال نواحى النقص فى شخصيته ؛ بينما الشخص الغبى لا يمكنه قصوره العقلى من هذا ، بل كثيرا ما يسوقه ضعفه العقلى إلى ما يحط من شأنه وما يزيد فى انحلال شخصيته وشذوذها .

فطرية الذكاء :

أما كون الذكاء قدرة فطرية فمعنى ذلك أنه استعداد يرثه الشخص عن أبويه وأجداده ، وأنه يكون بذلك من صفات الشخصية الثابتة نسبيا ، والتى يولد بها الشخص وتبقى معه طول حياته فى حدود ما خلق به . فالشخص الذى يوهب قسطا كبيرا من الذكاء يظهر ذكاؤه فى جميع مراحل حياته ويكون مزوداً بسلاح قوى يساعده على شق طريقه فى الحياة . . . أما الشخص الذى يولد غبيا فسيظل غبيا طول حياته ، ويكون أشبه بمن ورث قصر القامة عن أبويه وأجداده . . . ولن يفيده أى علاج فى زيادة ما لديه من الذكاء المحدود . وكل ما يمكن عمله لتحسين حالته أن نهيىء له الظروف التى تجعله يستغل القدر الموجود عنده من الذكاء إلى أقصى الحدود . . . ولكن لا يمكن أن نخلق من الشخص الغبى عبقريا إذ أن هذ أمر من فعل الطبيعة ذاتها .

والمقصود بالذكاء الفطرى ذلك القدر من الموهبة العقلية العامة التى يولد

بها الشخص وتبقى معه مدى حياته سواء ظهر أثرها واستغلها صاحبها فوضحت آثارها ، أم بقيت كامنة ولم تتح لها الفرصة للظهور بالقدر الكافى الذى يدل على قوتها . . . إذ أن وجود قدر معين من الذكاء الفطرى أمر يختلف عن الذكاء النشط أو الفعال وهو القدر المستغل من الذكاء الذى يخلق به الفرد . فقد نجد شخصا ذكيا بالفطرة ولكن ظروف حياته الصحية والاجتماعية تجعله ينطوى على نفسه فتقل خبراته ولا يستغل ذكاءه فيبقى كامنا و يبدو كما لو كان شخصاً غبياً . . . ولهذا نجد أن أحكامنا على ذكاء الأفراد تتطلب دراسة ظروفهم من جميع نواحيها ؛ ولا يكفى أن نختبر ذلك الجزء الظاهر من ذكائهم الفعال ، بل يحسن التأكد من وجود ما لديهم من ذكاء كامن ، وذلك بتكرار اختبارنا لذكاء الشخص فى أكثر من موقف وفى مراحل متغيرة من حياته .

ومن أهم الدلائل التى تؤكد لنا أن الذكاء استعداد فطرى ما يأتى : —

١ — دلت البحوث التتبعية على أن ضعاف العقول والأغبياء تكثر نسبتهم فى العائلات المشهورة بنقص الذكاء . كما أن نسبة ضعاف العقول بين أبنائهم تزيد عنها بين أبناء الأفراد من العاديين والأذكياء .

٢ — وكذلك الحال فى حالات العباقرة ومن وهبوا قدرة عالية من الذكاء فإن نسبتهم تكثر فى العائلات المشهورة بالتفوق العقلى — كما أن نسبة العباقرة بين أبنائهم تزيد عنها بين أبناء العاديين — بينما يندر أن يولد لهم أبناء من ضعاف العقول .

٣ — دلت نتائج الدراسات المقارنة للذكاء على أن التشابه فى درجة ذكاء الأفراد يزداد كلما قويت أواصر علاقة القربى بينهم — فبينما يصل معامل الارتباط بين ذكاء التوائم إلى ٨٦ر٠ ، نجد أن معامل الارتباط بين ذكاء الإخوة يقل عن ذلك إلى ٥٠ر٠ تقريبا — أما معامل الارتباط بين ذكاء

أولاد العم فلا يزيد كثيرا عن ٣٠ر٠ — أما إذا لم توجد أى صلة عائلية بين الأفراد فنجد أن معامل الارتباط بين ذكائهم صفراً . ومعنى ذلك أنه كلما زادت الصلة العائلية المبنية على الوراثة كلما زاد التشابه بين الأفراد فيما يكون عندهم من الذكاء .

٤ — أثبتت الدراسات التى أجريت على الأفراد الذين ينشأون فى بيئات موحدة — كالأطفال الذين تضمهم ملاجىء اللقطاء مثلا — على أن الفروق بينهم فى الذكاء واسعة جداً ، رغم تساويهم فى أثر عوامل البيئة ، مما يدل على أهمية العنصر الوراثى فى اختلافهم فى الذكاء .

٥ — لقد وجد أن تغيير ظروف البيئة وتحسينها ، لا يحدث أثراً جوهرياً فى كمية الذكاء ، بل إن الأفراد الذين تضمهم مؤسسات ضعاف العقول يظلون ناقصى الذكاء رغم ما يبذل لهم من جهود فى تحسين ظروف حياتهم . كما أن عوامل الفقر واضطرابات البيئة لا تنقص من جوهر الذكاء وكميته ، وإن كانت تؤثر فى طريقة استعماله والانتفاع به .

قياس الذكاء :[1]

من أحسن تعاريف الذكاء التى ترشدنا عند قياسه ما قاله Stoddard وهو أن :

« الذكاء هو القدرة التى تميز الأشخاص عند قيامهم بأنواع النشاط العقلى التى تتضح فيها عوامل :

١ — الصعوبة .　　٢ — التعقيد .　　٣ — المعنوية .

٤ — الاقتصاد فى الوقت والمجهود .　　٥ — التكيف نحو الهدف .

٦ — القيمة الاجتماعية .　　٧ — الابتكار .

٨ — الاستمرار فى الظروف التى تتطلب تركيز الطاقة العقلية .

٩ — مقاومة العوامل الانفعالية والتعصب » .

(١) أنظر كتاب « الاختبارات والمقاييس العقلية » للمؤلف

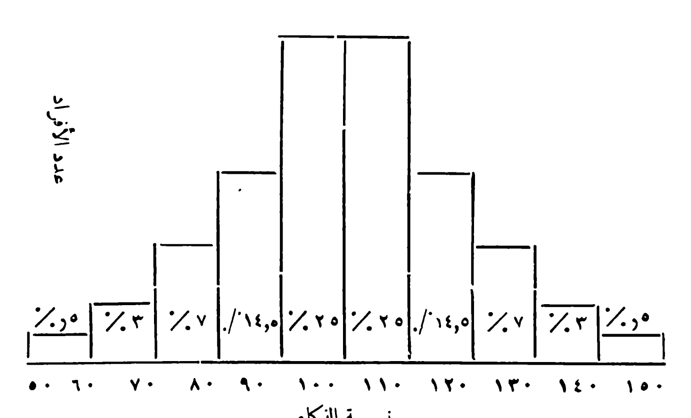
ونظراً لأهمية هذا العامل الرئيسى أو القدرة العامة — لا فى حياة الأفراد وحدهم بل فى حياة الجماعات أيضاً — فقد وجهت العناية لقياس الذكاء فى فى أوائل القرن الحاضر، فكثرت اختباراته وتنوعت، وقام العلماء بتجريبها وتطبيقها فى ميادين كثيرة. إلى أن وصلت اليوم لدرجة كبيرة من الإتقان، بحيث يمكن الاعتماد عليها فى تمييز طبقات الذكاء المختلفة بكثير من التحديد، خصوصاً فى حالات نقص الذكاء أو ارتفاع نسبته بدرجات كبيرة.

وتوجد بمصر الآن اختبارات صالحة للاستعمال وتم تطبيقها فعلا بنجاح كبير فى المحيط التعليمى[1]، ويمكن متابعة الجهود لتمصير مئات الاختبارات المتنوعة فى القياس العقلى لمختلف الأفراد فى مراحل النمو المختلفة، كما هو متبع الآن فى جميع البلاد الراقية حيث يوثق باختبارات الذكاء وقيمتها فى ميادين التوجيه التعليمى، والتوجيه المهنى، والاختبار فى فروع الجيش المختلفة، وفى كل أمر نحتاج فيه إلى تقدير الشخصية من حيث الاستعداد العقلى.

الاختلافات الفردية فى الذكاء:

ويهمنا هنا أن نعرف أنواع الشخصية من حيث الاختلاف فى الذكاء ومبلغ تأثير ما لدى الأفراد من هذا الذكاء فى تحديد مدى نجاحهم فى الحياة. ولقد دلت البحوث الإحصائية على أن توزيع الذكاء فى بنى الإنسان يتبع بصفة عامة المنحنى الاعتيادى حيث نجد الأغلبية فى وسط المنحنى من العاديين فى الذكاء، ثم يتدرج التوزيع على الجانبين إلى أن نجد أقلية من العباقرة فى طرف، وأقلية من ضعاف العقول فى الآخر، وبين هذين الطرفين نجد طبقات متدرجة لمستويات الذكاء المختلفة كما يتضح من التوزيع الآتى. وقد روعى فيه التقريب لتوضيح التوزيع على جانبى المنحنى.

(١) انظر كتاب قياس الذكاء للأستاذ إسماعيل القبانى



بيان توزيع الذكاء على ٣١٨٤ طفلا حسب نتائج أبحاث ترمان ومرل

ويتبين من هـذا التوزيع أن ٥٠٪ من الأفراد تقع نسبة ذكائهم بين ٩٠ ، ١١٠ أى متوسطين فى الذكاء . وأن حوالى ١٠٪ تقل نسبة ذكائهم عن ٨٠ ومثل هذه النسبة أيضاً ممن يزيد ذكاؤهم عن ١٢٠ — وفيما يلى جدول يوضح مراتب الذكاء أو طبقاته ونسبة الذكاء التى تحدد كل طبقة على وجه التقريب .

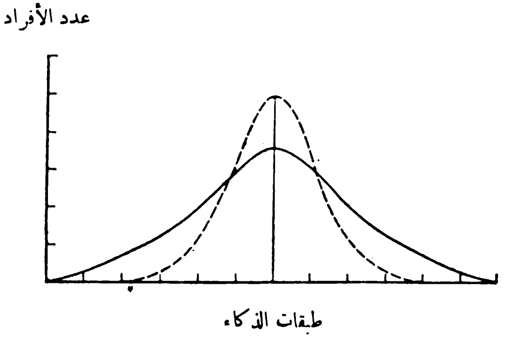
مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	النسبة المئوية لعدد الأفراد
عبقرى أو قريب من العبقرية	١٤٠ فأكثر	٢٥ر٠
ذكى جداً	١٢ — ١٤٠	٧٥ر٦
فوق المتوسط أو ذكى	١١٠ — ١٢٠	٠٠ر١٣
عادى أو متوسط الذكاء	٩٠ — ١١٠	٠٠ر٦٠
أقل من المتوسط أو غبى	٨٠ — ٩٠	٠٠ر١٣
غبى جداً	٧٠ — ٨٠	٠٠ر٦
ضعيف العقل	أقل من ٧٠	٠٠ر١
مورون (عمر عقلى بين ٨ — ١٠ سنوات)	٥٠ — ٧٠	٧٥ر٠
أبله (عمر عقلى بين ٣ — ٧ سنوات)	٢٥ — ٥٠	١٩ر٠
معتوه (عمر عقلى سنتين فأقل)	أقل من ٢٥	٠٦ر٠

جدول يوضح المقصود بطبقات الذكاء

الفرق بين الجنسين فى الذكاء :

أيهما أكثر ذكاء الرجل أم المرأة ؟ دلت الدراسات الواسعة لذكاء الأفراد من الجنسين على أن المتوسطين من الرجال والنساء متساوون فى الذكاء . غير أن توزيع الذكاء بين الرجال أوسع فى مداه من توزيع الذكاء بين النساء، بمعنى أن الفروق الفردية بين الرجال فى الذكاء كبيرة فى حين أن الفروق فى الذكاء بين النساء قليلة ، أى أن النســـاء أكثر تجانسا وتقاربا فى درجات ذكائهم من الرجال .

ويدلنا على ذلك أن عدد الشواذ من الرجال أكثر من عدد الشواذ من النساء ، ويسرى ذلك على ناحيتى منحنى التوزيع معاً بحيث نجد عدد العباقرة والممتازين فى الذكاء من الرجال أكثر من عدد العباقرة والممتازين فى الذكاء من النساء . . . وكذلك عدد ضعاف العقول والأغبياء من الرجال أكثر من عدد ضعاف العقول والأغبياء من النساء .



الفرق بين الجنسين فى الذكاء (المنحنى المرسوم بالنقط يمثل ذكاء النساء)

ويمكن توضيح هذه الظاهرة بالرسم الآتى الذى يمثل فيه المنحنى الأول توزيع الذكاء بين الرجال ، ويمثل فيه المنحنى الثانى (النقط) توزيع الذكاء بين النساء .

ويمثل محور السينات طبقات الذكاء ويمثل محور الصادات عدد الأفراد .

ويلاحظ أن عدد الأفراد يكثر فى الطبقة المتوسطة للعاديين فى كل من المنحنيين ، غير أن عدد العاديين فى النساء أكثر . . .

ويقل عـــدد الأفراد بالتدريج على جانبى المنحنى بنسب مختلفة فى الرجال والنساء .

شخصية العبقرى :

يمكن أن نلمس أثر عامل الذكاء فى تكوين الشخصية بوضوح أكثر — بدراستنا لشخصية من وهبوا درجة عالية من الذكاء — أى العباقرة — من جهة ، ومن وهبوا كمية قليلة من الذكاء — وهم ضعاف العقول — من جهة أخرى .

ومن أهم الدراسات التى تفيدنا فى دراسة شخصية العبقرى تلك التى قام بها جولتون (Galton) وكذلك الأبحاث التى قامت بها كاترين كوكس (Catharine Cox) فى تتبع تاريخ حياة مشاهير الرجال ، وكذلك البحث الذى قام به ترمان (Terman) لتتبع حياة ١٤٥٠ طفلا من أطفال المدارس الذين حصلوا على نسبة ذكاء تجعلهم فى مصاف العباقرة ، ذلك البحث الذى بدأه من عام ١٩٢٢ ، والذى لا زال يتتبع حالاته حتى الآن .

وقد أثبتت هذه البحوث عدم صحة الفكرة السائدة وهى أن الأشخاص الموهوبين وذوى العقليات الفذة يكونون عادة ضعيفى الجسم أو غير ثابتين من الناحية المزاجية ؛ بل إن العكس هو الصحيح حيث تبين أن القوة والصحة

الجسمية ، وكذلك الصفات المزاجية والخلقية — فى الأذكياء والعباقرة — تفوق تلك التى توجد فى الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن نسبة الوفيات ونسبة من يصابون بالجنون ، ونسبة الطلاق فى المتزوجين — فى الأذكياء والعباقرة — أقل منها فى العاديين وضعاف العقول .

ومن الثابت أن جميع من وصلوا إلى الشهرة والتفوق كانوا من بين من ظهرت عليهم علائم النبوغ والعبقرية فى طفولتهم ، ولكن العكس غير صحيح فليس كل من وهب الذكاء العالى يستطيع أن يصل إلى الشهرة ، بل إن بعض من أثبتوا ذكاء ممتازاً تضطرهم ظروف حياتهم الأخرى للاشتغال بأعمال بسيطة ومهن لا تحتاج لذكاء كبير كالأعمال الكتابية مثلا . ويرجع ذلك للاختلافات الفردية بين هؤلاء الأشخاص فى مكونات الشخصية الأخرى جسمية كانت أو مزاجية أو اجتماعية ، رغم تساويهم فى الذكاء العالى . ومن أمثلة ذلك عدم تساوى الفرص بين الرجال والنساء واضطرار السيدات للتفرغ للشئون الزوجية والمنزلية ، والانشغال عما يؤدى بهن إلى النبوغ والشهرة فى ميادين الحياة العامة ، ولهذا يعزى نقص عدد المشاهير من النساء فى الأدب والشعر أو القانون والطب والعلوم ، فذلك راجع لعدم توافر الفرص لا لعدم وجود المواهب .

ومن هنا يتبين تداخل مكونات الشخصية وأثر تفاعلها بعضها مع بعض فى التأثير على مستقبل الشخص . . وقد وجد « ترمان » أنه برغم تساوى أفراد مجموعته فى مستوى الذكاء العالى فإن النجاح فى الحياة الزوجية مثلا يختلف بينهم بحسب الاختلاف فى التكوين المزاجى والانفعالية العامة والعادات

الخلقية ، وأن الاختلاف فى درجة الشعور بالسعادة الزوجية يتمشى مع الصحة النفسية وتكامل الشخصية فى جميع عناصرها .

وهناك عوامل أخرى لازمة للشهرة والنبوغ والتفوق بجانب عامل الذكاء، فالعباقرة المشهورون من أمثال : جولتون ونسبة ذكائه(٢٠٠) وبسكال(١٨٠) وڤولتير (١٧٠) وموزارت (١٥٠) ونابليون (١٣٥) ، كانوا يتصفون بجانب الذكاء الحاد بالمثابرة ، ووجود الدافع لبذل الجهد ، ووجود الثقة بالمقدرة وقوة الخلق . .

ويؤيد ذلك الأبحاث التى قام بها « ترمان » فى تقدير شخصية عدد كبير من مجموعته من العباقرة فى ١٤ صفة من صفات الشخصية إذ وجد أن أهم الصفات التى يتميز بها هؤلاء بحسب الترتيب هى : المثابرة ، والثقة بالنفس ، ووضوح الهدف ، والتحرر من الشعور بالنقص .

ولكن « ترمان » يقول أيضا أنه لا يصح أن نتجاهل عامل الفرصة (Chance) فى الشهرة والنبوغ ، إذ أن لكل نوع من أنواع التفوق والظهور ينبغى أن تتهيأ للفرد عوامل مرتبطة بالظروف الزمانية والمكانية التى خلق فيها . وهذا يوضح لنا بجلاء أثر عوامل البيئة فى تكوين الشخصية . والمثل على ذلك يتضح من حالة فرادى (Faraday) الذى ترك المدرسة وهو فى سن الثالثة عشرة ، والذى اشتغل صبيا فى مصنع لتجليد الكتب بعد ذلك بعام واحد ، وكانت مصادفة قراءته لمقال عن الكهرباء — فى أحد الكتب التى أعطيت له ليجلدها — هى التى أثارت فى نفسه الميل للعلوم ؛ وحتى هذه المصادفة وحدها لم تكن لتكفى لولا أن هيأ الله له همفرى دافى (Humphrey Davy) قريبا منه ليمده بالمساعدة والإرشاد .

وتدل الدراسات السابقة على أنه مع وجود الذكاء العام بدرجة عالية عند العباقرة من مشاهير الرجال فإن بعضهم يتميز بقدرات أخرى أو مواهب تظهر فى نواح معينة ، و يتضح ذلك بشكل ظاهر فى الموسيقيين والفنانين والشعراء؛ وتكون هذه الميول والمواهب الأخرى من القوة بحيث لا تقف أمامها الصعوبات والمعارضات . ففى أكثر من ٢٠ ٪ من الحالات كانت هناك محاولات للتدخل لتغيير مجرى الحياة أو الطريق الذى يريد أن يسلكه الموهوب وكان سبيلا إلى نبوغه ، ولكن قوة الدافع والرغبة فى إشباع القدرات البارزة كان يضطر بعضهم أحيانا إلى التمسك والمقاومة لدرجة تؤدى بهم إلى الهروب أو العصيان ؛ ومن أمثلة ذلك قصة بسكال (Pascal) الذى كان فى سن ١١ يهوى العلوم الرياضية بشغف زائد لدرجة أن والده فكر فى أن خير طريقة لمعاملته هى أن تحرمه من كتب الرياضة حتى يتقن اللاتينية والإغريقية . . ولكن بسكال تمكن سرا من أن يكون لنفسه نوعا خاصا من القواعد الهندسية أمكنه بواسطتها أن يدرس النظريات الإقليدية حتى نظرية ٣٢ .

و يرتبط بالنقطة السابقة تفسير علماء التحليل النفسى لبعض حالات الشهرة والنبوغ على أساس ما يحدث فى النفس من صراع بين الدوافع الحيوية حسب علاقة الطفل بآبائه و إخوته ومركزه فى الأسرة، وكونه موضع الرضا أو موضع السخط ، وكونه مدللا أو محروما . ويذهب أنصار هذا الرأى إلى القول بأن شهرة الفرد وظهور نبوغه يتوقف على مبلغ ما فى نفسه من عنف فى هذا الصراع لدرجة يجعل بعضهم يرمى الكثيرين من عظماء التاريخ بالإصابة بأمراض نفسية أو عقلية كالوساوس المتسلطة أو جنون العظمة . ويقول «ترمان» أن هتلر من الأمثلة الواضحة على ذلك حيث أنه لا يرجع ظهوره وشهرته إلى

مقدرات أو مواهب خارقة ، و إنما يرجع ذلك إلى عوامل ذاتية وعقد نفسية أحدثت عنده من القلق والسخط والكراهية والنزعة العدوانية ما كان يعكسه على الغير بتصرفاته التى قادت إلى الحرب والدمار .

ومن النتائج التتبعية لأبناء عدد من العباقرة فى مجموعة « ترمان » تبين أن متوسط نسبة الذكاء فى هؤلاء الأطفال ١٢٧ أى أنها تقل عن متوسط نسبة ذكاء الآباء وهى ١٥٥ ، مما يدل على أن وراثة الذكاء ليس معناها أن يرث الطفل ذكاء أبويه بنفس الدرجة بل إن هناك دائما الميل المتوقع إلى التجانس والقرب من القيمة المتوسطة .

ومن النتائج المتصلة بهذا أن النسبة المئوية لضعاف العقول بين أبناء مجموعة « ترمان » للعباقرة كانت نصف النسبة المئوية لضعاف العقول فى المجتمع .

ولعل من أهم ما يدل على أثر الذكاء فى الشخصية ما وجده « ترمان » أيضا من أن نسبة المشتغلين بأعمال مهنية راقية بين مجموعته ٥٠ ٪ ، كما أن ٣٠ ٪ آخرين يشتغلون فى أعمال محترمة متوسطة . ونسبة المشتغلين فى هاتين الطبقتين من المهن الراقية تبلغ ستة أضعاف النسبة المهنية فى حالة أفراد المجتمع العاديين .

ومما سبق يتبين أن نسبة الذكاء العالية من شأنها أن تساعد الشخصية على النجاح فى الحياة ، وأن عوامل الشخصية الأخرى تعمل جميعها كوحدة فى تسهيل سبل هذا النجاح .

شخصية ضعيف العقل[١] :

الضعف العقلى — كما يتبين من دراستنا لتوزيع الذكاء — يكوّن المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء . وقد رأينا أن من الممكن تقسيم الضعف العقلى نفسه إلى طبقات المورون والبله والعته ، وقد وجد أن نسبة ضعاف العقول فى المجتمع تقدر بنحو ١٪ من المجموع . ومعنى ذلك أنه يمكن القول بأن فى مصر الآن حوالى ٢٠٠ ألف من ضعاف العقول ، وهؤلاء يعيشون بيننا يتزاوجون ، ويشتركون فى الانتخابات ، ويدخلون المدارس ، وهكذا . وسنجد من دراستنا لشخصياتهم أنهم أيضا يكونون عنصرا هاما من عناصر الفساد والانحراف والشذوذ وعاملا من عوامل التأخر فى المجتمع المصرى .

والذى يهمنا فى هذا المقام أن نلمس مدى تأثير ما عندهم من نقص فى القدرة العقلية المعرفية العامة فى تكوين شخصياتهم التى تتصف بالقصور والتفكك .

وقد دلت الدراسات التى قام بها المهتمون بهذه الطائفة . أمثال بيرت (Burt) ، ولوس (Leuis) على أن الضعف العقلى يؤثر فى باقى مكونات الشخصية الأخرى بحيث يصحبه غالبا تأخر فى النمو الجسمى والانفعالى والخلقى .

ولهذا نجد أن الضعف العقلى يؤدى إلى عدم النجاح وانحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، وكل ما يمكن عمله إزاء هؤلاء ، هو حمايتهم وحماية المجتمع منهم ، أما أن نخلق من ضعيف العقل شخصية ممتازة ، أو قائدا مثلا فأمر مستحيل .

ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول ، أنهم يتأخرون فى النمو وفى المشى والكلام وسرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفا فى التوازن الحركى بحيث يبدو

---

(١) انظر كتاب عيادات العلاج النفسى للمؤلف .

ذلك فى تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم ، كما أن أفكارهم ضئيلة وآراءهم سطحية ، وفهمهم بطىء جداً ، وليس لديهم القدرة على التحكم فى دوافعهم النفسية وانفعالاتهم الغريزية ، ويصعب عليهم الاختلاط بالعاديين لتباين الميول ، واختلاف العقلية ؛ ولهذا ينسحبون من أوساط العاديين والأذكياء ، ليتجمعوا بعضهم مع بعض حيث يترسبون على مر الزمن فى القرى الصغيرة والأحياء الفقيرة والكهوف ، وما أشبه ذلك . وهم لضعف ذكائهم يكونون غير قادرين على التصرف فى مشاكل حياتهم ؛ ولذا يفشلون فى حياتهم الزوجية ، ويشرد أطفالهم ؛ ولذا يسهل على ضعاف العقول الانسياق إلى إدمان المخدرات والمشروبات الروحية ليجدوا فى حالات إدمانهم مايشعرهم بالسعادة والكفاية التى لا يحسونها فى حياتهم العادية إزاء عدم قدرتهم على تحمل المسؤلية . ومن السهل جداً قيادة ضعاف العقول لضعف إرادتهم ؛ ولهذا نجد أن عدداً من أذكياء المجرمين يستغل هذه الطبقة فى تنفيذ جرائمهم ، خصوصاً وأن من الممكن استغلالهم بحيث لا يكسبون من ورائها إلا نصيباً ضئيلا ؛ وهم لضعف عقلهم لا يستطيعون التحايل على الهرب ، أو حبك الخطة قبل تنفيذ الجريمة ؛ ولذا يسهل وقوعهم فى أيدى العدالة التى يفر منها الكثير من الأذكياء ؛ وهذا يفسر لنا نسبة ضعاف العقول بين المجرمين ، حيث تقدر بحوالى ٨٪ فى حين أن نسبتهم العادية ١٪ بين أفراد المجتمع كله .

على أن الأنواع المنحطة من ضعاف العقول وهم المعتوهون تصل شخصيتهم إلى درجة كبيرة من الضعف ، بحيث لا يستطيعون المحافظة على أنفسهم من الأخطار الخارجية المادية البسيطة ، ولا يستطيعون القيام بأى عمل مهما كان سهلا ، ويحتاجون لرعاية كاملة كالبهائم والأطفال الصغار .

أما البلهاء فهم وإن لم يصل النقص العقلى عندهم إلى درجة العته إلا أنهم يكونون غير قادرين على مباشرة مصالحهم ، أو المساهمة بالعمل على كسب عيشهم ، ولا يمكن تعليمهم سوى كلمات بسيطة .

ولكن المورون — وهم أعلى مراتب الضعف العقلى — فعلى الرغم من أن النقص العقلى عندهم لا يصل إلى درجة البله ، إلا أنهم مع ذلك يحتاجون إلى رعاية وإشراف لحمايتهم وحماية الغير منهم . وهم لا يستطيعون الاستفادة من التعليم فى المدارس العادية إطلاقا ، ولكن من الممكن أن يتعلموا فى مدارس خاصة (Special Schools) بعض الأعمال البسيطة التى تساعدهم على كسب العيش ؛ ولكنهم لا يمكنهم الاستقلال الذاتى حيث أن قدرتهم على التصرف محدودة ، وليس عندهم بعد نظر أو قدرة على تمييز الخطأ من الصواب . وهؤلاء هم الذين يكونون نسبة كبيرة بين المجرمين .

وإذا وجد بجانب الضعف العقلى نزعات إجرامية ، أو ميول انفعالية شاذة بحيث تطبع الشخصية بمظاهر الانحراف الخلقى ، ففى هذه الحالة تسمى هذه الطائفة ضعاف الخلق (Moral Defectives)

وقد يوجد مع الضعف العقلى مضاعفات أو نواح أخرى من الشذوذ كالضعف العقلى المصحوب بالصرع ، أو الضعف العقلى المصحوب بالصمم أو البكم ، وغير ذلك مما يزيد الحالة سوءاً .

وأحيانا تصحب الضعف العقلى تشوهات أو علامات ، أو وصمات جسمية ظاهرة ، ومن أمثلة ذلك : الضعف العقلى المصحوب بكبر الجمجمة ، وفى هذه الحالات يكون حجم الرأس كبيراً ولكنه ممتلىء بالسائل المخى مع ضمور فى نمو المخ ؛ وحالات صغر الجمجمة ، وهؤلاء تكون الجمجمة عندهم صغيرة بدرجة

ملحوظة رغم نمو الوجه بالحجم الطبيعى ، وغالبا نجد مستوى قمة الرأس فى هؤلاء لا يصل إلى أكثر من مستوى الأذنين ؛ وقد رأيت بعض هذه الحالات فى مستعمرة لضعاف العقول بانجلترا حيث كان جلد الرأس مجعداً نظراً لصغر الجمجمة .

ومن الحالات المتميزة أيضاً نوع الضعف العقلى المصحوب بقلة إفراز الغدة الدرقية ، والذى يؤدى إلى قصر القامة والقزمية ، وهؤلاء يمكن تحسين ذكائهم لو أمكن ملاحظتهم مبكراً . وهناك نوع آخر مشهور من ضعاف العقول وهم النوع المنغولى ، وهؤلاء يشبهون المغوليين فى شكل عيونهم ووجوم الوجه وغلظ اللسان وعدم القدرة على التعبير بالكلام ، وكثرة حركتهم بحيث لا يستقرون فى مكان .

وهكذا رأينا أن الضعف العقلى و إن كان فى الأصل عقلياً ومتصلا بالنواحى المعرفيـة من الشخصية إلا أن مكونات الشخصية الأخرى تتمشى بعضها مع بعض متأثرة بهذا الضعف حتى إنه يغلب أن تكون شخصية ضعيف العقل واضحا فيها الشذوذ الجسمى والانفعالى والخلقى أيضاً مما يدل على وحدتها ووجود التفاعل المستمر بين مكوناتها .

الفروق الفردية فى الذكاء وأثرها فى الشخصية

اتضح مما سبق أثر قوة الذكاء أو ضعفه فى تكوين الشخصية بدراستنا للطائفتين المتطرفتين وهما العباقرة وضعاف العقول . والآن نبحث فى مراتب الذكاء بصفة عامة لنرى كيف يؤثر الذكاء فى الشخصية كما يبدو فى مظاهر السلوك العامة فى الحياة الاجتماعية والتعليمية والمهنية .

يتميز الشخص الذكى باليقظة والقدرة على الملاحظة ، والوعى والحفظ وخصوبة الخيال ، ودوام تفاعل الأفكار والقدرة على الاستفادة بها ، كما يتميز

بسرعة التصرف واللمح والاستبصار و بعد النظر ، والقدرة على نقد الذات ؛ بجانب القوة الحيوية أو الطاقة الفعالة التى توجد وراء الذكاء فتدفع بصاحبه دائما إلى الأمام .

أما الشخص الغبى فعلى النقيض من ذلك تماما ، ولذا نجد أن الغباء من عوامل تدهور الشخصية وفشلها فى الحياة وقابليتها للشذوذ الاجتماعى والخلقى ؛ ويمكن أن نجد أثر ذلك واضحاً فى الأمثلة الآتية : —

١ — علاقة الذكاء بالإجرام .

٢ — علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم .

٣ — علاقة الذكاء بالنجاح فى المهنة .

علاقة الذكاء بالإجرام :

تدل الإحصاءات التى تعمل فى محيط الانحراف والإجرام على أن احتمال انسياق الشخصية إلى الإجرام يتناسب تناسباً طردياً مع درجة الغباء أو عكسيا مع درجة الذكاء . ومن أمثلة ذلك النتائج التى وجدها مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث بالقاهرة ، حيث دلت نتائج قياس الذكاء لمجموعة مكونة من ٤١٨ طفلا من الحالات التى وردت إليه على ما يأتى : —

حالة الذكاء	النسبة المئوية
ذكى جداً	١٫٥٠ ٪
فوق المتوسط	٥٫٥٠ ٪
متوسط	٢٠٫٢٥ ٪
أقل من المتوسط	٢٧٫٠٠ ٪
غبى	٢٤٫٥٠ ٪
ضعيف العقل	٢١٫٢٥ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

ورغم ما يحيط بمثل هذه الاحصائيات من عوامل تجعل نتائجها مرهونة بظروف القياس وصحة الاختبار وتحفظات أخرى خاصة ، إلا أنها على العموم متمشية مع النتائج التى نجدها عادة فى البلاد الأخرى والتى تؤيد أهمية عامل الذكاء فى الإجرام . ومن أمثلة ذلك ما قام به أحد الباحثين (أنظر Guilford صفحة ٥٤٤) بتقدير نسبة ذكاء مجموعة مكونة من ٤٦٩ طفلا من نزلاء الاصلاحيات بمقاطعة كاليفورنيا بأمريكا حيث وجد ما يأتى : —

نسبة الذكاء	النسبة المئوية
أقل من ٧٠	٢٣ر٧ ٪
من ٧٠ — ٩٠	٣٨ر٦ ٪
من ٩٠ — ١١٠	٣١ر٥ ٪
فوق ١١٠	٦ر٢ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

كما وجد باحث آخر أن متوسط نسبة الذكاء لمجموعة أخرى مكونة من ٣٥٨٤ طفلا من الأطفال المنحرفين بين سن ٩ ، ١٦ كانت ٨٢,٢ .

ويمكن أن نضاعف الأمثلة من الاحصائيات التى تؤيد بوضوح أهمية عامل الذكاة وتأثيره فى الشخصية وعلاقة الغباء بالإجرام .

علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم :

من التعاريف الهامة للذكاء تعريف كالفن (Colvin) بأنه « القدرة على التعلم » . ومعنى ذلك أن هناك تناسبا طرديا بين مالدى الفرد من ذكاء أو قدرة معرفية فطرية عامة و بين قدرته على التعلم ، وهذه حقيقة لا يمكن

إنكارها حيث أن معامل الارتباط بين الذكاء والنجاح المدرسى بصفة عامة يزيد عن ٧٤,٠ مع مراعاة أن علاقة الذكاء بالنجاح فى المواد المختلفة تختلف من مادة إلى أخرى حسب ما تحتاجه المادة من قدرات أو مواهب خاصة بجانب الذكاء.

وتدل الأبحاث الكثيرة فى محيط النجاح والتأخر الدراسى على أن المستويات التعليمية المختلفة تحتاج إلى ما يناسبها من الذكاء . فالدراسة بالتعليم العالى مثلا تتطلب حدا أدنى من مستوى الذكاء بدونه لا يمكن للشخص أن يجتاز هذه المرحلة مهما بذل من جهد . ويرجع عدد كبير من حالات الفشل المدرسى إلى قصور الذكاء وضعف مستواه وعدم تناسبه مع المرحلة الدراسية التى بها التلميذ ، حيث يضيع سدى كثير مما يبذله الآباء والمدرسون من المال والجهد والوقت فى تعليم هذه الحالات .

ويمكن أن نلمس هذا بوضوح إذا قمنا بدراسة إحصائية بسيطة لعدد التلاميذ الذين يترسبون فى الفرق المدرسية المختلفة نظرا لعدم توافر الذكاء اللازم عندهم للتمكن من النجاح ، فسنجد أن هؤلاء عادة ممن تزيد أعمارهم عن المستوى العادى لفرقهم المدرسية .

وفى انجلترا وأمريكا يعطى عامل الذكاء أهمية كبيرة فى السياسة التعليمية وتدل أبحاث التوجيه التعليمى على أن مراحل التعليم المختلفة تتطلب مستويات معينة من الذكاء ، ومن أمثلة ذلك النتائج التى وصل إليها كاتل (R. B. Cattell) فى انجلترا حيث وجد ما يأتى : —

نوع التعليم	المدى المتوسط لنسبة الذكاء
الدرجات الجامعية	١٣٠ — ١٦٠
الدبلومات والشهادات العليا	١٢٠ — ١٥٠
التعليم الثانوى	١١٠ — ١٤٥
« المتوسط	١٠٥ — ١٤٠
« الابتدائى (الفصول العليا)	١٠٠ — ١١٥
« « (الفصول المتوسطة)	٨٥ — ١٠٠
« « (الفصول المتأخرة)	٧٥ — ٨٥
الفصول الخاصة	٧٠ — ٧٥
مدارس ضعاف العقول (مورون)	٥٠ — ٦٥
مستعمرات ضعاف العقول	أقل من ٥٠

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن هناك عوامل أخرى كثيرة تتدخل فى القدرة على النجاح المدرسى ، كالظروف الصحية والاجتماعية والصفات المزاجية والخلقية ؛ ولهذا يجوز أن نجد بين الراسبين من التلاميذ عدداً ممن توافر عندهم القدر الكافى من الذكاء ، ولكن ظروفهم الأخرى هى التى تحول بينهم و بين النجاح . ولكن العكس غير صحيح ، إذ أن المفروض أن جميع من يستطيعون الوصول إلى المراحل الدراسية العليا بنجاح — وبطريقة طبيعية — يعتبرون ممن توافر لديهم القدر اللازم من الذكاء العام .

سياسة التعليم فى مصر :

وإذا أريد لمصر سياسة تعليمية سليمة فيجب أن يبنى نظام القبول فى مراحل التعليم المختلفة على أساس الاستعداد العقلى والذكاء ، فنصل إلى نظام هرمى لمراحل التعليم وفيما يلى جدول يوضح الحد الأدنى لنسبة الذكاء الواجب توافرها عند الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة والنسبة المئوية لمن يمكن قبولهم

بكل مرحلة . . . ويتضح من هذا الجدول مثلا أن من يستطيعون مواصلة التعليم العالى بنجاح لا يزيدون عن ٧٪ فقط من المجموع الكلى الأصلى عند الالتحاق بمراحل الدراسة الأولى وهو الأساس لجميع نسب المقبولين .

مرحلة التعليم	مستوى الذكاء اللازم	النسبة المئوية للمقبولين
المدرسة الأولى من ٦ سنوات	٧٥ فأكثر	٩٣ ٪
المدرسة الاعدادية من ١٠ سنوات	٨٥ فأكثر	٧٥ ٪
المدرسة الثانوية من ١٢ سنة	١٠٠ فأكثر	٥٠ ٪
المدرسة الثانوية من ١٤ سنة	١١٥ فأكثر	٢٥ ٪
التعليم الجامعى	١٢٥ فأكثر	٧ ٪

ولا يظن أحد أن هذه النسب — المحددة لمن يصح قبولهم بكل مرحلة — قليلة ، فنحن لا نزال بعيدين فى مصر حتى اليوم عن الوصول إلى هذه النسب فى عدد المتعلمين فى كل مرحلة .. وكل ما نرمى إليه هو أن يسمح بالتعليم فى كل مرحلة بأحق التلاميذ وأكثرهم استعداداً وكفاءة . وبذلك يمكن الانتفاع بالثروة العقلية المصرية إلى الحد الأقصى ويتحقق مبدأ تكافؤ الفرص لمن يكون لديهم الاستعداد .

أما من لا يسمح لهم بالإلتحاق فى المراحل المختلفة فيصح توجيههم لمدارس خاصة تناسب استعدادهم وتنشئها الحكومة لأمثالهم — أو يلتحقوا بمدارس أو معاهد أهلية بمصروفات بحيث يتحملون نتائج رسوبهم . كما يصح أن تنشىء لهم الحكومة أنواعا من التعليم العملى والصناعى تتفق مع إمكانياتهم . أما من لا يصلحون لمتابعة مراحل تعليمية أعلى فعليهم أن يخرجوا للحياة العملية ليعملوا فى المهن الكثيرة التى لا تحتاج إلى درجات راقية من التعليم كالصناعات غير الفنية وأعمال الزراعة وغيرها .

علاقة الذكاء بالنجاح المهنى :

ويمكن قياسا على ما سبق أن ندرك أحد العوامل الهامة التى يتوقف عليها مدى نجاح الشخص فى مهنته . فقد دلت الاحصائيات فى محيط التوجيه المهنى على أن المهن الراقية تتطلب مستويات عالية من الذكاء ، وأن من الواجب أن ننصح ذوى المستوى المنخفض من الذكاء بعدم دخول هذه المهن وبأن يلجأوا إلى أنواع المهن الأخرى التى يصلحون لها ، والتى يفشل فيها غيرهم من الأذكياء . وتقاس صلاحية الشخص لمهنة معينة بحسن قيامه بها ورضاه بالاستمرار فى العمل فيها وعدم تركها إلى غيرها .

وتعتنى البلاد الأجنبية بالتوجيه المهنى على أسس علمية سليمة . ومن أمثلة ذلك ما يقوم به المعهد الأهلى لعلم النفس الصناعى بلندن حيث يفد إليه الكثيرون ممن يرغبون فى التوجيه للمهن المناسبة لهم ، فيقدم لهم النصح بعد دراسة حالاتهم بالاختبارات اللازمة .

وفى مصر الآن بداية جديدة للاهتمام باختيار أصلح المتقدمين للوظائف الحكومية المختلفة بعمل الاختبارات العقلية والمهنية التى تكشف عن استعداداتهم وقابليتهم للنجاح المهنى ويتم ذلك بمعرفة إدارة الاختيار والتمرين بديوان الموظفين .

وقد اقترح بيرت (Burt) — أثناء عمله بمعهد علم النفس الصناعى بلندن — تصنيفا للمهن المختلفة وما تتطلبه من مستويات الذكاء كالآتى : —

نسبة الذكاء	المهن
فوق ١٥٠	الوظائف والمهن التى تحتاج إلى تخصص فنى كالطب والمحاماة والتدريس العالى وإدارة الشركات . . .
١٣٠ — ١٥٠	الوظائف والمهن الفنية كالمدرسين فى التعليم العام وموظفى البنوك وأطباء الأسنان والصحافيين . . .
١١٥ — ١٣٠	المهن والوظائف الكتابية الفنية كرجال التأمين ، وأصحاب المكتبات والتجار وصناع الفنيين كالكهربائى والمهندس ، والميكانيكى . . .
١٠٠ — ١١٥	المشتغلون بأعمال تحتاج لمهارات خاصة كعمال التليفون . وعمال المطابع . والصناع فى أعمال الخراطة والنجارة . . .
٨٥ — ١٠٠	المشتغلون بأعمال تحتاج إلى مهارة بسيطة كسعاة البريد . والنقاشين . وصناع الأحذية . . .
٧٠ — ٨٥	المشتغلون بأعمال آلية على نمط واحد كالبوابين والمشتغلين فى حزم البضائع وعمال الحفر والشيالين . . .
٥٠ — ٧٠	المشتغلون بأعمال بسيطة جداً تحت إشراف الغير . . .
أقل من ٥٠	لا يمكنهم القيام بأى عمل ومكانهم مؤسسات ضعاف العقول

ومن المهم أن نؤكد أيضاً أن الذكاء ليس العامل الوحيد للنجاح المهنى ، ولكنه من العوامل الرئيسية ، ولا بد فى التوجيه المهنى أن يؤخذ بمجموعة العوامل كلها ، سواء كان منها ما يتصل بظروف الشخص الصحية أو المزاجية أو الاجتماعية ، أو ما يتصل بما قد يكون لدى الفرد من مواهب وميول وقدرات عقلية أخرى تساعده على النجاح فى مهن دون غيرها .

من الأمثلة السابقة يتبين بوضوح كيف يلعب الذكاء دوره فى تحديد فرص الحياة أمام صاحبه ، وكيف أن الشخصية كلها تتأثر بهذا العامل المعرفى العام من حيث مكانة الشخص الاجتماعية سواء كان ذلك من ناحية الانسجام مع المجتمع أو الانحراف والانسياق للاجرام ، أو من ناحية التعليم والثقافة ، أو أسلوب كسب الرزق وتذوق الحياة .

الفصل السادس

الاستعدادات المعرفية الطائفية

رأينا مما سبق أن الذكاء قدرة عامة بمعنى أن الشخص الذكى يظهر ذكاؤه عادة فى جميع الأعمال ونواحى التصرف التى يقوم بها ؛ والشخص الغبى يظهر غباؤه فى كل عمل أو تصرف يأتيه . ولكن هذا لا يمنع أنه مع وجود نسبة معينة من هذا الذكاء العام عند الشخص ؛ فإنه بجانب ذلك يكون لديه نوع معين من الاستعداد أو القدرة الفطرية فى نواح عقلية معرفية أو فكرية خاصة ، فيكون قادراً على التفوق فيها دون غيرها ؛ وهذا هو ما نعنى بالاستعدادات المعرفية الطائفية أو القدرات الخاصة .

العوامل والملكات :

وقد كانت هذه القدرات تدرس قديما ضمن الملكات (Faculties) ، حيث كان العلماء يقسمون العقل كله إلى وحدات ، أو قوى مستقلة ومحددة ، وكانوا يحصون هذه الملكات ويصنفونها معتقدين بوجود مناطق محددة تقابل كلا منها فى المخ ؛ وكانت هذه الملكات تشمل النواحى الإدراكية والمزاجية أيضا ، حيث كان هناك . ملكة المقاتلة وملكة اعتبار الذات وملكة الانتباه وملكة الفهم . . . وهكذا . ومن العلماء الذين نادوا بفكرة الملكات جول (Gall) وكان يعتبر عددها ٢٧ ملكة ، وكومب (Combe) وكان يعدها ٤٢ ملكة .

ولكنا نعلم الآن أن القدرات والصفات العقلية ليس لكل واحدة منها منطقة محددة بالمخ . لأنها ليست من البساطة بحيث يمكن حصرها أو عدها ، كما أن النشاط العقلى يظهر على شكل وحدات مركبه ومعقدة بحيث أن كل قدرة عقلية تستثير مناطق متعددة من المخ .

ويتجه علماء القياس العقلى الآن إلى التحدث عن المظاهر العقلية — لا إلى الملكات — وإلى الإنتاج العقلى كما يبدو فى الاختبارات العقلية وتأدية أعمال معينة ومدى ما يمكن أن يوجد بين هذه الاختبارات والتأديات من ارتباطات أو عوامل مشتركة . وعن طريق معالجة نتائج الاختبارات بالطرق الإحصائية — التى أهمها طريقة التحليل العاملى (Factor Analysis) — يمكن الاستدلال على وجود القدرات العقلية أو الملكات أو عدم وجودها .

ومن الأمثلة على ذلك الأبحاث التى تجرى للتحقق من وجود ملكة الذاكرة . فمن المعروف أن بعض تلاميذ المدارس مثلا يكون لديهم ذاكرة قوية جداً لتواريخ أفلام السينما أو نتائج المباريات الرياضية . بينما يكون لديهم ذاكرة ضعيفة فى الأعمال المدرسية . وبعض المدرسين يكون لديهم ذاكرة قوية جداً فيما يختص بالمادة التى يقومون بتدريسها ، بينما نجدهم ضعاف فى الذاكرة فى باقى أمور الحياة العادية أو كثيرى النسيان لأوجه الناس وأسمائهم . . . فإذا أمكن أن نضع اختبارات لهذه الأنواع المختلفة من الذاكرة ، ثم طبقناها على مجموعة كبيرة من الأشخاص ، وأوجدنا معاملات الارتباط بين نتائجها ، ثم عالجنا هذه النتائج بطريقة التحليل العاملى ، فسنجد فى الغالب أنه لا يوجد اتفاق ظاهر بين هذه النتائج ، أو أن هناك اتفاقاً بسيطاً لا يعتمد عليه .

ويكون ذلك دليلا على عدم وجود ملكة عامة للذاكرة بل على وجود عدد من الذاكرات المختلفة . مع ملاحظة أن ما قد يوجد بين الأنواع المختلفة من الذاكرات المنوعة من ارتباطات ربما يكون راجعاً إلى عامل مشترك آخر غير الذاكرة مثل الذكاء أو القدرة المعرفية العامة . ويمكن بطريقة التحليل العاملي أن نفصل أو نعزل أثر هذا العامل العام لنرى بعد ذلك ما إذا كان لا يزال هناك ارتباطات أخرى راجعة لعوامل مشتركة غير الذكاء أم لا .

ويجب أن نؤكد أن العوامل المشتركة التي نحصل عليها عن طريق التحليل العاملي ليست عناصر عقلية بالفعل أو ملكات ، وإنما هي مجرد فروض رياضية يصح أن نستدل بها — عن طريق الاستعانة بملابسات أخرى — على وجود الاستعدادات العقلية .

إذن فلا بد من الاستعانة بوسائل وقرائن أخرى تكمل مهمة طريقة التحليل العاملي في مساعدتنا على تفسير تلك الأنواع الخاصة من النشاط العقلي التي تعمل وراء بعض الاختبارات ونتائج القياس فتؤدي إلى وجود الارتباطات والعوامل المشتركة .

ومن أمثلة هذه القرائن ما يلاحظ في الحياة العادية من اختلافات بين الجنسين ، فمثلا من الملاحظ لنا جميعاً أن البنات يتفوقن على البنين في القدرة اللفظية والتعبير بالكلام ، بينما يتفوق البنون على البنات في القدرات الميكانيكية والقدرات التي تعتمد على الحساب والأرقام . . .

ومن القرائن التي تؤيد فكرة وجود أنواع خاصة من الاستعدادات العقلية التي لا تتوقف على المستوى العقلي العام أو الذكاء مايلاحظ في الأشخاص

العاديين — بل وضعاف العقول أحيانا — من تميز فى ناحية دون غيرها من نواحى الحياة العقلية . و يعرف ضعاف العقول الذين تظهر عندهم قدرة خارقة فى ناحية معينة باسم المعتوهين العـارفين (Idiot Savant) . وأمثـال هؤلاء لندرتهم يسترعون انتباه الناس واهتمام العلماء ، ولهـذا نجد قصصاً كثيرة عن وصف هذه الحالات التى يمكن أن نستدل منها على وجـود الأنواع المتطرفة للاستعدادات المعرفية الخاصة .

ومن أمثلة هذه القصص ما سجله أحد الباحثين عن حالة شخص كان يستطيع أن يعيد نطق عبارة طو يلة بعدة لغات أجنبية بدون خطأ وبلهجة صحيحة بعد قراءتها عليه مرة واحدة . رغم عدم معرفته للقراءة والـكتابة ، مما يدل على تميزه باستعداد عقلى خاص فى هذه الناحية اللفظية .

وهناك حالات أخرى تشير إلى وجود أنواع مختلفة من المواهب الحسابية ، ومن أمثلة ذلك حالة شخص كان يستطيع أن يقوم بعمليات حسابية معينة بسرعة كبيرة ، كأن يخبرك مثلا عن عـدد الدقائق التى عاشها شخص ما بمجرد أن يذكر له تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، أو أن يعطيك حاصل ضرب عددين كل منهما مكون من أربعة أو خمسة أرقام فى لمحـة من الزمن . وحالة شخص آخر كان يستطيع بمجرد أن يذكر له عدد مكون من أربعة عشر رقما مثلا أن ينطق بالجذر السابع لهذا العدد فى أقل من نصف دقيقة . . .

وقد تظهر أمثال هذه القدرات الخارقة فى أى نوع من الاستعدادات العقلية الأخرى كنواحى القدرات الفنية من رسم أو تصو ير أو قدرة موسيقية ، وكحالات قوة الذاكرة الخارقة للعادة فى ناحية محدودة . . إلى غير ذلك .

الاستعداد والقدرة :

ويمكن أن نستدل من الأمثلة السابقة على أن هذه القدرات عبارة عن استعدادات (Aptitudes) فطرية يخلق بها الشخص ، وليست ناتجة من الخبرة أو التمرين ، وهذا هو ما يفرق بينها و بين القدرات المكتسبة (Abilities) ؛ ويلاحظ أن من الجائز أن يكون لدى الشخص استعداد قوى فى ناحية معينة ولكنه لا يستغل هذا الاستعداد لأن البيئة لم تهيىء له الفرصة لإظهاره والانتفاع به فيكون عنده الاستعداد ولا توجد عنده القدرة .

ونود أن نعرف الآن بعض الاستعدادات العقلية الطائفية التى دلت نتائج القياس والاختبارات العقلية على وجودها فعلا ، حتى نستطيع على ضوئها أن نعرف بعض الأسس التى تقوم عليها الاختلافات الفردية ، والدور الذى تقوم به هذه الاستعدادات فى تمييز شخصية عن أخرى .

و إذا كان الأساس الذى سنتخذه حكما على وجود هذه الاستعدادات هو نتائج القياس العقلى والتحليل العاملى فيصح أن نتكلم بلغة العوامل حتى يكون عرضنا الموضوع على أسس سليمة . فالذى تقيسه الاختبارات غالبا ليس الاستعدادات المجردة و إنما الاستعدادات وهى تعمل ، أى مضافا إليها عناصر أخرى . ولهذا نجد فى هذه النتائج تداخلا كبيراً جداً بين القدرات المكتسبة والاستعدادات الفطرية بحيث يصعب الفصل بينهما عند تحليل النتائج .

قائمة الاستعدادات الفطرية

إن الجهود التى بذلها العلماء فى العشرين سنة الأخيرة الماضية قد أدت إلى تراكم نتائج كثيرة جداً عن الاستعدادات العقلية وتفرعاتها وعلاقاتها بعضها مع البعض. وإذا كنا نجد فى نتائجهم بعض الاختلاف أحيانا ، فإن هذا يرجع إلى استحالة الوقوف على كنه الاستعدادات العقلية المجردة ، وضرورة دراستها عن طريق مظاهرها ، تلك المظاهر التى تتأثر كثيراً بعوامل أخرى كثيرة . ويمكن أن نفسر بعض هذا الاختلاف إذا تذكرنا أن كل باحث يبنى نتائجه على الاختبارات التى يتخيرها كأداة للقياس العقلى ، خصوصاً إذا أيقنا أنه لا يوجد حتى الآن اختبار واحد يصلح لقياس استعداد فطرى معين دون غيره ، بل يقاس الاستعداد عن طريق ما يكون مشتركا بين جملة اختبارات .

وإلى القارىء قائمة بالاستعدادات العقلية التى يصح أن تعتبر أساسية بحيث يمكن أن نرجع إليها ما قد يصادفنا من استعدات أخرى . ويجب أن نلاحظ أن هذه الاستعدادات أو القدرات ليست عناصر بسيطة وإنما كل واحدة منها تعتبر قدرة مركبة من قدرات فرعية : —

١ — القدرات اللفظية : (Verbal)

ويرمز إليها بالحرف (V) . وهى أكثر القدرات العقلية ثبوتا وظهوراً ، حيث اتفق على تمييزها جميع من تعرضوا للبحث فيها ، وإن كانوا يختلفون فى تقسيماتهم للقدرات التى تنطوى تحتها .

ويؤيد وجود هذه القدرات الإختلافات الواضحة فيها بين الجنسين ، وكذلك الإختلافات التى يسهل تتبعها بين تلاميذ المدارس ، وما نلاحظه فى الحياة العامة من فروق فردية بين الأشخاص فى هذه القدرات اللفظية .

وقد كان المعتقد قديما أن هناك ملكة واحدة خاصة بالنواحى اللفظية، وكان ذلك مبنيا على التسليم بوجود منطقة معينة على سطح المخ مسئولة عن هذه الملكة ، وهى منطقة بروكا (Broca) ولكن الأبحاث الحديثة فى الدراسات الفسيولوجية لسطح المخ قد أثبتت وجود جملة مناطق مسئولة كلها عن القدرات اللفظية المختلفة ، فهناك مركز خاص بالكلمات البصرية أى التى تقرأ ، وآخر للألفاظ السمعية ، ومنطقة مسئولة عن النواحى الحركية للجهاز الكلامى ، وأخرى مسئولة عن حركة اليد فى الكتابة ، وهكذا .

ويضع الباحثون فى هذه القدرات تقسيمات مختلفة تتوقف إلى حد كبير كما قلت على محيط البحث الذى قاموا به وأنواع الإختبارات التى استعملت فيه . ومن هذه التقسيمات تقسيم بيرت (Burt) الذى يمكن توضيحه كالآتى : —

	قدرات إدراكية	قدرات تعبيرية
مركبة	فهم العبارات والجمل اللفظية	التعبير باللغة والكتابة والطلاقة فى التعبير
بسيطة	فهم الألفاظ والكلمات	القدرة على التعبير بالكلمات والألفاظ المناسبة

أما كارول (Carrol) فيعتبر أن من الممكن تمييز ٨ أنواع من القدرات اللفظية منها : سرعة القراءة ، وارتباط التعبيرات فى الكلام الشفهى ، وحفظ العبارات ، والقدرة على ربط المدركات بالألفاظ ، . . . وهكذا .

ولكن ثرستون (Thurstone) يعتقد أن هناك ثلاثة أنواع من القدرات اللفظية تتمشى مع ثلاثة أنواع يمكن تمييزها فى الاضطرابات الكلامية اللفظية وهى :

١ — القدرة على فهم المواد اللفظية

٢ — القدرة على استحضار الألفاظ المناسبة عند التعبير

٣ — السهولة والطلاقة فى التعبير

أما تيلور (Taylor) فيصف أربعة أنواع من القدرات اللفظية وهى : —

١ — فهم الألفاظ

٢ — التعبير اللفظى وتكوين الترابطات اللغوية بسهولة .

٣ — سرعة استحضار الألفاظ .

٤ — سرعة توارد المعانى .

٢ — القدرات الميكانيكية : (Mechanical)

ويرمز إليها بالحرف (M) وهى من القدرات التى يسهل تمييزها أيضاً والتى لاحظها العلماء مبكراً ؛ فقبل أن يتطرق البحث إلى القدرات الخاصة بشكلها الحاضر كان ثورنديك (Thorndike) يقسم الذكاء إلى أنواع ثلاثة : ذكاء لفظى ، وذكاء ميكانيكى ، وذكاء اجتماعى ؛ مما يشير إلى وضوح القدرات الميكانيكية عند بعض الناس بشكل ظاهر .

ويمكن أن نستدل على وجود هذه القدرات من الملاحظات اليومية للفروق الجنسية ، حيث نجد أن البنين يميلون — حتى فى ألعابهم — للأعمال الميكانيكية بينما ينصرف البنات عنها .

ومن أوائل الباحثين فى هذه القدرات كوكس (Cox) حيث نشر فى عام ١٩٢٩ بحثه عن « وجود وطبيعة وقياس القدرة الميكانيكية » وله اختبارات معينة لقياس هذه القدرات لا زالت تستعمل حتى الآن .

وقد اعترف سبيرمان (Spearman) نفسه بوجود هـذه القدرات — عام ١٩٢٦ — فى الوقت الذى كان متردداً فيه فى الاعتراف بفـكرة القدرات الطائفية ، حيث لم يعترف حينئذ بسوى عدد معدود على الأصابع من هذه القدرات وهى : القدرة اللفظية ، والقدرة الميكانيكية ، والقدرة السيكلوجية ، والقدرة الحسابية ، والقدرة المنطقية ، والقدرة الموسيقية .

وقد دلت البحوث التى عملت فى محيط التوجيه التعليمى والمهنى وفى الجيش على أن هذه القدرات الميكانيكية ذات أهمية كبرى فى اختيار من يصلحون للأعمال الهندسية والتى تحتاج إلى فهم عمل الآلات المختلفة ؛ وتبين أيضا أن لهذه القدرات صلة كبيرة بالقدرات الآتية : —

١ — القدرة العملية
٢ — القدرة على التصور البصرى
٣ — قدرات التوافق الحركى
٤ — المهارات اليدوية
٥ — القدرة على الإدراك السريع .

٣ — قدرات التصور البصرى المـكانى : (Spatial-Visual)

وهى من القدرات الأساسية التى تظهر بوضوح فى الاختبارات الغيرلفظية والتى تعتمد على الإدراك المـكانى والتصور البصرى ، وأول من أكد وجود هذه القدرة بانجلـترا الدكتور القوصى فى بحثه للدكتوراه عام ١٩٣٣ ، حيث رمز إلى العامل الدال على هذه القدرة بالحرف (K) ، وقد أعقبه ثرستون (Thurstone) بأمريكا ولـكنه رمز إليه بحرف (S) ، وتقاس هذه القدرة الآن باختبارات قائمة على أشكال ورسوم من ذات البعدين أو ذات الأبعاد الثلاثة ، وقد وجد أن الشخص الذى لديه هـذا الاستعداد يكون فى الغالب قادرا على النجاح فى الدراسات التى تدخل فيها الهندسة المستوية والفراغية .

ويعطى هذا العامل أو الاستعداد بانجلترا الآن أهمية كبرى — خصوصاً في المحيط التعليمي — حيث يوجه التلاميذ إلى أنواع المدارس الثانوية الثلاثة : (الثانوية العملية ، والثانوية العلمية ، والثانوية الحديثة) بناء على نتائج عدد من الاختبارات التي يقيس بعضها هذا العامل . ولقد كان ذلك مدعاة لمحاولة التعمق في تحليله ومعرفة الأعمار التي يتضح فيها وجوده بشكل ظاهر ، وأحسن الطرق لقياسه .

ومن أمثلة ذلك أبحاث (Slater) سنة ١٩٤٠ ، ووليمز (Willams) سنة ١٩٤٨ ، وإمت (Emmett) سنة ١٩٤٩ التي أكدت كلها أن هذا العامل يكون واضحا عند السن ما بين ١١ ، ١٣ سنة وأن البنين دائما يفوقون البنات في هذه القدرة .

٤ — القدرات الإدراكية : (Perceptual)

ويرمز إليها بالرمز (P) . وقد وجه (Thurstone) عناية خاصة لدراسة هذه العوامل وحللها إلى : القدرة على إدراك الشكل الكلى العام كجشتالت أو مرة واحدة ؛ ثم القدرة على التحكم في نتائج خداع البصر وإدراك الأمور على حقيقتها ؛ ثم القدرة على التركيز وعدم التذبذب في رؤية أوضاع خاصة للمدركات .

ويمكن أن نقول أن هذه العوامل الإدراكية هي أساس قوة الملاحظة .

وتدل الدراسات التي قام بلاكى (Blakey) عام ١٩٤١ على أن هناك ارتباطا كبيراً وتداخلا بين القدرة الادراكية (P) والقدرة على التصور البصرى (K) .

٥ — قدرات التوافق الحركى : (Motor-Coordination)

وتشمل المهارات الحركية ، والاتزان الحركى والمهارة اليدوية كما تظهر في الصناع المهرة والمثالين ، ومهارة الأصابع كما تظهر في أشغال الإبرة والموسيقى ، والتوافق بين اليد والعين كما تظهر في الرسم والكتابة .

ولهذه القدرات كلها ارتباط كبير بالقدرة الميكانيكية أو العملية . ولها أهمية خاصة فى التوجيه المهنى .

٦ — القدرات الحسابية أو العددية : (Number)

ويرمز إليها بالرمز (N) ويؤيد وجود هذه القدرات الحالات التى تذكر عن الموهوبين فى قدرات خارقة فيما يتعلق بعمليات حسابية معينة ، وكذلك وجود حالات — ضمن العائلات التى درسها (Galton) فى تتبع مشاهير العلماء تثبت وجود المقدرة الرياضية فى عدد كبير من أبناء العائلة الواحدة ، مما يدل على الأصل الفطرى لها ؛ وكذلك الفروق الملحوظة فى التلاميذ العاديين من أبناء المدارس الذين يحددون مستقبلهم على أساس ما يشعرون به من وجود الاستعداد والميل نحو الأعداد والعلوم الرياضية عندهم أو عدمه .

وتدل الدراسات التى عملت فى هـذا المحيط مثل بحث شلر (Schiller) ، وكومب (Combs) ، وبيرت (Burt) . على أن هذه القدرة العددية أيضاً مركبة من عدة قدرات : منها ما يتعلق بالعمليات الميكانيكية ومنها ما يتعلق بالتفكير الحسابى ، كما أن هذه القدرة تمتد إلى استعمال الرموز والأشكال بجانب استعمال الأرقام فى أى صورة من صورها .

وهذه القدرات الأولية هى أساس القدرات الرياضية الأكثر تعقيداً ، كالقدرة على متابعة العلوم الهندسية والجبر وحساب المثلثات .

٧ — قدرات التفكير : (Reasoning)

ويرمز إليها بالحرف (R) وكثيراً ما تختلط هذه القدرات بالقدرة العقلية العامة أو الذكاء . ولكن إذا أحسن اختيار الاختبارات التى يقصد بها قياس هذه القدرات ، فمن الممكن التأكد من وجودها بشكل واضح .

وتدرس هذه القدرات تحت أسماء مختلفة فهي تسمى أحيانا بالقدرات المنطقية ؛ وتقسم بحسب أنواع القدرات التي تدخـل في عمليات التفكير ، فنجد أن ثرستون (Thurstone) مثلا يقسمها إلى : تفـكير استقرائي ، وتفـكير استنتاجي . أما بيرت (Burt) فيقسمها إلى : التفكير العلمي المنطق الصريح والتفكير الضمني .

وقد وجد جلفورد ولیسی (Guilford & Lacy) سنة ١٩٤٧ أن قدرات التفكير يمكن تحليلها إلى : القدرة على التصميم ورسم الخطة ، والقدرة المنطقية في الاستنتاج والتعميم ، ثم القدرة على الحـكم والفصل في المواقف .

٨ — القدرات الموسيقية :

وهي من أبرز القدرات وأثبتها من حيث وضوح الفروق الفردية فيها ، ويمكن اعتبارها ضمن دائرة القدرات الفنية ، وقد وجد أن هذه القدرات الموسيقية تعتمد على ثلاثة أنواع من القدرات وهي : —

(ا) القدرات السمعية وتتضمن التمييز السمعي وتتبع التوقيت (Rhythm)

(ب) القدرات الحركية التي تساعد على استعمال الآلات الموسيقية بالمهارات اللازمة .

(حـ) قدرات عقلية تساعد على الفهم والتفسير والتخيل والابتكار في تأليف القطع الموسيقية .

وللقدرة الموسيقية ثلاث نواح وهي : الناحية الابتكارية وتتضمن التأليف والتلحين ، والناحية العملية وتتضمن العزف على الآلات الموسيقية ، والناحية التقديرية وتتضمن القدرة على النقد وتقدير الجمال الموسيقي . وتحتاج هذه النواحي إلى القدرات الست الآتية : —

١ — نضوج القدرة على إدراك وتعرف وتمييز الأصوات والنغمات الموسيقية
٢ — القدرة على التعبير عن الأصوات والنغمات الموسيقية على الآلات أو بالغناء .
٣ — القدرة على اكتساب معرفة وتعلم الرموز الموسيقية .
٤ — هواية الموسيقى والرغبة فى تتبعها والاهتمام بها .
٥ — القدرة على الحكم وتقدير الجمال .
٦ — القدرة الابتكارية .

وهناك نوعان رئيسيان للقدرات الموسيقية وهما : (ا) القدرة على الإنتاج الموسيقى . (ب) القدرة على تذوق وتقدير الجمال الموسيقى .

٩ — القدرة على الرسم :

من الغريب أن لا نجد أبحاثا كثيرة حول هذه القدرة . ولكن المعروف أن القدرة على الرسم من القدرات التى بينها و بين الذكاء ارتباط قليل جداً مما يدل على كونها قدرة خاصة . ولكن قد تبين أيضاً أن للعوامل المزاجية دخلا كبيراً فى الاختلافات الفردية فى هذه القدرة .

١٠ — القدرة على تقدير الجمال :

لقد ثبت أن هذه القدرة لا تعتمد اعتماداً كلياً على الذكاء ولكنها تعتمد على قدرات أخرى خاصة ويمكن أن نميز من القدرات الجمالية ما يأتى :

(ا) القدرة على تقدير القطع الأدبية والشعر .
(ب) القدرة على تقدير المرئيات كالصور والرسوم .
(ج) القدرة على تقدير الموسيقى والغناء .

على أن الناس فى تقديرهم للجمال ينقسمون إلى نوعين فمنهم الموضوعيون الإدراكيون أو الحسيون الذين يحسون الواقع من حيث المساحات والشكل والأرضية والألوان . الخ . ثم المعنويون الذين يقدرون الجمال بناء على مايستثار فى عقولهم من ذكريات ومعنويات وترابطات ذات علاقات معينة . فكلما كان فى الموضوع مجال واسع لإدراك علاقات جديدة واستثارة الخيال فى نواح كثيرة كلما كان ذلك داعياً إلى تقديره من حيث الجمال .

ويتفق العلماء على أن تقدير الجمال يتوقف على : (ا) عوامل موضوعية كأن يكون الموضوع بسيطاً سهلا فى إدراكه وبهمه ، ولكنه أيضاً غنى بالعلاقات المتنوعة التى تشبع الخيال والتفكير ، و (ب) عوامل شخصية كالحالة المزاجية للشخص وثقافته الخاصة وميوله واتجاهاته العقلية ، وما لديه من قدرة على تقدير الجمال .

١١ — قدرات الذاكرة :

بينما يعتقد ثرستون (Thurstone) بوجود عامل مشترك بين أنواع الذاكرات المختلفة . بحيث يمكن اعتبار التذكر قدرة طائفية ، وبينما كان سبيرمان (Spearman) يعتقد أن القدرة على التذكر والحفظ لا تعتمد على الذكاء ؛ إلا أن الأبحاث التى أجريت فى هذا المحيط توضح أنه لاتوجد قدرة واحدة تغطى أنواع الذكرات المختلفة ، ولكن هناك قدرات متعددة بحسب تعدد أنواع التذكر ، سواء من حيث المادة أو الزمن . . . ولكن أبحاث اناستازى (Anastasi) تدل على وجود قدرة خاصة للذاكرة الصماء أو التذكر الميكانيكى ، أما أنواع التذكر الأخرى فتتصل بعوامل أخرى كثيرة .

و يعتقد بعض العلماء أن الذاكرة ليست عمليات عقلية معرفية صرفه ، وإنما تعتمد أيضاً على عوامل مزاجية أخرى بحيث لا يصح اعتبار الذاكرة من القدرات المعرفية البسيطة .

قدرات أخرى عامة :

هذا و يصح أن نشير هنا إلى الاختلافات التى نلمسها أحيانا بين الأشخاص من حيث القدرة على الانتباه ، ومن حيث السرعة ، وهذه تعتبر عوامل عامة وليست قدرات طائفية — كما أنها تعتمد على صفات مزاجية وعوامل أخرى بعضها يتصل بالبيئة ، و بعضها يتصل بالتكوين الكيمائى والغددى والجسمى ، بجانب اعتمادها على القدرات المعرفية السابق ذكرها .

ومثل هـذا ينطبق على ظاهرة القصور الذاتى ، وهى السرعة التى تنتهى بها العمليات العقلية عند الشخص أو تستمر رغم انتهاء سببها . فهناك أشخاص لا يستطيعون التخلص بسهولة من فكرة تعرض لهم ، أو لا يمكنهم بسهولة إبعاد موضوع يشغلهم أو نسيانه بسرعة ، بل لا بد أن يأخذ منهم وقتاً . وهؤلاء تزدحم أفكارهم وتضطرب أحيانا بحيث تعكر عليهم صفو حياتهم ، فنقول أن لديهم قصوراً ذاتياً كبيراً ؛ وهناك أشخاص على عكس ذلك تماما ؛ وغالبية الناس فى الوسط بين النوعين .

تلخيص :

ويمكن أن نلخص ما سبق قوله عن القدرات الفطرية الطائفية بتخطيط عام يوضح فكرتها فى ذهن القارىء كما يأتى : —

شكل يوضح الاستعدادات العقلية الطائفية

ويلاحظ أنه ليس من السهل أن ترسم العلاقات الصحيحة بين القدرات العقلية بحيث تسير على قاعدة واحدة مطردة . ولكن الغرض من هذا الشكل هو مجرد تقريب فكرة القدرات إلى ذهن القارىء ، ويمكن أن نجد منه كيف يمكن للقدرة الواحدة أن تتشعب إلى قدرات فرعية ، وكيف يمكن أن تتقارب الصلة بين بعض القدرات وتتباعد بين البعض الآخر .

الفصل السابع

القدرات المعرفية المكتسبة

تحدثنا فى الفصلين السابقين عن الذكاء والاستعدادات الفطرية الطائفية ، وهى تعتبر بمثابة المواد الخام التى تبنى عليها القدرات والمهارات المكتسبة التى سنتناولها بالبحث الآن .

وإذا كنا قد أكدنا أهمية الاستعدادات الفطرية — العامة منها والطائفية — فى تكوين الشخصية ، فإن القدرات المكتسبة لا تقل عنها أهمية ، خصوصاً وأن الاستعدادات الفطرية لا تعبر عن نفسها إلا عن طريق القدرات المكتسبة فيما يبديه الشخص من خبرة ومران ومقدرة ثقافية أو تعليمية .

والقدرات المكتسبة أكثر وضوحا وأسهل فى دراستها من الاستعدادات الفطرية ، إذ أنها خاضعة للقياس المباشر لاتصالها بما يظهر به الشخص فعلاً ، وبما يقوم به من أعمال وما يكتسبه من دراسات وثقافات ؛ بينما الاستعدادات الفطرية تعنى ما وراء هذه الأعمال وهذه القدرات المكتسبة من طاقة عقلية معرفية .

ويصح فى دراستنا للقدرات المكتسبة أن نقسمها كما اتفقنا إلى : —

١ — القدرة الثقافية العامة ، أو المستوى الثقافى العام .

٢ — القدرات الثقافية الطائفية كنواحى التخصص التعليمى والمهنى .

المستوى الثقافى العام

وهو يناظر العامل المعرفى الفطرى العام أو الذكاء ويتوقف عليه إلى حد كبير ؛ فكما أن هناك طبقات مختلفة من مراتب الذكاء ومستوياته فكذلك يمكن أن نجد من الأشخاص من يتميزون بقدرة ثقافية واسعة فى كل النواحى تقريباً وبصفة عامة ، ومن نجد ثقافاتهم محدودة وسطحية جداً بوجه عام ، كما أن من الممكن أن نميز درجات مختلفة فى المستوى الثقافى العام فنقسم الناس إلى طبقات ومراتب حسب هذه الدرجات .

وإذا كان الذكاء يقاس باختبارات الذكاء المبنية على إدراك العلاقات وعلى القدرة على التفكير والتصرف . . . الخ ، بصرف النظر عن التعليم أو المران والخبرة ؛ فإن القدرة الثقافية العامة تقاس باختبارات من نوع آخر ، حيث تشمل عينات مختلفة من جميع أنواع الثقافة وفروعها ، ومن أمثلة هذه الاختبارات (General Information Tests) ، وترمى إلى الوقوف على مبلغ ما امتصه الشخص فعلا من الثقافات المختلفة من البيئة التى هو فيها ، سواء كان ذلك عن طريق التعليم المدرسى ، أو عن طريق الإذاعة والصحف والسينما ، أو عن طريق حياته اليومية فى المنزل أو الشارع أو المصنع ، أو عن أى طريق من طرق التفاعل مع البيئة .

وإذا كان الذكاء كاستعداد فطرى لا يتأثر كثيراً بالعمر الزمنى للشخص ، ولا بنوع التربية التى لاقاها الشخص ، ولا بنوع البيئة الجغرافية التى نشأ فيها ، بحيث نجد أن مستوى ذكاء الشخص فى طفولته لا يختلف عنه فى شبابه ورجولته ، وبحيث نجد أن سكان الريف لا يختلفون فى الذكاء عن سكان

المدن بصفة عامة ، وأن أفراد الشعوب الشرقية لا يختلفون فيه عن أفراد الشعوب الغربية . . . وهكذا ؛ فإن المستوى الثقافى العام بطبيعته يتوقف على عوامل الزمان والمكان ، إذ أنه يعتبر مقياساً للعوامل الثقافية الخارجية المحيطة بالشخص ، بجانب كونه مقياساً لمدى ما اكتسبه الشخص منها .

وهنا يمكن أن نلمس أثر تداخل مكونات الشخصية وصعوبة الفصل بينها ، فقد كان من الممكن أن ندرس هذه الناحية الثقافية من مكونات الشخصية عند دراسة أثر البيئة فى تكوين الشخصية .

تأثير العامل الثقافى فى قياس الذكاء :

ويصح أن نشير هنا إلى تداخل عامل الذكاء مع القدرة الثقافية وأثر ذلك فى الاختلاف على معرفة حقيقة الذكاء وطبيعته ؛ فقد كان الذكاء يقاس عادة باختبارات تعتمد كثيراً على مؤثرات البيئة ، كالاختبارات اللفظية التى تتوقف على القراءة والكتابة ، بل وكانت الأسئلة تدور حول نواح ثقافية بحيث تتوقف الإجابات كثيراً على القدرة الثقافية العامة ؛ ولهذا كانت نتائج القياس غير ثابتة من اختبار إلى آخر . . . وأدى ذلك إلى الاختلاف فى الرأى عما إذا كان الذكاء وراثياً كله أو أنه يعتمد على الوراثة والبيئة معا . . . ولكن مقاييس الذكاء الحديثة تحاول أن تستبعد أثر عوامل الثقافة والبيئة إلى أقصى حد ممكن ، لتلافى بذلك أثر تدخل العامل الثقافى العام ؛ وحتى برغم هذا الاحتياط فإن اختبارات الذكاء الحالية لا يمكن تنقيتها تماماً بحيث تكون خالية خلواً أكيداً من أثر هذا العامل . ولهذا نجد كثيرين من الباحثين فى طبيعة الذكاء يحتاطون فى أحاديثهم عنه فيتكلمون عن :

(ا) الذكاء من الوجهة النظرية البحتة ، وهو الاستعداد الفطرى الذى يعتمد على الوراثة تمـاما والذى لا تتأثر كميته عند الشخص مدى حياته منذ الولادة . . .

(ب) والذكاء كما تقيسه الاختبارات ، وهو خليط من الذكاء الفطرى وجزء من العامل الثقافى العام ، ويمكن أن يقبل المناقشة من حيث كونه يختلف من اختبار إلى اختبار ، وكونه يتأثر بعوامل البيئة بحيث يمكن أن تتغير نتائج القياس إذا تغيرت ظروف البيئة ؛ ولـكن برغم ذلك يجب أن نتذكر أن الاستعداد الفطرى يتحكم كثيراً فى القدرة الثقافية المـكتسبة بحيث أن هذه القدرة لا يمكن أن تزيد عن حدود معينة فى الشخص الواحد بحسب ما يكون لديه من استعداد ، مهما تحسنت ظروف البيئة .

وفى اعتقادى أن البحث فى المستوى الثقافى العام ، وأخذ نتائج قياسه فى الاعتبار عند الحـكم على الشخصية ، لا يقل فى أهميته عن قياس الذكاء ؛ إذ أن القدرة الثقافية العامة توضح لنا المحصلة النهائية لفعل كل من الذكاء والقوى الثقافية المختلفة ، وتريناالشخص كما هو ، بينما الذكاء يبين لنا الشخص كما يجب أن يكون .

ويمكن أن نلمس العلاقة بين الذكاء والعامل الثقافى العام إذا أخذنا مثالا عملياً فى المحيط التعليمى عندما نحتاج لدراسة حالات التأخر الدراسى مثلا ، فبعض هذه الحالات ترجع أسباب التأخر فيها إلى الغباء — أى نقص كمية الذكاء — وهنا لا يكون للتلميذ ذنب فى التأخر ، ويمكن تشخيص ذلك بإجراء اختبارات للذكاء واستخراج العمر العقلى ومقارنته بالعمر

الزمنى حيث نجد أن نسبة الذكاء تدل على الغباء . ولكن بعض الحالات الأخرى نجد فيها الذكاء عالياً ، ولكن الاستفادة منه واستغلاله فى التحصيل غير كافية ، بحيث لا يتمشى تحصيل التلميذ وكسبه للمعلومات مع ما لديه من ذكاء وهنا يصح البحث عن العوامل التى أدت لهذا القصور ، سواء كانت خاصة بالظروف المنزلية أو المدرسية أو المزاجية أو غير ذلك . ويمكن تشخيص مثل هذه الحالات بإجراء اختبارات تحصيلية فى العلوم كلها — وهذه تمثل هنا اختبار المستوى الثقافى العام — ثم نستخرج العمر التحصيلى للتلميذ ونقارنه بالعمر العقلى لنحصل على النسبة التحصيلية ، حيث نجدها فى هذه الحالة دالة على التأخر التحصيلى .

ويلاحظ من المثال السابق أن المستوى الثقافى العام يعتبر أمراً نسبياً مرهوناً بنوع الثقافة التى يراد بحثها ، ويتوقف قياسه على ظروف البيئة والوسط ، بحيث يصعب جداً مقارنة العامل الثقافى العام لمجموعات متباينة فى نوع الثقافه أو البيئة ، فالمستوى الثقافى العام لسكان الغابات مثلا يختلف فى أسسه ومكوناته عن المستوى الثقافى العام لسكان الصحارى . . وهكذا ، فقيمة قياس المستوى الثقافى العام إذن تظهر أهميتها عند مقارنات الأشخاص الذين تحيط بهم ظروف متشابهة حيث تسهل المقارنة على أسس واحدة .

ويمكن أن ندرك مبلغ أثر العامل الثقافى العام فى تكوين الشخصية إذا قارنا بين الأشخاص ذوى الثقافات المتفاوتة فى مستوياتها ، من حيث مكانتهم الاجتماعية وقدرتهم على التعامل فى البيئة وأثر ذلك فى نجاحهم فى الحياة ، بما يوازى ما سبق قوله عن الذكاء .

القدرات الثقافية الطائفية

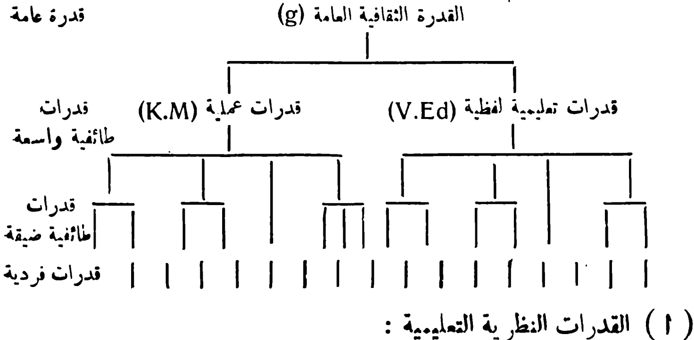
بجانب ما قد يكون عنه الشخص من قدرة ثقافية منوعة واسعة أو ضيقة فى جميع النواحى بصفة عامة ، فإن هذا لا يمنع أن يكون متميزاً فى نوع معين من أنواع الثقافات فيبرز فيه دون غيره ، و يوجه إليه اهتمامه بشكل خاص .

و يتوقف وجود هذه القدرات الثقافية الطائفية عند الشخص على عوامل شتى بعضها يتصل بنوع الاستعدادات الفطرية الخاصة لدى الشخص — وهذه من شأنها أن تؤثر فى تخصص الفرد واتجاهه نحو مهنة معينة أو نحو ثقافة نوعية خاصة تناسب هذه الاستعدادات — و بعضها يتصل بعوامل أخرى كالتسهيلات المحيطة به والتى تمكنه من كسب ثقافات خاصة دون غيرها ، و بعضها يتصل بظروف الشخص الصحية والمزاجية . . وهكذا .

ولهذا نجد أن هذه القدرات الثقافية الطائفية تتصل كثيراً بما يسمى الميول الخاصة ؛ وهذه الميول والقدرات الثقافية الخاصة يمكن أن تتعدد وتتنوع بحسب تشعب العوامل الكثيرة التى تتفاعل فى تكوينها ، ولهذا فمن المستحيل أن نتمكن من حصر عددها ، ولكن من الممكن أن نحاول دراسة بعض التصنيفات الرئيسية لها ، والتى على ضوئها يمكن أن نميز أنواعا مختلفة من الشخصيات بحسب ما لديهم من هذه القدرات المكتسبة الخاصة .

و يصح أن نستعين بتصنيف أرسطو فنقسم هذه القدرات إلى : (١) نظرية و (٢) عملية ؛ وهذا لا يختلف كثيراً عن التقسيم الذى أخذ به بيرت (Burt) وهو : (١) قدرات تعليمية (٢) قدرات مهنية . وقد وجد فرنون (Vernon) من نتائج التحليل العاملى للاختبارات المختلفة التى أجريت على الكبار

عند الالتحاق بالجيش ، أو تلك التى أجريت فى محيط التوجيه التعليمى والمهنى » أن من الممكن تقسيم القدرات العقلية إلى : (ا) قدرات تعليمية لفظية (V. Ed) و (ب) قدرات عملية (K-M) ، وأن كلا من هذين القسمين يمكن اعتباره قدرة طائفية واسعة ينطوى تحتها عدد من القدرات الطائفية المتفرعة منها . . كما أن من الممكن الاستمرار فى هذا التقسيم حتى نصل إلى القدرات الفردية ، كما يتضح من التنظيم التدريجى الآتى : —



(ا) القدرات النظرية التعليمية :

وتظهر بوضوح وجلاء فى محيط التحصيل المدرسى ، وتشمل ما يأتى : —

١ — القدرات اللغوية : وأساسها الاستعدادات اللفظية وقدرات الإدراك ، والذاكرة . . . ويمكن أن نميز فروعا مختلفة لهذه القدرات مثل المطالعة أو القراءة ، والتحرير أو الكتابة .

٢ — القدرات الرياضية :[١] وتعتمد على القدرة العددية الحسابية ، والقدرات المنطقية ، والقدرة على التصور البصرى ؛ ويمكن أن نلمس ذلك فى فروع الرياضة المختلفة . . ويصح أن نشير هنا إلى أن القدرات الرياضية

(١) أنظر رسالة المؤلف للدكتوراه وموضوعها : تحليل القدرات الرياضية .

لا تعتمد كثيراً على القدرة اللفظية ، وأن قدرات التفكير الرياضى لا تعتمد كثيراً على قدرات التذكر ، وأن القدرة الهندسية تعتمد على القدرة المنطقية وعلى التصور البصرى .

٣ — القدرات الأدبية : وأساسها القدرة اللفظية ، وقدرات الحفظ والتذكر ، وقدرات التفكير اللفظى . . . وتظهر فى الميل لدراسة المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والدراسات القانونية .

٤ — القدرات العلمية : وتعتمد على القدرات الإدراكية ، وقدرات التفكير العلمى ، و يتضح ذلك جليا فى العلوم الطبيعية وعلوم الأحياء . .

٥ — القدرات الفنية : وتعتمد على الاستعدادات الفنية وتقدير الجمال ، وقدرات التوافق والاتزان الحركى ؛ وتتضح فى هوايات الرسم والموسيقى والتصوير . . .

٦ — القدرات التعليمية العملية : وتعتمد على القدرات الفنية والقدرات الميكانيكية والمهارات اليدوية . . كما يتضح فى قدرات التدبير المنزلى والهوايات العملية كفلاحة البساتين والأشغال اليدوية .

٧ — القدرات الدينية : وتعتمد على عوامل مزاجية بجانب العوامل المعرفية ، وتتأثر أيضاً بعوامل البيئة ، وتختلف أسسها بحسب السن الذى يراد دراستها فيه . . .

و يجدر أن نستغل دراستنا للاختلافات الفردية فى هذه القدرات الفطرية والمكتسبة عند توجيه التلاميذ إلى أنواع التعليم الثانوى المختلفة أو عند التخصص فى التعليم الجامعى .

ويصح أن نؤكد هنا أنه لا توجد حدود فاصلة بين القدرات النظرية والعملية ، لأن كثيراً من القدرات المكتسبة تعتمد على كل من الثقافة النظرية والمران العملى ، ويظهر ذلك بوضوح أكثر فى المهن التعليمية التى سيأتى ذكرها بعد .

(ب) القدرات العملية المهنية :

وتبنى على ما لدى الشخص من استعدادات فطرية عملية كالقدرات الميكانيكية ، وقدرات التصور البصرى ، وقدرات التوافق الحركى ، والمهارات اليدوية . . وغير ذلك . ويمكن أن نقسمها إلى : —

١ — القدرات المهنية التى تتطلب ثقافة نظرية ، كالطب والهندسة والصيدلة والزراعة . . . الخ .

٢ — القدرات المهنية التى تتطلب مراناً آلياً ، كالاشتغال بأعمال الصناعات المعدنية ، أو الغزل والنسج ، أو النجارة وأعمال البناء .

٣ — القدرات المهنية الاجتماعية : كالصحافة ، وأعمال التأمين ، والتربية والتعليم ، والخدمة الاجتماعية .

٤ — القدرات التى تعتمد على مهارات جسمية وحركية كالنواحى المختلفة للنشاط الرياضى والتربية البدنية .

٥ — القدرات المهنية الفنية التى تتطلب مهارات تتصل بالقدرات الجمالية . كهواية الرسم وصناعة التماثيل والتصوير .

٦ — القدرات المهنية الكتابية التى تتطلب تعود الدقة والنظام والذاكرة الجيدة مع القدرة على الترتيب والتنسيق .

ومن المهم أن نلاحظ أن هناك تفاعلا متبادلا بين كل من القدرات الثقافية الطائفية والتخصص المهنى ، حيث نجد أن الثقافة التى تحيط بالشخص تؤثر كثيراً فى اتجاهه نحو مهنة دون أخرى . كما أن التخصص المهنى نفسه يؤثر فى نوع الثقافة التى يهتم بها الشخص . وينطبق هذا القول على التخصص التعليمى أيضاً .

ويصح ألا نتجاهل أثر العوامل المزاجية فى جميع هذه الحالات .

أنواع الشخصية بحسب الميول الثقافية

على ضوء الاختلافات الفردية بين الأشخاص فى ميولهم الثقافية يمكن تقسيمهم إلى أنواع متباينة ، حيث نجد فى كل نوع أثر العامل الثقافى فى الطابع العام للشخصية .

ومن التقسيمات المشهورة فى هذا الاتجاه تقسيم سبرانجر (Spranger) إلى الستة أنواع الآتية : —

١ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة النظرية :

وهذا يهتم بالبحث عن الحقيقة ، ونظرته للحياة يغلب عليها النزعة المعرفية من ملاحظة واستنتاج ونقد ومقارنة ، ليصل إلى نوع من تنظيم المعلومات ، ومن أمثلة هؤلاء من يتفرغون للبحث فى النظريات والقوانين العلمية .

٢ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الاقتصادية :

وهذا يهتم بما فيه فائدة أو نفع ، فيتجه اتجاهاً عملياً يحقق له ميوله ، كالاشتغال بالتجارة وتفهم أصولها ودراسة أحوال السوق والأسعار المالية ،

وما يتصل بجمع الثروة وتدبير المال . . ولذا يهتم بالثقافة ذات القيمة النفعية ، ويعتبر الثقافة النظرية مضيعة للوقت وعديمة القيمة . وتتأثر شخصيته تبعاً لهذا النوع من الاتجاه ، فيبنى علاقاته بالناس على أساس منفعته وتفوقه عليهم فى الثروة ، بدل الاتجاه إلى معاونتهم أو خدمتهم اجتماعياً . وحتى نظرته إلى الدين مثلا تتوقف على مبلغ ما ييسر له الله من سبل تحسين حالته الاقتصادية . .

٣ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الفنية :

وهذا يهتم بما يتصل بالجمال والنظام والترتيب والذوق السليم ، وهو يرى الحقيقة فى الجمال — وتتصل ثقافاته ودراساته وميوله بالبحث فى هذه الأمور . ويكون مرهف الحس ويغلب على حياته التأمل وحب العزلة .

٤ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الاجتماعية :

وأعظم قيمة عند هذا الشخص هى حب الناس ، والعمل لصالح الأفراد والجماعات ، فيكون عطوفاً محباً للخير بعيداً عن الأنانية ، ولا تعجبه النزعات المادية أو الشخصيات الاقتصادية أو النظرية ، وهو قريب إلى نوع الشخصية الدينية . ومن أمثلته المصلحون الاجتماعيون والمدرسون .

٥ — الشخص الذى تغلب عليه الثقافة السياسية :

وهذا يهتم بالقوة قبل كل شىء ، وهو ينزع إلى المنافسة وحب السيطرة ، ويحاول أن يكتسب من الثقافات ما يمكنه من التأثير فى غيره ، والتفوق عليهم بالحجج والبراهين ، فيتجه لدراسة القانون والمحاماة والاقتصاد والاجتماع والخطابة والصحافة إلى غير ذلك .

٦ — الشخص الذى تغلب عليه الثقافة الدينية :

ويغلب على حياة أمثال هذا الشخص التفكير فى الخالق والتعمق فى التأمل والتدين . . فيرون سعادتهم فى مدى طاعتهم للدين وتمسكهم به . . وتتخذ هذه النزعة مظهراً متطرفاً فى حالات التصوف والرهبنة .

ويلاحظ أن معظم الناس خليط من هذه الأنواع كلها بحيث يصعب فى كثير من الأحيان أن نبين إلى أى نوع منها ينتمى كل شخص . كما أن الذى يحدد نوع الشخصية ليس مجرد العوامل الثقافية وحدها وإنما يحدث ذلك نتيجة تفاعل مكونات الشخصية مجتمعة .

ومن الممكن أن نقسم الناس بحسب ثقافاتهم على أسس أخرى كأن نقارن بين الشخصية ذات الثقافة الرياضية والشخصية ذات الثقافة اللغوية والشخصية ذات الثقافة الأدبية والشخصية ذات الثقافة الزراعية . . وهكذا . وطبيعى أن الفوارق بين هذه الشخصيات يمكن أن نلمسها بوضوح كبير فى كثير من الحالات .

الفصل الثامن

النواحي المزاجية

التكوين المزاجي كالتكوين الجسمي وكالقدرات العقلية المعرفية تعتبر المواد الخام التي يتكون عليها الخلق وتبنى عليها أساليب السلوك ، بل إن التكوين المزاجي يعتبر أبرز نواحي الشخصية وأهمها في تكوين الحالات النفسية التي تدل على مدى اتزان السلوك أو اعوجاجه ؛ ولهذا نجد أن الباحثين في موضوع الشخصية يولون التكوين المزاجي جل اهتمامهم ، لدرجة أن بعضهم يعتبر أن الشخصية لا تعني أكثر من النواحي المزاجية والخلقية متجاهلين ما عدا ذلك .

ويتضح هذا بجلاء خصوصا في دراسة الشخصية في حالات الأمراض والانحرافات النفسية ، حيث تعتبر الاضطرابات الانفعالية والمزاجية أساساً لمظاهر الشذوذ وأسباب الانحلال في معظم الحالات .

ويمكن تقسيم النواحي المزاجية كما قلنا إلى : (١) نواح موروثة و (٢) نواح مكتسبة ، على أن هذا لا يعني وجود حدود فاصلة بينهما ، فالحالة المزاجية لأي شخص تنتج من تفاعل وتداخل العوامل كلها وليس من السهل أن نجد عوامل كلها مكتسبة أو عوامل كلها موروثة .

معنى التكوين المزاجى :

يتضمن المزاج تلك الاستعدادات الثابتة نسبيا ، المبنية على ما لدى الشخص من الطاقة الانفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها من بداية طفولته ، والتى تعتبر وراثية فى أساسها ولذا لا تتغير كثيرا طول حياته ، والتى تعتمد على التكوين الكيميائى والغددى والدموى وتتصل اتصالا وثيقا بالنواحى الفسيولوجية والعصبية ، والتى تظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر ، وفى الدوافع والغرائز والانفعالات من حيث سرعة استثارتها أو بطئها ، ومن حيث قابليتها للبقاء أو الزوال أو التغير .

و بذلك نجد أن النواحى المزاجية تشمل ما يأتى : —

١ — الطاقة المزاجية العامة .   ٢ — النماذج المزاجية الطائفية .

٣ — الصفات الانفعالية .

٤ — النواحى المزاجية التى تغلب فيها العوامل المكتسبة كالعواطف والعقد النفسية .

الطاقة المزاجية العامة

يفترض علماء النفس وجود طاقة عقلية عامة وراء السلوك كله ، وأن هذه الطاقة تعبر عن نفسها فى صور مختلفة ، فنجد مثلا الطاقة المعرفية التى يعتبر سبيرمان (Spearman) أنها أساس الذكاء العام ، ونجد أيضا الطاقة الانفعالية التى يعتبرها مكدوجل (Mc Dougall) منبع المسالك الغريزية ، وهذه هى التى يمكن اعتبارها أساس الطاقة المزاجية .

وليس من السهل معرفة كنه هـذه الطاقة العقلية أو النفسية ويكفى أن ندرس مظاهرها ، كما أن من الصعب أن نحدد الصلة بين هـذه الطاقة العقلية و بين الطاقة العصبية التى يدرسها علم الفسيولوجيا ، أو الطاقة الطبيعة التى أمكن قياسها ومعرفة القوانين التى تخضع لها فى علوم الرياضة والطبيعة .

غير أن افتراض وجود الطاقة الانفعالية أو المزاجية يسهل تفسير كثير من الظواهر النفسية ، ولذا نجد أن بيرجسون (Bergson) قد افترض وجود ما سماه بالطاقة الحيوية كما أن فرويد (Freud) قد افترض وجود الهى (Id) وافترض يونج (Jung) وجود اللبيدو (Libido) ، وكلها لا تخرج فى معانيها عن الطاقة الانفعالية العامة . . وقد وجد بيرت (Burt) أيضا من أبحاثه بالتحليل العاملى فى محيط النواحى المزاجية ما سماه بالانفعالية العـامة التى يعتبرها موازية للطاقة النزوعية .

الاختلافات الفردية فى الطاقة الانفعالية :

والذى يهمنا هنا هو أن هذه الطاقة المزاجية تعتبر من المـكونات الهامة للشخصية ، وأن الناس يختلفون فيما لديهم من هذه الطاقة العامة من حيث الـكمية والنوع وأساليب التحكم فيما لديهم منها . فقد دلت الملاحظـات والأبحاث التجريبية على أن بعض الناس يولدون مزودين بكمية كبيرة من الطاقة الانفعالية ، وبعضهم يرثون كمية قليلة من هذه الطاقة ، و يمكن أن نجد درجات متفاوتة بحسب ما عند الأشخاص من هذه الطاقة الانفعالية .

و يتميز من لديهم طاقة انفعالية كبيرة بقوة انفعالاتهم وعنفها بصفة عامة، ولذا يصعب عليهم كبح جماحها لشدتها ، وتقل قدرتهم على السيطرة عليها ،

فتظهر عليهم علامات القلق وعدم الثبات وعدم الاستقرار المزاجى . أما من تكون طاقتهم الانفعالية محدودة وقليلة فيتصفون بالخمول والبرود الانفعالى والبلادة المزاجية فتجد انفعالاتهم بطيئة الاستثارة ومشوبة بالوهن والضعف . و بين هذين النقيضين المتطرفين نجد درجات متفاوتة . على أن النوع المعتدل بين هؤلاء يظهر فى الأشخاص المتميزين بالاتزان فى التكوين المزاجى فيتصفون بالاستقرار والثبات الانفعالى ، وهذا يسهل عليهم التكيف مع العالم الخارجى بدون صراع أو عنف فتكون حياتهم الانفعالية بعيدة عن الاضطرابات والانحراف . . . ولهذا تعتبر صفة الثبات الانفعالى من أهم الصفات النفسية التى تؤخذ فى الاعتبار عند قياس الشخصية أو الحكم عليها .

و يتصل بالاختلافات الفردية فى الأشخاص من حيث الطاقة الانفعالية الطريقة التى يتحكمون بها فى قوام الانفعالية حيث يمكن أن نجد أساليباً مختلفة لهذا التحكم ؛ فهناك من تغلب عليهم الانفعالات فى تعبيرها بشكل مبالغ فيه (Overexpressive) وهناك من يغالون فى ضغط انفعالاتهم وكبتها (Repressive) ومن ينجحون فى قمع الانفعالات بشكل يضطرها للظهور فى مسالك غير طبيعية كأن تظهر فى مسالك ذات أعراض جسمية (Psychosmatic Outlets) ، ومن تلح عليهم انفعالاتهم فتظهر فى شكل إصرارات ملحة (Obsessive Compulsive) ومن تضطر الانفعالات عندهم إلى النكوص (Regression) لنوع بدائى من أنواع السلوك ، أو تظهر فى مسالك انسحابية (Withdrawal Outlets) . . . وهكذا . .

و يمكن أن ننظر إلى الطاقة الانفعالية العامة من حيث الصفات الانفعالية الغالبة فيها حيث نجد أن بعض الأشخاص مثلا تتميز عندهم القوة الانفعالية

فيما يتصل بالنزعات العدوانية أو القتال أو حب السيطرة ؛ بحيث يصلح أن نطبق عليهم نظرية أدلر (Adler) فى أن الصبغة الغالبة فى الطاقة الحيوية هى النزعة إلى القوة (Will power) ، وأن ما يصح أن يحدث لهؤلاء من اضطرابات أو مشاكل نفسية يمكن أن ترجع إلا ما يعترى هذه النزعة من عقبات أو صعوبات . بينما نجد البعض الآخر تتميز طاقتهم الانفعالية فى النواحى الجنسية فيصلحون أمثلة لتطبيق نظرية فرويد (Freud) التى تعتبر أن الصفة الغالبة فى اللبيدو هى النزعات المتصلة بالغرائز الجنسية ، وأن ما يصح أن يحدث لهؤلاء من اضطرابات أو مشاكل نفسية يمكن أن ترجع إلى ما يعترى هذه النزعات من عقبات وصعوبات . . . وقياساً على ذلك يمكن أن نميز أنواعا مختلفة من الشخصيات بحسب أنواع الانفعالات الغالبة فيهم . . .

النماذج المزاجية الطائفية

نظراً لوضوح التميز بين طوائف معينة من الأشخاص من حيث الصفات المزاجية فقد اهتم العلماء منذ القدم بدراسة سيكلوجية الأنماط المزاجية (Temperamental Types) ، فقسموا الناس إلى أصناف ، واهتموا بدراسة الصفات المميزة لكل صنف ، ومن أهم هذه التقسيمات ما يأتى : —

التصنيف الرباعى :

ويتخذ هذا التقسيم صوراً مختلفة فيها كثير من الشبه ، ومن أمثلته تقسيم إمبيدوكل (Empedocles) إلى الشخص : الهوائى ، والنارى ، والترابى ، والمائى . ويناظر ذلك تقسيم هيبوقراط (Hippocrates) بحسب الأخلاط الكيمياوية إلى الشخص صاحب المزاج : الدموى ، والصفراوى ، والسوداوى ،

والبلغمى أو اللمفاوى . ويناظر ذلك أيضاً تقسيم فونت (Wundt) بحسب سرعة الانفعالات و بطئها مع شدتها أو ضعفها ، أو من حيث العمق وعدمه مع اتساع الانتشار أو ضيقه ، أو من حيث السرور وعدمه مع سرعة الاستثارة أو الهدوء . حيث يميز الأنواع الأربعة الآتية وهى: (١) المتفائل (Sanguine) . و (٢) المقاتل الشجاع (Choleric) و (٣) الحزين الهادىء (Melancholic) و (٤) البليد الضعيف فى انفعالاته (Phlegmatic) .

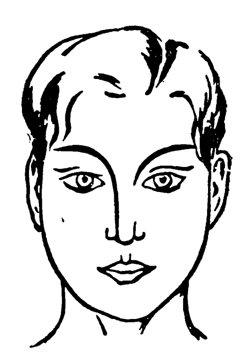
وتوجد ارتباطات كبيرة فى هذه التصنيفات بين الصفات المزاجية والانفعالية وبين المميزات الجسمية كالطول والقصر والبدانة أو النحافة وأشكال العضلات والتكوين العظمى وتعبيرات الوجه . . وغير ذلك .

و إلى القارىء وصفاً موجزا لكل طائفة فى هذه التقسيمات الرباعية : —

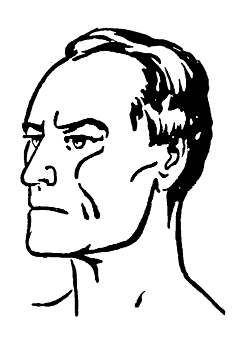
١ — صاحب المزاج الهوائى أو الدموى ؛ وهو الشخص المتفائل الذى يشعر بالسعادة ، والذى تظهر على وجهه علامات الرضا والانبساط ، فيكون متناسق التكوين فى ملامح وجهه وتكوينه العضلى والعظمى ، و يغلب على انفعالاته الجانب السار ، وتكون سهلة الاستثارة فى غير عمق أو ضيق ، ولا تدوم طويلا .

٢ — صاحب المزاج النارى أو الصفراوى ؛ وهو الشخص الذى تبدو عليه أمارات الشجاعة وحب القتال فتظهر على ملامح وجهه علامات التحفز والقوة والصحة ، ويكون مفتول العضلات قوى العظام ، وانفعالاته عميقة قوية سريعة سهلة التعبير ، ولكن يغلب عليها الجانب الجدى وقلة السرور .

الناس من وجوههم



(١) المتفائل (الدموى)



(٢) الشجاع (الصفراوى)



(٣) المتأمل (السوداوى)



(٤) البليد (اللمفاوى)

الأمزجة الأربعة : عن كتاب (Allport) صفحة ٦٨

٣ — صاحب المزاج الترابى أو السوداوى وهو الشخص المتأمل المفكر الخيالى الذى يشبه الفنان النحيل أو المحب الولهان ، فتظهر على ملامح وجهه علامات القلق والانطواء على النفس ، ويكون أميل إلى ضعف الصحة ونحول الجسم وبروز العظام ، وتجد وجهه مثلث الشكل ضيقاً طويلا ، أما انفعالاته ففى الغالب مكبوتة ولكنها تكون قوية وعنيفة وعميقة إذا استثيرت ، ولا تنتشر كثيرا بل تشمل دائرة ضيقة محدودة ، ويغلب على مثل هذا الشخص الهدوء وعدم الشعور بالسرور . .

٤ — صاحب المزاج المائى أو اللمفاوى وهو الشخص الغير مكترث ، البدين الأكول الكسول المتبلد ، فتجد وجهه مستديرا ممتلئا ، وجلده غليظا وجسمه مغطى بالدهن بحيث لا تبرز فيه العظام ، ولا تظهر على وجهه علامات التعبير الانفعالى بسهولة ، وذلك لأن انفعالاته سطحية وهادئة وضعيفة وبطيئة الاستثارة ، ويغلب على حياته المرح والسرور .

ويمكن مطابقة هذه الصفات بالنظر إلى صور الوجوه التى تمثل الأنواع الأربعة من الأمزجة السابقة .

تصنيف كرتشمر (Kretschmer) :

ويعتبر من أهم التصنيفات المبنية على أسس علمية ، وفكرته مبنية على ما وجده كرابلن (Kraepelin) من الاختلاف والتباين الواضح فى شخصية من يصابون بنوعين رئيسيين من الأمراض العقلية ، وهما الذهان الدورى (Manic-depression) والفصام (Schizophrenia) . فقد حاول كرتشمر بدراسة عدد كبير من مرضى العقول أن يبحث عن وجود علاقة بين الصفات

الجسمية و بين الإصابة بأحد هذين المرضين ، فتوصل إلى أنه على وجه العموم يتصف المصابون بالفصام بطول القامة ونقص الدهن والنحافة ، بينما يتصف المصابون بالذهان الدورى بالقصر وامتلاء الجسم ؛ فاستنتج من ذلك أن من الممكن تقسيم الأشخاص العاديين إلى ما يوازى هذين الصنفين من حيث الطابع المزاجى المتمشى مع الصفات الجسمية ، فيكون هناك : —

١ — الشخص المقفل على نفسه ، الهادىء المتأمل ، النحيل الجسم الطويل القامة الخفيف الوزن الطويل الأطراف الضيق الصدر ، الأقرب إلى النوع الفصامى . ويتميز بشدة الحساسية والتمسك بالمثل العليا ويسمى (Asthenic) .

٢ — الشخص المتقلب المرح السهل التعبير عن نفسه ، الأقرب إلى الذهان الدورى . ويتميز بالتفاؤل والميل إلى التعبير العملى عن طاقته ، ويكون ممتلىء الجسم ثقيل الوزن غليظ الرقبة قصير الساقين عريض الوجه . . . الخ ، ويسمى (Pyknic) .

وقد أضاف كرتشمر إلى هذين النوعين الرئيسيين نوعين آخرين وهما :

٣ — الشخص الرياضى الذى يتميز بحسن تكوينه العضلى والذى يكون متوسطاً بين النوعين السابقين مع قربه إلى النوع الفصامى ويسمى (Athletic) .

٤ — النوع الذى لا يمكن أن يتميز بشىء مما ذكر فى الأنواع الثلاثة السابقة ويسمى (Dysplastic) .

تصنيف يونج (Jung) :

وهو يشبه كثيراً تقسيم كرتشمر ، غير أن يونج يبنى تقسيمه على أساس أسلوب تعبير الشخص عن طاقته الحيوية أو الليبيدو (Libido) ، حيث نجد بعض الناس يوجهون هذه الطاقة الحيوية نحو الداخل أو نحو أنفسهم ، وهؤلاء يسمون بالداخليين (Introverts) أو الباطنيين أو المنقبضين ؛ بينما نجد البعض الآخر يعبرون عن هذه الطاقة الحيوية بتوجيهها نحو الأشياء أو الناس أو نحو الخارج ، وهؤلاء يسمون بالخارجيين (Extroverts) أو الظاهريين أو المنبسطين .

ويتصف الباطنيون بالحساسية والخجل والتأمل والحذر ، والانكماش والهدوء وحب العزلة والاستغراق فى عالم الخيال ، ولذا تنطبق عليهم تقريباً أوصاف الطائفة الأولى من تصنيف كرتشمر (Asthenic) ، حيث يكونون أقرب إلى الإصابة بالأمراض النفسية التى تظهر أعراضها فى الانهباط والانسحاب من الواقع كالفصام والملانخوليا والوساوس .

أما الظاهريون فيتصفون بحب الاختلاط والمرح والجرأة وكثرة التحدث وسهولة التعبير وحب الظهور ، ويكونون ميالين لمجاراة الواقع فى تفاؤل وانشراح ، ولذا تنطبق عليهم تقريباً أوصاف الطائفة الثانية من تصنيف كرتشمر (Pyknic) حيث يكونون أقرب إلى الإصابة بالأمراض النفسية التى تظهر أعراضها فى التقلب المزاجى وسهولة التعبير الانفعالى مثل الهوس (Mania) والهستريا والذهان الدورى .

ومن الممكن أن نقول أن بين هذين النقيضين يوجد عدد كبير من الناس الممكن اعتبارهم معتدلين ويسمى هؤلاء (Ambiverts) ويمكن أن توازى هذه

الطائفة الأنواع الباقية من تقسيم كرنشمر حيث نجد هؤلاء عاديين متوسطين بحيث يصعب الحكم على انتمائهم لأحد النوعين المتطرفين .

وقد ذهب يونج فى تقسيماته إلى درجات أكثر دقة من ذلك ولكن لا داعى للاسترسال فيها هنا [١] .

تقسيمات أخرى :

وهناك تقسيمات أخرى كثيرة مبنية على أثر التغيرات الجسمية فى تكوين الحالة المزاجية كتقسيم نكراتى (Naccarati) على أساس نسب الأبعاد الجسيمة وتقسيمات أخرى بحسب إفرازات الغدد الصماء ، وتقسيم ولوبى (Willoughby) بحسب النضج الانفعالى ، وتقسيم أبفلباخ (Apfelbach) بحسب الصفات الجنسية . . .

على أن من الصعب التقيد بهذه التقاسيم تماما ومحاولة تطبيقها فى الأشخاص العادين ، ولكن يمكن أن تتضح أهميتها فى الحالات المتطرفة كالأنواع المختلفة من الأمراض النفسية والعقلية .

الصفات الانفعالية

إلى هنا كان الحديث عاما عن الطابع المزاجى العام ، وأنماط السلوك المزاجية الطائفية أى التى تتوقف على تفاعل طائفة من الصفات الانفعالية . والآن نبحث تلك النواحى المزاجية الأكثر تخصصا ، أى التى تتوقف على نوع معين من الانفعالات الخاصة . فمن المشاهد أحيانا أن بعض الأشخاص تظهر عندهم صفة انفعالية بارزة فى ناحية خاصة ، فيتأثر بها أسلوب سلوكهم إلى درجة ملموسة ، ومن أمثلة ذلك ما يأتى : —

(١) انظر الكتاب الأول أسس علم النفس للدكتور القوصى الفصل ١٥

انفعال التعجب : وهو الذى يدفع إلى حب الاستطلاع ، فبعض الناس يكون عندهم هذا الانفعال واضحا بشكل يضطرهم أحيانا إلى الدأب على البحث وراء الحقيقة ، والتنقيب فى الكتب والتأمل فى أسرار الطبيعة ودراستها ، ومن هؤلاء العلماء والصحفيون الذين يوجهون هذا الانفعال توجيها صالحا . وهناك من تضطرهم قوة هذا الدافع إلى التجسس ومحاولة الوقوف على أسرار الغير ، ومن هؤلاء الجواسيس ومسترقو السمع الذين يوجهون هذا الدافع توجيها آخر . و بعض الناس يكون لديهم هذا الدافع ضعيفا فنجدهم قليلى الاهتمام غير محبين للبحث أو الدراسة . . . الخ

انفعال الزهو : وهو الذى يدفع إلى حب السيطرة ، فمن الممكن أن نقارن بين الأشخاص فى هذه الصفة الانفعالية حيث نجد درجات متفاوتة بين حب التسلط والرئاسة والشعور بالزهو فى طرف ، و بين الاستسلام والخضوع والانقياد والشعور بالاستكانة فى الطرف الآخر .

انفعال الغضب : وهو الذى يدفع إلى حب المقاتلة ، حيث نجد بعض الناس تغلب فيهم النزعة العدوانية ، فيكونون ميالين لإيذاء الغير محبين للمشاكسة والعراك ، و يسهل استثارة الغضب فيهم ؛ بينما نجد نوعا آخر من الناس يغلب عليهم المسالمة والبعد عن المشاكل ولا يغضبون كثيراً . . و يتميز بعض الناس عن غيرهم أيضا فى أسلوب تعبيرهم عن هذا الانفعال بحسب ثقافتهم ، ولذا نجد لهذا الانفعال أساليب منوعة فى التعبير عنه و إرضائه .

حب الاجتماع : فمع أن الإنسان اجتماعى بطبعه إلا أن الناس يختلفون فى قوة هذا الدافع لديهم ؛ فبعضهم يفضل أن يقضى معظم وقته مع الناس

فيحضر الاجتماعات ويختلط ويتعاون ويشترك ، بينما البعض الآخر يفضل الاستقلال الذاتى والبعد عن الناس بقدر الإمكان، فيكون ميالا للوحدة والعزلة.

الشهوة الجنسية : وترتبط بالغريزة الجنسية ، وهناك درجات متفاوتة فى هذا الدافع حيث نجد ذوى الشهوة الجامحة التى تضطرهم أحيانا للاشباع الجنسى بطرق غير مشروعة ؛ ويقابلهم من يتصفون بالبرود الجنسى والضعف فى هذا الدافع . ويرتبط هذا الانفعال بحالات التخنث ودرجة الذكورة أو الأنوثة فى الشخص ، وما ينشأ عنها من صفات مزاجية أخرى .

حب التملك : وهو أساس ما نجده من اختلافات بين الأشخاص فى حبهم للجمع والاقتناء ، وقد يكون ظاهراً بشكل شاذ بحيث يدعو صاحبه للسرقة والحصول على ممتلكات الغير ، أو إلى جمع المال والمغالاة فى ادخاره لدرجة البخل ؛ وقد يقل عند بعض الناس بشكل يجعلهم لا يسعون للادخار ولا يهتمون بحيازة ملكيات خاصة ، بل يبالغون فى البذل والسخاء والعطاء والتنازل عما يمتلكون .

انفعال الحنو : ويرتبط بغريزة الوالدية ، وهو أساس العطف والرعاية التى يشمل بها الآباء أولادهم فيعملون على إشعارهم بالأمن والاطمئنان والسعادة ، وعندما يوجد هذا الانفعال واضحاً فى شخص نجده مندفعاً للعطف والحنو على الغير وميالا للرفق بالحيوان . . . وهكذا . أما إذا تميز الشخص بالضعف فى هذا الانفعال فإنه يكون قليل الشفقة قاسياً لا يعرف الرحمة أو العطف .

انفعال الخوف : وهو من أقوى الانفعالات وأهمها ، ويمكن أن نلمس مظاهره بوضوح فى الحيوان والإنسان وفى الأطفال والكبار . وعندما يوجد

هذا الانفعال فى شخص بشكل واضح فإنه يتصف بالجبن وعدم الثقة بالنفس وينقصه الجرأة والإقدام ، وللخوف مظاهر شاذة كثيرة كالمخاوف المرضية التى تظهر مصاحبة لبعض الأمراض النفسية . والشخص الذى يوجد لديه هذا الانفعال بشكل ضعيف يكون قليل الاكتراث ويقدم بدون تردد إلى ما قد يوقعه فى الأخطار بدون مبالاة .

وبمثل هذه الطريقة يمكن أن نستمر فى ذكر الفروق الفردية بين الأشخاص فى الانفعالات الأخرى مثل انفعال التقزز ، وانفعال الجوع ، والضحك ، والاستغاثة ، والحل والتركيب .

وهناى صفات انفعالية أخرى ذات أهمية كبيرة فى إحداث الاختلافات الفردية وفى تكوين الطابع العام للشخصية ، ولكنها أكثر تعقيداً بحيث تشمل أكثر من انفعال واحد أحيانا ومن أمثلتها ما يأتى : —

التعب ، والشعور بالخطيئة أو الذنب ، والغيرة ، والنزعة العدوانية ، والإعجاب ، والعرفان بالجميل ، والتقديس .

التحليل العاملى للإنفعالات

يرى بيرت أن الانفعالات أساس المزاج ، وقد قام بدراسة علمية للنواحى المزاجية فى الشخصية بأن حصل على تقديرات دقيقة للصفات الانفعالية المختلفة فى عدد كبير من الأشخاص ؛ وحاول بطريقة حساب معاملات الارتباط والتحليل العاملى أن يبحث العلاقات التى تربط الانفعالات ببعضها ، لمعرفة مدى تمشى بعضها مع البعض الآخر ، وأثر ذلك فى تكوين الطابع المزاجى للشخصية ؛ وكانت النتيجة أنه وصل إلى تحقيق علمى إحصائى لما سبق قوله

عن الطاقة المزاجية العامة والأنماط المزاجية الطائفية والصفات المزاجية الخاصة حيث وجد ما يأتى : —

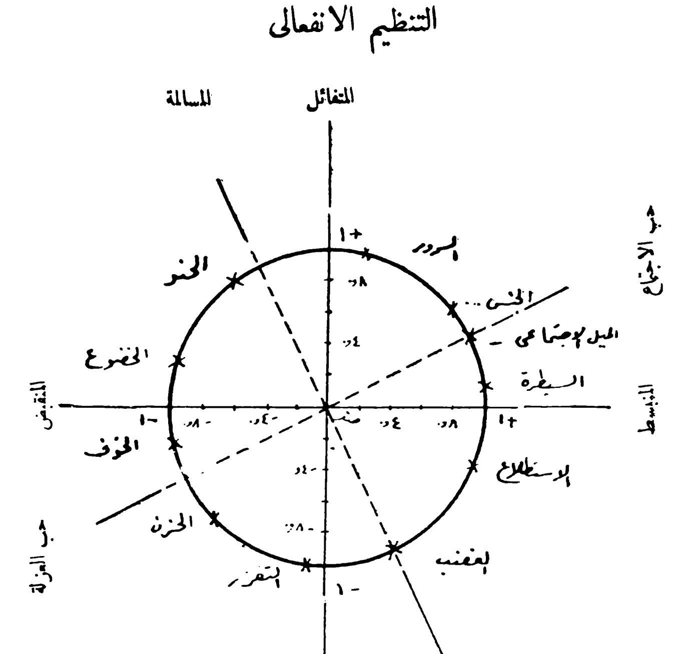
أولا : أن هناك عاملا عاما مشتركا بين جميع الانفعالات يدل على الطاقة المزاجية العامة الكامنة وراء الانفعالات جميعاً ، وهذا هو ماعبر عنه بالانفعالية العامة (General Emotionality) ومعنى ذلك أنه إذا وجدت انفعالات قوية فى شخص فإن من المتوقع أن يكون ذلك أمراً عاما فى باقى الانفعالات ، ولكن إذا وجدت انفعالات ضعيفة فى شخص ففى الغالب يكون هناك احتمال كبير لوجود هذا الضعف فى باقى الانفعالات .

ثانياً : بجانب هذا العامل العام أمكن بيرت أن يميز عوامل طائفية انفعالية ، أى أن بعض الانفعالات يصاحب بعضها البعض فى قوتها أو ضعفها ، فمثلا فى الشخصية المنطوية نجد أن انفعالات الخضوع والحنان والحزن والخوف والتقزز ظاهرة مع بعضها بحيث تطغى على باقى الانفعالات ، بينما نجد فى الشخصية المنبسطة أن الانفعالات السائدة القوية هى انفعالات الفرح والميل الاجتماعى وحب السيطرة وحب الاستطلاع والمقاتلة . . .

ثالثاً : من الممكن بجانب النتيجتين السابقتين أن نميز حالات يكون فيها انفعال واحد ذو صبغة قوية واضحة ، كما فى الشخص الخواف ، أو المغرور أو المحب للسيطرة ، أو الشخص الذى لا يتوازن عنده انفعال معين مع باقى الانفعالات ، كما فى الشذوذ الجنسى الناتج من قوة انفعال الشهوة الجنسية .

ويمكن توضيح هذه النتائج بدراسة العلاقات المبينة فى توزيع الانفعالات على محيط الدائرة فى التنظيم الآتى : —

التنظيم الانفعالى



وهذا التوزيع الدائرى يوضح مكان كل انفعال بالنسبة للانفعالات الأخرى على محيط الدائرة بناء على عمليات إحصائية خاصة عولجت بها نتائج البحث الذى قام به بيرت .

ويمكن القول بأن الانفعالية العامة تمثل فى هذا التنظيم بمساحة الدائرة كلها . أما العوامل الطائفية فتتمثل بقطاعات من الدائرة يضم كل قطاع منها عدداً من الانفعالات التى يغلب ظهورها مع بعضها فى كثير من الأحيان ،

وأما العوامل الخاصة فتمثل بأنصاف أقطار للدائرة تمر بالانفعال الغالب في الشخصية .

ويفيدنا هذا التوزيع في فهم سيكلوجية الأنماط المزاجية ، حيث يمكن أن نتخير أي محورين متعامدين من محاور الدائرة لنعتبره أساس التصنيف .

ومن الممكن رياضياً أن نجد حلولا كثيرة لذلك بإدارة المحاور (Rotation of Axes) السابق ذكرها بأي زاوية نريد ، ولكن التصنيفات النظرية السابق شرحها يمكن أن تساعدنا على اختيار أنسب المحاور التي يصح الاعتماد عليها فنجد ما يأتي :

أولا : إذا اعتبرنا أحد العوامل هو المحور الواصل بين الميل الاجتماعي في طرف والخوف والحزن في القطب المقابل ، فإن هذا يمثل لنا نوعين متضادين من الناس : أولهما من يستطيع التكيف الاجتماعي والانسجام مع الغير بسهولة كثيرة ، وثانيهما من يشكون الحزن والقلق والانهباط وحب العزلة أي المعرضين للإصابة بالأمراض النفسية كالمخاوف والملانخوليا . ويكون العامل الثاني في هذه الحالة ممثلا بالمحور المتعامد على المحور السابق ، أي القطر الذي يصل بين الغضب في طرف ، وبين صفة تجمع بين السرور والحنو في القطب المقابل . وهذا يميز لنا نوعين معروفين من المشاهدات اليومية أيضاً وهما : الشخص الهادئ القانع المطيع للقوانين في طرف ، والشخص المتمرد الثائر المنحرف الميال للخروج على النظام والقانون في الطرف الآخر . .

ويمكن بسهولة أن نلمس الشبه الكبير بين هذا التصنيف الرباعي وبين ما قلناه سابقا عن الأنواع الأربعة من الأمزجة وهي : المتأمل الهادئ

أو السوداوى ومقابله صاحب المزاج الدموى ، ثم صاحب المزاج الصفراوى ومقابله صاحب المزاج اللمفاوى .

ثانياً : أما إذا أخذنا بالمحاور الأساسية الأصلية وهما : المحور الواصل بين السرور فى طرف و بين صفة قريبة من التقزز فى الطرف المقابل ، ثم المحور المتعامد عليه الواصل بين نقطة قريبة من السيطرة إلى نقطة مقابلة قريبة من الخوف والخضوع ، فإننا نصل إلى الأنواع المعروفة الآتية : — الشخص المرح المتفائل (Euphoric) ، والشخص المكتئب المتشائم (Dysphoric) ، ثم الشخص المفكر المتأمل الباطنى ، والشخص الظاهرى .

و يلاحظ أن كل محور نتخـــذه أساساً للتقسيم يعتبر المركز المتوسط للانفعالات المحيطة به ، حيث يمثل كل قطب منه المركز المتوسط للانفعالات القريبة منه ، وتكون صلة كل انفعال به متوقفة على مدى قربها أو بعدها من قطب ذلك المحور على محيط الدائرة .

هذا وتعتبر معاملات الارتباط بين كل صفة انفعالية وأخرى ممثلة بالزاوية التى بينهما ، أو بمعنى أصح بجيب تمام هذه الزاوية .

ومن الممكن أن نتصور توزيع هذه الصفات على سطح كرة ، حيث يمكن أن نستخلص من توزيعها عدداً من المخروطات الكروية التى تضم مجموعة (Cluster) من الانفعالات المتمشية مع بعضها البعض . على أن التحليل العاملى فى الواقع يصل فى تمثيل هذا التوزيع إلى الاستعانة بتخيل أشكال ذات أكثر من ثلاثة أبعاد ، مما يجعل الصورة أكثر تعقيداً وأقرب إلى طبيعة التكوين المزاجى .

الفصل التاسع

ديناميكية الشخصية

رأينا أن من أبرز الاعتبارات التى يتضمنها التعريف الجيد للشخصية اتصافها بالديناميكية والتفاعل المستمر بين عناصر مكوناتها المختلفة .

وسنتناول فى هذا الفصل أهم القوى الفعالة فى ديناميكية الشخصية . . تلك القوى التى تنبعث من النفس مرة ومن مجال البيئة الخارجية مرة ومن كليهما معا فى معظم الأحيان . . فتكسب الشخصية ما نلمسه فيها من دوام التغير والحيوية . ومن أهم هذه القوى ما يأتى : —

أولا : القوى التى يتحدث عنها علماء النفس باصطلاحات مختلفة كالدوافع والغرائز والحاجات النفسية التى يغلب فيها العنصر الفطرى والبيولوجى أو التكوينى.

ثانيا : العواطف والاتجاهات العقلية والعقد النفسية وهى التى يغلب فيها عنصر الإكتساب من البيئة .

ثالثا : الصراع النفسى بين القوى النفسية المختلفة وأسبابه ونتائجه .

الغرائز والدوافع والحاجات

لعل من أقدم النظريات الفلسفية التى تفسره ما نقصده من ديناميكية الشخصية ما قاله سبينوزا (Spinoza) فى كتابة عن « الأخلاق » عند عرضه لنظرية النزوع (Doctrine of Conatus) حيث قال : « إن كل كائن حى

يحمل فى نفسه ما يدفعه لمحاولة البقاء . . . بل إن هذه المحاولة للبقاء هى الأساس الحقيقى لوجوده » وكان فى هذا يؤكد أن تلك المحاولة للبقاء تحدث بطريقة تلقائية أى من الداخل لتحفظ للكائن بقاءه رغم المؤثرات التى تنتابه من الخارج .

وقد جاهد علماء النفس فيما بعد فى محاولة تفسير سلوك الإنسان والحيوان فافترضوا وجود الطاقة العقلية كأساس لما يحدث من حركة وتغير فى سلوك الكائنات الحية مما يجعلها فى حالة ديناميكية طالما بقيت فيها الحياة .

ومهما تكن طبيعة هذه الطاقة فإن الذى يفيدنا فى تحليل الشخصية هو الطريقة التى تعبر بها هذه الطاقة عن نفسها أوالمسالك المختلفة التى تنساب فيها وكذلك القوى التى تؤثر فى الشخصية فتسبب إنسياب هذه الطاقة وتجعل الكائن الحى فى حالة مستمرة من التغيير .

وقد ذهب العلماء مذاهب شتى فى التحدث عن هذه القوى المحركة للسلوك وتلك المسالك التى تفسر بها مظاهر النشاط العقلى . . واستعملوا فى دراستها اصطلاحات كثيرة متنوعة ، فمنهم من تحدث عن « الغرائز » ومنهم من تحدث عن « الحاجات » ومنهم من تحدث عن « محركات » السلوك « ودوافعه » ومنهم من تحدث عن « الأهداف » و « الأغراض » . . إلى غير ذلك من الألفاظ .

ولكى ندرك أسباب اختلاف هؤلاء العلماء فى مذاهبهم المتباينة فى تفسير السلوك و بواعثه وأسبابه وأغراضه يصح أن نحلل دورة النشاط العقلى فى أى تصرف أو سلوك معين إلى المراحل الثلاث الآتية وهى :

(أولا) نقطة بداية النشاط .   (ثانيا) نقطة انتهاء النشاط .

(ثالثا) المرحلة المتوسطة بين البداية والنهاية .

ويمكن أن نرجع تضارب الباحثين فى تفسير بواعث السلوك ودوافعه إلى اهتمامهم الزائد بمرحلة معينة من تلك المراحل الثلاث على حساب المرحلتين الأخريين . ولأجل هذا نجد ما يأتى :

(أولا) من يهتمون بمرحلة بداية النشاط :

يتحدث هؤلاء عادة عن « المثيرات الداخلية » و « المحركات Drives » و « الحوافز Urges » و « الغرائز Instincts » و « الحاجات Needs » و « بواعث السلوك » وكل ما يتصل بالجزء المبدئى للسلوك وهو الاستثارة . .

ويؤكد هذا الفريق فكرة الاستثارة التلقائية واندفاع الكائن الحى من تلقاء نفسه لسلوك معين نتيجة وجود دافع داخلى يسوقه إلى هذا التصرف . . وهم فى ذلك يتأثرون كثيرا بعلوم البيولوجيا والفسيولوجيا ، ولهذا تنطبق تفسيراتهم لدوافع السلوك على الكثير من التصرفات ذات القيمة البيولوجية للكائن الحى كتلك التى ترتبط بالمحافظة على بقائه ونموه وتقليل حدة ما ينتابه من التوتر الفسيولوجى . . . ويبدو هذا واضحا من المسالك التى يفسروا بها انسياب الطاقة العقلية والقوائم التى يضعونها لتفسير ديناميكية الشخصية حيث نجد أمثلتهم تتجه إلى الدوافع الفسيولوجية مثل البحث عن الطعام نتيجة الشعور الداخلى بالجوع والعطش والعمل على إرضاء الشهوة الجنسية نتيجة الشعور الداخلى بالإحساسات الجنسية . . ثم الدوافع الخاصة بالراحة والنوم للتخلص من مسببات التعب والرغبة فى إرضاء الحاجات الفسيولوجية المختلفة كالتنفس

والإخراج . والحاجة إلى حماية النفس من العوامل الخارجية التى تضمن لها البقاء والسلامة والصحة .

وواضح أن هذا الفريق من العلماء ينجح فى تفسير بواعث سلوك الحيوان ودوافع الأطفال فى سنى حياتهم الأولى حيث يغلب على سلوكهم إرضاء الحاجات النفسية المتعلقة بالنواحى البيولوجية ، ولكنهم لا ينجحون كثيرا فى تفسير السلوك الأكثر تعقيدا وخصوصاً ذلك السلوك الذى يندفع له الفرد بعد تفكير وقصد و إرادة ، والذى يرتبط بأغراض وأهداف بعيدة أو قريبة أكثر اتصالا بالقوى المؤثرة على الفرد فى البيئة منها إلى الدوافع الأولية لداخلية .

(ثانياً) من يهتمون بمرحلة نهاية النشاط :

وهؤلاء يركزون دراستهم فى تأييد أهمية الوصول إلى «الغرض Horme» أو تحقيق « هدف Goal » فيتحدثون عن « القصد Purpose » .

ومن هؤلاء أصحاب نظرية الغرائز فى ارتباطها بالنظرية الغرضية Hormic Theory وأصحاب نظرية السلوك المقصود Purposive Behavior و يمكن أن نلمس هذا الاتجاه أيضا فيمن يتحدثون عن «الرغبات Wishes» « والمثيرات الخارجية » وحالات السلوك الذى يقوى عند الفرد نتيجة شعوره بما يتوقعه من ثواب أو عقاب أو حصوله على حافز أو باعث يحمسه للعمل Incentive إذ أن هذه الاصطلاحات كلها تتضمن وجود أمر مرغوب يسعى الكائن الحى للحصول عليه كالدافع للكسب والمنافسة وغير ذلك من ضروب السلوك الإرادى المقصود .

و يمكن لهؤلاء أن يفسروا بسهولة كثيرا من التصرفات ذات الهدف

أو الغرض الواضح كالهرب بقصد اتقاء الخطر والجمع بقصد الاقتناء والتملك والمثابرة على العمل للحصول على فائدة مباشرة أو غير مباشرة . . وهكذا .

ولكن ليس من السهل على هؤلاء أن يفسروا لنا الكثير من التصرفات التي لا يشعر الشخص بالدافع لها والتي لا يدرك لها غرضا ، كالتصرفات ذات الأسباب اللاشعورية ، والتي يكون الباعث لها مرتبطا بما يتكون لدى الشخص من العادات أو العقد النفسية . . . ولم ينجح هؤلاء كثيرا في تفسير ضروب السلوك ذي الصبغة الآلية وسلوك الحيوان والأطفال الذي يحدث في أغلب الأحيان بدون إدراك ظاهر للأهداف والأغراض .

(ثالثاً) من يهتمون بالمرحلة المتوسطة بين بداية السلوك ونهايته :

وهؤلاء يركزون اهتمامهم فيما ينتاب النشاط العقلي من تعديل أو تغير في أثناء سيره ، بحيث يصعب تحديد أسبابه المباشرة أو نقط بدايته في اللحظات المختلفة ، لأن هذا يتوقف على ما يقابله الكائن الحي في سلوكه من قوى جديدة ترغمه أحيانا على تغيير سلوكه أو تجعله يحاول أن يغير في اتجاهاته بحيث يكيف نفسه للوصول إلى تحقيق أهداف جديدة قد تكون أيضا مخالفة لأهداف السلوك وقت بدايته الأولى . .

وقد اهتم أولبرت Allport بهذه المرحلة لدرجة أنه يعتقد أن الدوافع ليس لها بداية معينة وإنما يعتبر كل جزء من أجزاء السلوك مستقلا استقلالا وظيفيا نتيجة تأثره بمجموعة الظروف المحيطة به التي تعمل على إحداث تكوينات جديدة تبعث على السلوك الجديد في صورة بعيدة عن مصدره الأصلي تماما . وقد فصل ذلك في نظريته المعروفة « بالاستقلال الوظيفي Functional autonomy » .

ومن هذا الفريق أيضا من يتحدثون عن الدوافع المشتقة Derived motives التى تجعل الشخص يترك طريقا معينا كان يسلكه إلى موضوع آخر جديد دون أن يتم السلوك الأصلى وذلك بسبب زيادة القوة المؤثرة من ناحية معينة فى مجال السلوك بحيث يتجه الفرد إلى الناحية المناسبة لهذا التغير . . . ويمكن اعتبار فكرة تعديل الغرائز متمشية مع آراء هذا الفريق إذ أن أصحابها تناولوا هذا التعديل من ناحية بداية النشاط أو المثيرات ومن ناحية نهاية السلوك أو تغيير الهدف .

وممن فصلوا شرح نظرية المجال فى تفسير السلوك لڤين Lewin وهو من أقطاب نظرية الجشتالت وقد كانت دراساته من أهم ما أثار الاهتمام بفكرة ديناميكية الشخصية .

وحدة النشاط العقلى :

من الواضح أن الاتجاهات الثلاث السابقة متداخلة وليس من السهل الفصل بينها وأى تفسير لديناميكية الشخصية ودوافع السلوك لا يأخذها كلها فى الاعتبار مرة واحدة يعتبر تفسيرا ناقصا أو جزئيا . . . والواقع أن معظم الباحثين فى الغرائز والدوافع والحاجات لم يهملوا هذه النظرة الكلية ولكن تخيرهم للألفاظ والاصطلاحات هو الذى يوحى بالناحية التى اهتموا بها أكثر من غيرها .

فإذا أيقنا أن الخلاف فى اللفظ ليس أمرا جوهريا فيصح أن نقبل أى تفسير للسلوك يأخذ فى الاعتبار جميع الاتجاهات السابقة وينظر إلى الشخصية كوحدة وإلى السلوك أيضا كوحدة . . ولا ضير من أن نأخذ من جميع الآراء والنظريات المختلفة ما يتمشى مع هذه النظرية الكلية . وإذن يكون لأصحاب

نظرية الغرائز وأصحاب نظرية الدوافع وأصحاب نظرية الحاجات كثير من الفضل في إرشادنا لتفسير ديناميكية الشخصية .

فمن الأوفق إذن أن ننظر إلى النشاط العقلي من جميع نواحيه مرة واحدة بحيث ندخل في حسابنا القوى المؤثرة فيه من الداخل والقوى المؤثرة فيه من الخارج وكذلك المثيرات التي يبدأ بها النشاط والأهداف التي يرمى إليها وبحيث ندخل في اعتبارنا أيضا ما يحدث في مجال السلوك من قوى جديدة تؤدي إلى حدوث التغيير أو التعديل في هذا السلوك .

فديناميكية الشخصية إذن نتيجة لعمل مجموعة كبيرة من القوى الجسمية والعقلية التي ينبعث بعضها من الفرد وينبعث بعضها من البيئة المحيطة به وما دام الفرد حيا فستظل هذه القوى دائمة التغير وبذا يكون السلوك في لحظة معينة نتيجة لمحصلة هذه القوى جميعها وهي تعمل . . فإذا تعادلت جميع هذه القوى بحيث يصل الشخص إلى حالة استاتيكية تامة فمعنى ذلك وصوله إلى حالة انعدمت فيها الحيوية وهي حالة الموت حيث يصبح الكائن جسما ماديا عاديا يخضع لمجموعة جديدة من القوى خلاف تلك المجموعة التي تؤثر في الأحياء .

وهذا تفسير يتمشى مع طبيعة الحياة . . وقد سبق أن أكده كثيرون من الباحثين ومن أمثلة ذلك ما تحدث به فرويد Freud عما سماه غريزة الموت أو الرغبة في الموت Death wish باعتبار أنها الهدف النهائي لكل كائن حي والمصير المحتوم للجميع إذ بها يتحول الكائن الحي من جسم عضوى إلى جسم مادي . . ومهما طالت الحياة فإن هذه الغريزة أو هذا الدافع يجعل القوى الهدامة تتغلب على القوى الحيوية للحصول إلى حالة الاتزان النهائي عند الموت .

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن السلوك الحيوى يهدف دائما إلى الوصول إلى حالة نسبية من الاتزان النفسى Equilibrium بحيث تتعادل مجموعة القوى المؤثرة نسبيا ، ولهذا يشتد السلوك الحيوى إذا ما حدث اضطراب يقلل من هذا التوازن ، حيث يسبب توترا Tension يبقى أثره لحين زوال أسبابه أو مقاومته بما يقرب النفس من حالة التوازن من جديد .

إذن فالهدف العام للسلوك هو الوصول إلى حالة الاستقرار والتوافق والرضا أو الاتزان . والباعث أو المثير لأى سلوك هو كل ما يسبب اختلال هذا التوازن سواء كان بفعل قوة من الداخل ، أو قوة أخرى من الخارج .

أما مشكلة تحليل هذه القوى فهى التى تعتبر مصدراً للكثير من الخلاف والواقع أنه توجد مجموعة لا نهائية من القوى المؤثرة فى سلوك كل فرد ، والوصول لمعرفة هذه القوى يتطلب الإحاطة بحياة الشخص فى ماضيه وحاضره باستعداداته الموروثة والمكتسبة ، ومعرفة الظروف المادية والاجتماعية فى البيئة المحيطة به فى الزمان والمكان ، مما يجعل من الصعب جداً أن نضع معادلات ثابتة لتفسير دوافع السلوك تنطبق على جميع الأشخاص من جميع الأعمار ، وجميع الأجناس والبيئات والأوساط .

ولا غرو إذن إذا وجدنا علماء الاجتماع يختلفون فى نظرتهم للدوافع النفسية وتفسير السلوك عن علماء الأنثربولوجيا . بل لا غرو إذا وجدنا علماء النفس يختلفون فيما بينهم فى تبويب دوافع السلوك ، وما يعطونها من اصطلاحات ، فكل منهم ينظر من زاوية خاصة ، ولكل منهم مبرراته ونواحى القوة فى ارائه ، والرأى الأصوب هو الذى يأخذ من جميع هذه الآراء ما يصلح للنواحى التطبيقية فى الظروف التى تحقق أغراض الدراسة .

العواطف والاتجاهات العقلية

ليس من السهل أن نفصل بين العوامل الفطرية ، وعوامل البيئة فى تكوين الصفات المزاجية ، ولكن من الجائز أن نعتبر أن الانفعالات والاستعدادات المزاجية التى سبق الكلام عليها يغلب فيها العنصر الفطرى ، وأن العواطف والاتجاهات العقلية ، والعقد النفسية يغلب فيها العنصر المكتسب ؛ وهذا هو الذى دعا بعض العلماء لدراستها ضمن النواحى الخلقية فى الشخصية ؛ ولكن من المستحسن أن نعتبر العواطف والاتجاهات العقلية والعقد النفسية حلقة اتصال بين الصفات المزاجية والصفات الخلقية .

العواطف :

يتحدث الإنجليز من علماء النفس عن العواطف باعتبارها تنظيمات معينة للاستعدادات الانفعالية حول أشياء أو أشخاص أو موضوعات أو أفكار خاصة ، بحيث تجعل الشخص مهيأ لأن يسلك سلوكا خاصاً فى مواقف الحياة المختلفة ، بحسب ما يتكوّن فى نفسه من هذه العواطف

وقد قام شاند (Shand) ومكدوجل (Mc Dougall) بدراسة تكوين العواطف ونموها وأثرها فى تكوين الطابع العام للشخصية ، واعتبر مكدوجل أن تنظيم العواطف وتناسقها وانسجامها هو أساس تكامل الشخصية ، وأن عاطفة اعتبار الذات هى أهم العواطف التى يعتمد عليها فى هذا التنسيق وهذا الانسجام . فالشخص الذى تكون عنده عاطفة اعتبار الذات قوية ، يظهر فى خلقه التناسق واتجاه باقى العواطف نحو أهداف وأغراض متفقة ؛ أما من تكون لديه هذه العاطفة ضعيفة — بحيث لا تقوى على عمل التنظيم اللازم

فى باقى العواطف — فإنه يكون مفككاً الشخصية بسبب عدم تناسق عواطفه واختلاف أهدافها .

وإذا سلمنا بأن الشخصية تعتمد فى تكوينها على مجموعة العواطف التى تنمو فيها ، وأن تكامل الشخصية يتوقف على تكامل وانسجام هذه العواطف ، فمن الممكن أن نتخذ من أنواع العواطف الغالبة فى الأفراد أساساً لتقسيمهم إلى أنواع من الشخصيات ، حيث نجد أشخاصاً تسود عندهم عاطفة الميل إلى الدين ، أو حب الذات ، أو حب المال ، أو حب الأولاد ، أو حب العلم ، أو الميل إلى المثل العليا . . . وهكذا .

ويتأثر كل واحد من هؤلاء فى أسلوب حياته بما يكون عنده من عواطف قوية ، حيث تعمل هذه العواطف على إحداث نوع من تهيئة الذهن للقيام بسلوك أكثر تحديداً ؛ ولذا نجد أن معرفة عواطف الشخص تساعد فى كثير من الأحيان على التنبؤ بما سيكون عليه اتجاهه العقلى إزاء بعض الأمور أو تصرفه فى بعض المواقف .

ويصح أن نشير هنا إلى أهمية العواطف فى تنسيق حياة الشخص الوجدانية وتوجيهها ، ولذا تعتبر العواطف من العوامل المساعدة على الصحة النفسية ، فهى تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدراً من الانسجام ، وبتكوين العواطف وتنظيمها تتحدد أهداف الشخص فى الحياة ، ويتحدد تبعاً لذلك نشاطه الانفعالى والوجدانى فيكون ذلك أدعى إلى استقرار حياته المزاجية .

على أن هذا لا يمنع اختلاف الأشخاص كما قلنا فى عواطفهم من حيث مدى انسجامها ، حيث يمكن أن نجد شخصاً تغلب فيه عواطف الكراهية ،

وآخر تسود عنده عواطف المحبة ، كما أن بعض العواطف قد تتعارض أو تتصادم وقد تتعاون ، وعلى قدر ما يكون بينها من تعاون أو تصادم تتوقف قوة الشخصية .

الاتجاهات العقلية :

يتحدث الأمريكيون من علماء النفس عن الاتجاهات العقلية فى نفس المعنى تقريباً الذى يتحدث به الإنجليز عن العواطف ، ويميزون بين الاتجاهات العقلية وبين الصفات (Traits) بأن الأولى لها موضوع ترتبط به سواء كان مادياً أو معنوياً ، فنقول أن شخصاً لديه اتجاه عقلى نحو شىء أو نحو فكرة ، بينما تعتبر الصفات مطلقة وغير مقيدة ؛ ولذا نجد للاتجاهات العقلية ميزة التخصص بينما الصفات تتميز بكونها أكثر تعميما ، كما أن الاتجاه العقلى يتضمن نوعاً من الحكم أو إبداء الرأى بالقبول أو الرفض أو بالموافقة أو المعارضة ، ومن أمثلة ذلك الاتجاه العقلى نحو السفور أو الحجاب ، أو نحو التدين ، أو نحو تحديد النسل ، أو نحو التجديد أو المحافظة على القديم . .

وتعتبر مجموعة الاتجاهات العقلية فى الفرد أساس نوع شخصيته كما سبق القول فى العواطف تماما ، ولذا يقول برجز (Briggs) أن من الممكن الحكم على نوع الشخصية بالوقوف على الاتجاهات العقلية التى تظهر فيما يفضله الشخص ويقبله ، أو ما يتعصب ضده ويرفضه .

وهنا يبدو جلياً مرة أخرى صعوبة الفصل بين الاتجاهات العقلية (Attitudes) والميول (Interests) والصفات الخلقية (Character Traits) التى سيأتى ذكرها بعد . إذ أن الموضوعات التى تتمركز حولها الاتجاهات العقلية تتصل كثيراً بالنواحى الثقافية والخلقية ، كما أن عملية نمو العواطف

أو تكوين الاتجاهات العقلية لاتتم إلاعن طريق تفاعل الفرد بالبيئة وعواملها الثقافيةوالخلقيةوالاجتماعية،وهذا يؤكد لنا فكرةتداخل مكونات الشخصية.

ونظراً لارتباط موضوع الاتجاهات العقلية بالنواحى العملية والاجتماعية فقد وجهت إلى دراسته أنظار العلماء هذه الأيام ، فبدأوا محاولاتهم فى تحليل الاتجاهات العقلية للكبار وللصغار نحو الأمور المختلفة ، كدراسة الاتجاه العقلى نحو السلم والحرب ، ودراسة الاتجاه العقلى للأولاد و البنات نحو السينما أو نحو الإذاعة والصحافة ، ودراسة الاتجاه العقلى نحو المعيشة فى الريف والمدن . . .[١]

وأدت نتائج هذه البحوث إلى تعيين الاتجاهات العقلية التى يصح العمل على تكوينها فى تربية شخصية الناشئين ، وتلك التى يصح العمل على تقليل حدتها . . .

ومن الاتجاهات العقلية المرغوب فيها تنمية الاتجاه إلى مواجهة الحقيقة كما هى ، والثقة بالمقدرة على مواجهة مشاكل الحياة . وتكوين الاتجاه العقلى إلى الثقة بالغير وعدم التشكك فى الناس ، والاعتراف بحقوق الغير ، والمرونة فى الأخذ والعطاء والتعامل مع الآخرين ، وتدريب النفس على عدم التحيز أو التعصب . . .

ومن الاتجاهات العقلية الغير مرغوب فيها : الاتجاه نحو التأمل والاستغراق فى الأحلام والانسحاب من عالم الحقيقة والواقع، والاتجاه للكراهية والقسوة ، واتهام الغير والتشكك فى الناس لأتفه الأسباب ، والكف عن المكافحة فى الحياة ، والشعور بالعجز والنقص بدون سبب . . . وهكذا .

---

(١) انظر كتاب الاختبارات والمقاييس العقليه للمؤلف ، الفصل الخاص بقياس الاتجاهات النفسية .

وقد استخدمت طريقة التحليل العاملى فى دراسة الاتجاهات العقلية وأسفرت عن نتائج جديرة بالتسجيل ، ومن أمثـلة ذلك أحد الأبحاث التى قام بها ترستون (Thurstone) حيث وجد من أهم العوامل فى هذا المحيط عامل المجددين ضد المحافظين (Radicalism — Conservatism) ، كما وجد أن المجددين من الناس يغلب فى اتجاهاتهم العقلية عدم التمسك بالمبادىء الدينية ، و يميلون للموافقة على تحديد النسل ، و يفضلون النظم التى تؤدى إلى حرية الطلاق ، ويميلون إلى التجديد فى النظم السياسية . وهكذا . بينما يكون المحافظون على عكس ذلك .

كما دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين يظهرون اتجاهات عقلية واضحة فى أى الطرفين نحو موضوع ما يكونون فى الغالب متصفين بقوة الانفعالية العامة ، والمبالغة فى تقدير مواهب أنفسهم ، والسرعة فى الحركة والحـكم ، والثقة بالنفس أكثر من اللازم .

بينما الأشخاص الذين تـكون اتجاهاتهم العقلية نحو الأخذ بأواسط الأمور يكونون على عكس ذلك .

ومن أهم النتائج أيضاً أن الأشخاص المتقلبين فى أحكامهم واتجاهاتهم العقلية يكونون أقرب إلى الاتصاف بكونهم عصبيين ، وغير ناضجين ، مما يدل على أن عدم الثبات والتقلب صفة انفعالية هامة تؤثر فى تكوين الاتجاهات العقلية .

كما دلت الأبحاث أيضاً على أن تغيير الاتجاهات العقلية يتم بسهولة عن طريق اقتناع الجماعة التى يحب الشخص أن يجاريها عن طريق الاستهواء والمشاركة الوجدانية والمحاكاة ، أكثر مما يتم عن طريق طلب التغيير بالعقاب أو الإجبار أو إظهار الموافقة أو عدمها .

الصراع والعقد النفسية

تتميز الدوافع والقوى الانفعالية وما يتبعها من عواطف واتجاهات عقلية بصفة الديناميكية ، وبكونها فى تفاعل مستمر مع بعضها ومع باقى مكونات الشخصية ؛ وقد تختلف هذه القوى والدوافع فى أهدافها واتجاهاتها أثناء ذلك التفاعل ، وقد تتعارض أو تتصادم مع مؤثرات البيئة الخارجية من تقاليد وأوضاع اجتماعية ؛ ويعتبر كل هذا أمراً طبيعياً وعادياً ، بل إنه ضرورى ما دامت هناك حيوية وما دام هناك نشاط . ولكن قد تزداد درجة هذا التعارض والتصادم حتى تصل إلى شكل صراع عنيف يستنفد جزءاً كبيراً من طاقة الشخص الحيوية ، فيؤدى إلى تعطيل الإنتاج فى الفكر والعمل ، ويسبب الاضطرابات المزاجية التى قد تؤدى إلى الانهيار العقلى والمرض النفسى .

ونظراً لأهمية ظاهرة الصراع النفسى ونتائجها فقد اهتم العلماء بدراستها وتحليلها ، ومن الأساليب التى اتبعت فى ذلك المنهج التجريبى على الحيوان والإنسان ، حيث يوضع الفرد فى ظروف مصطنعة بحيث يتعرض لأنواع مختلفة من أساليب الاستثارة والمواقف التى تحدث الصراع . وقد دلت هذه البحوث التجريبية على وجود تشابه كبير فى نوع السلوك الذى يحدث للحيوان والإنسان تحت الظروف المتشابهة ، كما دلت هذه التجارب على أن هناك علاقة كبيرة بين أنواع الصراع المختلفة وبين أنواع الشذوذ والاضطراب فى السلوك ؛ وقد وضعت نتيجة لذلك نظريات كثيرة لتفسير الصراع ونتائجه يمكن تلخيصها فيما يأتى : —

النظرية الفسيولوجية :

يرى بافلف (Pavlov) أن الصراع يحدث نتيجة التصادم بين العمليات الفسيولوجية المتصلة بالاستثارة (excitatory) ، و بين العمليات المتصلة بإيقاف أو قمع هذه الاستثارة (Inhibitory) ، وما يحدث بين هاتين العمليتين من تداخل وتعارض فى الزمان والمكان ، إذ أنه يعتقد بوجود مراكز خاصة لهاتين العمليتين بالقشرة المخية . ولكن من الصعب أن نعترف بهذا التحديد الوظيفى وقسره على قشرة المخ وحدها ، كما أن من الأفضل أن نحاول تفسير الصراع على أساس ما يبدو لنا من السلوك الظاهر بدل تفسيره على أسس فسيولوجية يصعب التحقق من صحتها .

النظرية البيولوجية النفسية :

أما الدكتور ماسرمان (Masserman) فيبنى نظريته على أساس أهمية الدوافع وارتباطها بالنواحى البيولوجية . وقد وضع لنظريته الأسس الأربعة الآتية : —

١ — أن السلوك فى أساسه ينتج من دوافع بيولوجية تتوقف على المقتضيات الفسيولوجية .

٢ — أن من الممكن تعديل هذا السلوك على أساس ما يفهمه الشخص وما يتأثر به فعلا من القوى المحيطة به فى البيئة .

٣ — أنه ليس من الضرورى أن يكون السلوك موجهاً بطريقة مباشرة لإشباع الرغبات البيولوجية الأولية ، بل إنه من الممكن — وخصوصاً تحت تأثير ظروف الحرمان — أن يكون السلوك غير مباشر ، كأن يكون بطريقة رمزية ، أو استبدالية ، لإشباع تلك الرغبات البيولوجية .

٤ — عند ما تكون الدوافع البيولوجية والقوى المؤثرة فى البيئة على درجة كبيرة من الاختلاف بحيث يحدث بينها الصراع فإن السلوك يتأثر تبعاً لذلك ، إذ يشوبه التردد فلا يكون قاطعاً أو حاسماً ، وتتعقد مظاهره الرمزية ، ويؤدى إلى حدوث الأعراض الذهانية والعصابية .

النظرية السلوكية :

يبنى ملر (Miller) نظريته على فكرة المنافسة بين الاستجابات المختلفة إزاء مؤثر واحد ، أو المنافسة بين مؤثرين مختلفين . ومن أمثلة ذلك :

(١) حدوث النزاع بين الرغبة فى الإقدام نحو تحقيق غرض معين ، وبين الرغبة فى الابتعاد عنه — ويسمى هذا النوع : الأقدام — الاحجام (Approach — Avoidance) .

(٢) ويصح أن يحدث الصراع بين الإحجام لسبب نفسى والاحجام لسبب اجتماعى ، كرغبة الجندى فى الاحجام عن نزول المعركة خوفا على حياته ، ورغبته فى الإحجام عن التقهقر حتى لا يتهم بالجبن وعدم الوطنية ، وتكون النتيجة حدوث الصراع الذى يؤدى لحالة انهيار عصبى يخلصه من هاتين المشكلتين معاً . ويسمى هذا النوع من الصراع : الإحجام — الإحجام (Avoidance — Avoidance) .

(٣) أما النوع الثالث فهو الصراع الذى يحدث بين رغبتين يوضع الشخص فى موقف الإختيار لإحداها ، كحالة وجود نوعين من المغريات وتردد الشخص فى الفصل فى الإختيار . ويسمى هذا النوع من الصراع : الإقدام — الإقدام (Approach — Approach) .

نظرية المجال :

يبنى لڤين (Lewin) نظريته على فكرة المجال (Field) والقوى المؤثرة على الشخص فى مجال سلوكه ، سواء كانت هذه القوى ناشئة من الدوافع الداخلية أو من مؤثرات البيئة الخارجية ، وعلى التغير فى الكم والكيف لهذه القوى المختلفة ، وفى نظره أن الصراع يحدث عند تعارض مجموعة من قوى المجال المتساوية فى تأثيرها . ولا تختلف هذه النظرية كثيراً عن نظرية ملر (Miller) فى حالاتها الثلاث السابق توضيحها ، غير أن لفين (Lewin) يبنى آراءه على اصطلاحات كلها رياضية ، فبدل أن يتحدث عن الإقدام والإحجام يتحدث عن القوى الموجبة والقوى السالبة . كحالة التعارض بين قوى الدوافع الداخليـة التى يعتبرها موجبة (Positive Valence) و بين موانع البيئة التى يعتبرها قوى سالبة (Negative Valence) ، وما يتسبب عن هذا التعارض من الحرمان (Frustration) فى بعض الأحوال .

ويمكن تلخيص الإختلاف بين النظريتين فى أن ملر يبنى نظريته على فكرة المؤثر والاستجابة أو الرد عليه (Stimulus Response) ، فى حين أن نظرية لفين مبنية على نظريه الجشتلت (Gestalt) .

نتائج الصراع :

تدل الدراسات التجريبية التى قام بها علماء النفس الفسيولوجى على الحيوان والإنسان على السواء على ما يأتى : —

١ — يتوقف حدوث الانهيار العصبى فى مواقف الصراع المختلفة والطريقة التى تظهر بها أعراض هذا الانهيار على التكوين المزاجى .

٢ — نتيجة لذلك يختلف الأفراد فى استجاباتهم لنفس مواقف الصراع فى تجربة واحدة ، بحيث نجد أن هذه الاستجابات تظهر أحيانا فى شكل تقهقر أو نكوص لنوع من السلوك الذى يعتبر مناسبا لمرحلة من مراحل النمو أقل من المرحلة التى يمر بها الفرد حاليا ، وقد تحدث استجابة فرد آخر لنفس الموقف بالجمود فى وضع حركى معين ، أو القيام بحركات نمطية متكررة . . . أو أن تظهر عليه لزمات حركية خاصة . .

٣ — من نتائج الصراع تتأثر الحالة المزاجية فى الفرد موضع التجربة بحيث تتغير حالة الاستقرار والثبات الانفعالى ، فتبدو على الفرد مظاهر الانهباط والهدوء الانفعالى ، و بطء التأثر بالمؤثرات التى يتعرض لها والانكماش والعزلة ؛ أو تزداد الحساسية الانفعالية وتبدو على الفرد مظاهر القلق والهوس ، حيث يلجأ إلى الخبط والعض والتدمير والإعتداء على الغير وما يتبع ذلك من تغيرات فسيولوجية مصاحبة كازدياد سرعة التنفس وعدم انتظام ضربات القلب . . .

٤ — فى حالة الصراع الداخلى الذى يحدث بين القوى والدوافع النفسية الداخلية تنتج الأعراض التى يتميز بها العصاب أو الأمراض النفسية أما إذا حدث الصراع بين القوى الداخلية والمؤثرات الخارجية لدرجة يحدث فيها فقدان الوعى والرشد،فإن الأعراض التى تحدث تنطبق على الذهان أى الأمراض العقلية.

العقد النفسية :

من أهم التكوينات المزاجية المكتسبة التى تؤثر فى ديناميكية الشخصية خبرات الشخص وذكرياته الماضية وخصوصا ما يعرف منها بالعقد النفسية... وهى نوع من المجمعات العقلية أو الخبرات المتجمعة حول أمر معين مما مر بحياة

الشخص فى الماضى ، بحيث تـكون هذه الخبرات أو الذكريات مرتبطة أو مصحوبة بشحنة انفعالية قوية لا تستطيع أن تحتملها النفس الشعورية فيحدث لها الـكبت والنسيان ، وتنفصل عن الخبرات الشعورية وتهبط إلى أعماق النفس لتبقى فى العقل الباطن فعالة نشطة ، تعمل من وراء الستار وتؤثر فى تصرفات الشخص من غير أن يدرى . . . فتظهر فى أحكامه وأساليبه فى السلوك ، وتظهر فى بعض أحلامه فى النوم واليقظة . . ويمكن أن نلمس آثارها بوضـوح فى حالات الاضطرابات والأمراض النفسية وأسـاليب السلوك الشاذ .

وتتوقف أنواع هذه العقد على ظروف تكوينها ونوع الصراع النفسى الذي يلابس حدوثها ، وكذلك على نوع الانفعال الذى يصاحبها . فقد تتكون العقدة النفسية نتيجة الصراع بين دافعين من الدوافع الغريزية ، أو نتيجة الصراع بين الضمير والدوافع الغريزية ، أو بين النفس الشعورية والذات العليا والقوى المحيطة بالفرد فى البيئة .

وهناك أنواع مختلفة للعقد النفسية وذلك بحسب نوع الانفعال الغالب فيها كالعقد النفسية المرتبطة بالمخاوف ، والعقد المرتبطة بالدافع الجنسى ، والعقد المرتبطة بالشعور بالذنب ، والعقد المرتبطة بانفعال السيطرة أو الخنوع كعقدة النقص . . إلى غير ذلك .

وتسمى العقد أحيانا بحسب النواه التى تتركز حولها الخبرة الانفعالية ومن أشهر هذه العقد : عقدة الأم ، وعقدة التدين ، وعقدة الحرب .

وليس من الضرورى أن تظهر آثار العقد النفسية فى كل وقت فى أعمال الشخص ، إذ أنها تبقى عادة كامنة ولا تظهر إلا عندما يواجه الشخص موقفا

خاصا تستثار فيه إحدى جوانب العقدة النفسية ، حيث تتحرك من مكمنها وتشترك فى توجيه سلوكه من غير أن يشعر .

وهكذا نجد أنه ليس من الضرورى أن يصحب وجود العقد النفسية الإصابة بالمرض النفسى ، فقد يحمل الشخص فى نفسه عدداً من الذكريات المؤلمة والمكبوتة ولكن حياته وظروفه المعتادة تجعله فى مأمن من آثارها ... بينما يحدث أحيانا أن يواجه الشخص بعض مشكلات الحياة أو ينتقل إلى بيئة أخرى كالذهاب للجندية أو السفر إلى بلاد أجنبية . . . فيواجه بعض الأزمات النفسية التى تقلل مقاومته أو يواجه بعض المواقف التى تمس ما عنده من عقد نفسية كامنة ، فيبدو فى سلوكه الغرابة وتظهر آثار تلك العقد اللاشعورية .

الفصل العاشر

النواحي الخلقية

يعتقد بعض العلماء أن الخلق هو الشخصية وأن لا داعي للتفريق بينهما، ولعل هذا يرجع لارتباط الخلق بأساليب السلوك والتعامل مع البيئة . ذلك السلوك الذي يتأثر بمكونات الشخصية كلها . ولكن من المستحسن أن نفرق بين الاصطلاحين ، وأن نعتبر أن الخلق جانب واحد من الشخصية وأنه بذلك أكثر تحديداً وأقل اتساعاً . ويمكن أن نزيد في تحديد معنى الخلق إذا علمنا أنه ينتسب إلى النواحي الإرادية والنزوعية (Conative) ، في حين أن المزاج ينتسب إلى النواحي الوجدانية (Affective) ، وأن المعرفة تنتسب إلى النواحي الإدراكية (Cognitive) . أما الشخصية — كما سبق أن قلنا — فتشمل أكثر من هذه النواحي مجتمعة .

ويجب أن نقرر أن هناك صلة كبيرة بين النواحي الخلقية وبين النواحي المزاجية — خصوصاً المكتسبة — وأن من الصعب الفصل بينهما ، غير أن النواحي الخلقية أقرب إلى عوامل البيئة والوسط الاجتماعي والظروف المحيطة بالفرد ، كما أنها أكثر ارتباطا بنواحي السلوك التطبيقية والعملية ؛ ولهذا يصح أن نعتبر أن الخلق هو المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع مؤثرات البيئة الاجتماعية ، وأن النواحي المزاجية هي المواد الخام التي تبنى عليها الصفات الخلقية .

ويمكن أن نوضح معنى الخلق بالإشارة إلى ارتباطه بالإرادة (Will) ، وبالمعايير الأخلاقية السائدة فى البيئة . فالإرادة هى التى تظهر فى قيادة التصرف وتنظيم السلوك ، وفى المفاضلة بين الحلول والفصل فى المواقف عند ما يحدث التعارض أو التردد ، ولذا تتأثر الصفات الخلقية بما لدى الشخص من إرادة ؛ ويعرف أحد العلماء الإرادة بأنها : « الشخصية وهى تعمل » .

ومن هذا يتضح أن الخلق هو ذلك الجانب من الشخصية الوثيق الصلة بالإرادة والذى يعتبر مظهراً لانسجام القوى والدوافع الفطرية أو تعارضها ، والذى يمكن أن يقاس به مدى تكييف الفرد لسلوكه بحيث يتمشى مع مقتضيات البيئة .

وكثيراً ما تعتبر الصفات الخلقية فى الشخص أساس الحكم عليه من الناحية الأخلاقية . ولكن ينبغى أن نفرق هنا أيضاً بين الخلق (Character) وبين الأخلاق (Conduct) ، فالأول اصطلاح يتصل بعلوم النفس والاجتماع، وليس من الضرورى أن يتضمن الحكم الأخلاقى الذى ينصب على الاصطلاح الثانى المتصل بعلم الأخلاق . كما أن لفظ الأخلاق يعتبر أكثر تحديداً وأقل اتساعاً من لفظ الخلق .

ويمكن أن نفهم المقصود بالنواحى الخلقية بالإشارة إلى مظاهرها المختلفة كالعادات (Habits) والميول (Interests) والصفات الخلقية (Character Traits)

العـــادات

كثيراً ما يطلق لفظ عادة على أى نوع من أنواع السلوك المـكتسب تمييزاً له عن السلوك الفطرى الغريزى ، وقد أدى هذا التوسع فى معنى العادة إلى إطلاقها حتى على العواطف ذاتها باعتبارها عادات انفعالية . وبناء على هذا المعنى الواسع للعادة يعتبر بعض العلماء أن الشخصية هى مجرد مجموع عادات السلوك ، إذ أن جميع الصفات العامة للشخصية من ميول أو اتجاهات عقلية يمكن تحليلها و إرجاعها إلى مجموعات من العادات المترابطة مع بعضها .

ولـكن مكدوجل (McDougall) يرى حصر معنى العادة فى نطاق أضيق من ذلك ، فيقصرها على التصرفات الحركية أو الجسمية المـكتسبة التى تـكون سلسلة مترابطة من التصرفات ، بحيث لو بدأت إحداها تحدث باقى السلسلة بطريقة أوتوماتيكية و بنفس الترتيب التتابعى السابق حدوثه عند تـكوين العادة ، و يتم ذلك بسهولة و بدون وعي كبير أو تركيز للانتباه .

أما البرت (Allport) فيعرف العادة بأنها تنظيمات من الأفعال المنعكسة التى تشمل ردود أفعال شرطية (Conditioned) والتى يتم تكوينها بالتكرار والاقتران والترابط ، والتى تصل إلى نوع من الثبات بحيث يمكن حدوثها بنفس الطريقة عند كل استثارة .

وتعتمد العادات فى تـكوينها على قوانين التعلم المختلفة . وعلى الأساليب التربوية التى يتبعها الآباء والأمهات مع الطفل فى نشأته الأولى حيث يسهل تـكوين العادات لمرونة الجهاز العصبى . ومن هنا ندرك الأهمية التى تعطى

لسنى الطفل الأولى كأساس لتكوين صفاته الخلقية التى تشكل طابع شخصيته فى المستقبل . ولهذا يمكن القول بأن العادة هى استعداد يكتسب بالتعلم يجعل الشخص يقوم ببعض الأعمال بطريقة ميكانيكية و بمجهود بسيط ، و بدون حاجة لإعمال الفكر أو حصر الانتباه .

وقد أكد جيمس (James) و بين (Bain) أهمية العادات ، حيث قال جيمس إن العادة طبيعة ثانية ، وقال علماء آخرون إن أكثر من تسعين فى المائة من أعمالنا وتصرفاتنا يمكن ردها إلى العادات ، ولأجل هذا عنى هؤلاء العلماء بوضع قوانين تكوين العادات الصالحة والتخلص من العادات الضارة ، وأكدوا فائدة العادات فى تسهيل توجيه طاقة الشخص إلى التركيز فيما يحتاج إلى ابتكار أو تجديد .

ولكن بعض العلماء الآخرين يقللون من شأن العادات على أساس أن كثرتها تجعل الشخص مشابهاً للآلة الميكانيكية ، وتطبع حياته بطابع الجمود والركود مما يحول دون التقدم والتغيير والرقى وقد استند هؤلاء إلى خطر العادات الضارة وقوة سلطانها لدرجة أنهم قالوا : « إن خير عادة ألا يكون للمرء أى عادة » . وذلك لأن عدداً كبيراً من الأشخاص يخضعون لسلطان عاداتهم فيصبحون عبيداً لها و يصعب عليهم التخلص منها .

ولكن من الممكن أن تكون العادة خادما مطيعاً ، أو أن تكون عدواً مبيناً ، وهذا يتوقف على نوع العادات التى نعنى بتكوينها فى الشخصية أثناء مراحل نموها المختلفة ، وعلى مبلغ المرونة التى نصبغ بها العادة فى أثناء تكوينها ، بحيث تكون قابلة للتغيير والتوجيه ، وكل هذا يعتمد على الأساليب التربوية التى تتبع فى تنشئة الشخصية .

ويمكن أن نقارن بين الأشخاص من حيث عاداتهم ومبلغ سلطانهم عليها ، حيث نجد ذلك النوع من الناس الذى تعود عادات جامدة محدودة ثابتة لا يستطيع التحول عنها قيد شعرة ، كالشخص الذى يضطرب سلوكه وتشل حركته إذا تبين له أنه وضع قلمه فى جيب أخرى غير الذى تعود أن يضعه فيه مثلا ؛ وذلك النوع من الناس الذى استطاع أن يكوِّن لنفسه عادات نافعة تسهل له أعماله وتساعده على تنظيمها ، بعكس غيره ممن يضطر إلى توجيه انتباهه لكل حركة أو عمل يأتيه لأنه لم يكون لنفسه مثل تلك العادات .

وغنى عن الذكر أن نبين أثر العادات الضارة كإدمان المخدرات أو لعب الميسر أو تعاطى المشروبات الروحية . . فى تكوين طابع الشخصية وصفاتها الخلقية .

العادات المحبوبة والمكروهة :

كثيرا ما يكون الشخص لنفسه عادات صالحة تجعله محبوبا من غيره كأن يكون معتادا على النظام والنظافة . . واحترام حقوق الغير . . وقد يحدث أيضا أن تتكون فى الشخص بعض العادات الأخرى التى تجعله مكروها من غيره كعادة البصق والعطس من غير استعمال المنديل ، وترك الأقدام بقذارتها بعد خلع الحذاء ، والتزاحم وعدم النظام واحترام الدور عند محاولة قضاء مصلحة معينة سبقه إليها غيره ، والتدخل فى أعمال الغير الخاصة بغير مبرر ، وغير ذلك من العادات التى قد لايشعر الشخص بقوة أثرها فى سلوكه ولكنها تسبب له كثيراً من المتاعب الاجتماعية وتنفر غيره منه . ومن الواضح أن العمل على التخلص من مثل هذه العادات يساعد على شعور الشخص بالرضا عن نفسه والارتياح فى علاقاته بغيره مما يؤدى إلى زيادة تكامل الشخصية .

الميـــــول(١)

من الأمور التى تدخل ضمن النواحى الخلقية فى الشخصية ما يوجد لدى المرء من ميول ، ويقصد بالميل التعلق بأمر معين والإقبال على الانتباه إليه والاستمرار فى الاهتمام به فى شىء من الاحتمال و الرغبة . ويمكن أن يتصل هذا الميل بما يحب الشخص أو يعجب به ، أو بما من شأنه أن يوجد عنده نوعا من الانشغال بهذا الأمر

ومن هذا يتضح أن الميول تشبه العواطف ، ولـكن الميول تتصل بالنواحى النزوعية ، و بما يقوم به الشخص من تصرفات تدل على وجود الميل عنده . أما العاطفة فتغلب فيها الصبغة الوجدانية .

والميول تتـكون بالتدريج وتنمو مع الزمن ، وتتأثر بالعوامل الخارجية التى قد تقويها أو تضعفها ، ويمكن أن نميز بين نوعين من الميول وهما : —

١ — الميول التى تبنى على أسس غريزية أو انفعالية أو عاطفية أو حاجات نفسية . وهذه تـكون أكثر ثبوتاً ونموا ، كالميل المتصل بعاطفة جنسية ، أو الميل نحو الأمور الاجتماعية ، ذلك الميل المبنى على الحاجة إلى الشعور بالأمن والانتماء للجماعة ، أو الميل نحو الهوايات التى يغلب فيها عنصر اللعب .

٢ — الميول الثانوية أو المشتقة كتلك التى تتصل بالقيام بعمل أو مهنة حيث لا يظهر الميل للاقبال على مثل هذا النوع من النشاط إلا بسبب شعور الشخص بضرورة هذا العمل ، ولـكن مثل هذه الميول البعيدة الصلة بالحاجات والدوافع النفسية تـكون أقل ثبوتاً وأسهل تحولا وأكثر قابلية للتغير.
ويمكن أن نقول أن النوع الأول من الميول تـكون فيه صفة التلقائية ،

---

(١) انظر كتاب « اكتشاف ميول الأطفال » ترجمة المؤلف .

بينما النوع الثانى يكون مرتبطا بأهداف وأغراض خارجية يعمل الشخص على تحقيقها مضطراً .

وتتأثر الميول فى تكوينها بظروف البيئة وطبيعتها ، ولذا نجد أبناء البيئات المختلفة يختلفون فى أنواع الميول الغالبة فيهم ، فسكان البلاد الصناعية مثلا يميلون للاهتمام بالأشياء والأدوات الميكانيكية ، أما سكان البلاد الساحلية فيميلون للاهتمام بالصيد والتجارة ؛ كما أن ميول أهل الريف تختلف عن ميول سكان المدن ؛ وميول الأشخاص الذين نشأوا فى بيئات يغلب فيها الحرمان وفعل التقاليد والدين تختلف عن ميول من نشأوا فى بيئات تسودها الحرية والتحرر . . .

وتختلف الميول السائدة عند الأشخاص بحسب الجنس حيث نجد بصفة عامة أن الأولاد والرجال أكثر ميلا نحو الأمور العملية الخارجية ، ونحو الأمور الثقافية ونواحى النشاط العنيف ، بينما تتجه ميول البنات والسيدات نحو الهوايات المنزلية وتربية الأطفال ، والتزين والتجمل وما يتصل بتحسين أحوالهن .

ويمكن أن نلمس الاختلاف فى الميول بحسب السن والتطور فى مراحل النمو المختلفة[1] حيث نجد أن ميول الأطفال فى المراحل الأولى تتجه نحو أنفسهم ، ونحو الطعام والحماية ونحو الوالدين والجو المنزلى ؛ ثم تتحول ميولهم عندما يكبروا قليلا بحيث يغلب فيها نواحى النشاط وكسب المهارات والتعلم . أما فى دور المراهقة فنجد فترة يحدث فيها تغيير كبير فى الميول

(١) راجع كتاب النمو النفسى : للأستاذ عبد المنعم المليجى .

والاتجاهات العقلية ، حيث يحدث التحول نحو الأمور الدينية والاجتماعية والخلقية والجمالية . وفى دور الرجولة يتجه الميل والاهتمام نحو تكوين العائلة والعمل على الكسب والأنتاج . أما فى الكبر فتتجه الميول نحو الأعمال المتصفة بالهدوء والبعد عن المنافسة كارتياد المجتمعات المسلية ، وتنسيق الحدائق ، والمساعدة فى الخدمة الاجتماعية . . .

ونظراً لأهمية الميول فى تحديد الصفات الخلقية و تمييز الشخصية فقد اهتم العلماء بدراستها وتصنيفها ، وقد وضع كاتل (Cattell) أنواع الميول الآتية التى يمكن الاسترشاد بها فى دراسة الميول وهى : —

١ — الميول نحو الأشياء المادية الطبيعية ونحو حياة النبات أو الحيوان .

٢ — الميول المتصلة بالأمور التى تعتبر من وضع الإنسان كالأدوات الميكانيكية والصناعات والمهن والهوايات .

٣ — الميول الاجتماعية المتصلة بالأمور المنزلية أو المتصلة بالتاريخ أو النظام الاجتماعى .

٤ — الميول العقلية المتصلة بالتخيل والابتكار والمنطق والتفكير والعلوم والآداب .

٥ — الميول المتصلة بالأديان والفنون والنواحى الجمالية .

وقد قام الدكتور سرحان بدراسة اختلاف الميول بين الأطفال المصريين والأطفال الأمريكيين ، بحسب المعايير الثقافية السائدة فى كل من البيئتين ، واتخذ التقسيم الآتى أساساً لدراسته :

١ — الميول المتصلة بالأمور المادية .

٢ — الميول المتصلة بالنشاط الترويحى وأماكنه .

٣ — الميول المتصلة بالعلوم المدرسية المختلفة .

٤ — الميول المتصلة بالفنون والأشغال اليدوية والهوايات .

٥ — الميول المتصلة بتحسين الذات (Self-Improvement)

٦ — الميول المتعلقة بالناس .

الصفات الخلقية

يمكن تعريف الصفات الخلقية بأنها مجموعات من العادات والميول وأساليب السلوك المكتسبة ذات الطابع الثابت نسبيا التى يمكن ملاحظتها فى الشخص من تكرار ظهورها عنده فتجعله متميزا عن غيره من أفراد بيئته .

وتتكون الصفات الخلقية فى كل فرد نتيجة ما يتكون لديه من مبادىء ومثل عليا يمتصها ممن يحيطون به فى المنزل والمدرسة أو المصنع أو المجتمع العام فهى إذن تعتمد على التعلم والتربية . ولذا نجد أن النواحى الخلقية فى الشخصية هى أكثر مكونات الشخصية قابلية للتغير والتطور والتقدم على مر الأيام ، وهى التى يمكن أن نرجع إليها ما يحدث للانسان من حضارة ورقى ، كما أنها المجال الذى يظهر فيه التفاوت بوضوح بين الشخصيات من البيئات المختلفة وفى الأزمان المختلفة .

ونظراً لأهمية العوامل الخارجية فى تكوين الصفات الخلقية نجد أن هذه الصفات أقل ثباتاً وأكثر قابلية للتغير من الصفات المزاجية ، و بعض العلماء يذهبون لأكثر من ذلك فيقولون إنه ليس هناك صفات خلقية فى الشخص نفسه بحيث نتمكن بها من التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه فى المواقف المختلفة بل إن الصفات الخلقية أكثر انتسابا إلى المواقف والظروف المحيطة بالشخص .

ولأجل هذا يقول هارتشورن وماى (Hartshorne & May) فى بحثهما عن الأمانة : يصح أن نتحدث عن أعمال صادقة أو أعمال كاذبة بدل أن نتحدث عن أشخاص صادقين أو أشخاص كاذبين .

ويصدق هذا الرأى على الأخص فى الأطفال والأفراد فى الأعمار الصغيرة حيث لا يكون الشخص قد كون لنفسه مبادىء يسترشد بها فى سلوكه أو أسساً لقيادة تصرفاته ، فتكون الصفات الخلقية التى يظهر بها رهينة بظروف المواقف والقوى المؤثرة فيها ، بحيث يصدق فى بعض الأمور ويكذب فى البعض الآخر ، ويظهر بمظهر الإخلاص فى موقف وبمظهر مضاد لذلك فى موقف آخر بحسب الظروف ... وهكذا .

ولكن بمرور الزمن تتبلور الصفات وتتكون المبادىء والمثل مع النضج والتربية ، ولذا نجد فى الشباب والكبر أشخاصا يمكن أن نلمس عندهم صفات خلقية ثابتة نسبياً .

قائمة الصفات الخلقية :

حاول بعض علماء النفس أن يجمعوا الصفات الخلقية التى يمكن الاستعانة بها فى تقدير الشخصية ، ووضعوا لذلك قوائم تختلف فى طولها وقصرها بحسب ما يذهبون فيها من بحث فى التفاصيل .

ومن أمثلة ذلك إحدى القوائم التى وضعها كاتل (Cattell) ، والتى أمكنه أن يبوبها فى مجموعات تعبر عن مناطق الشخصية المختلفة . وسيرى القارىء فى هذه القائمة بعض الصفات ذات الطابع المزاجى أو المعرفى ، وذلك لأن من الصعب كما قلنا أن نفصل بين هذه الصفات وبين الصفات الخلقية التى تبنى عليها .

وقد وصف كاتل كل صفة بذكر عكسها مما يسهل تقدير الأشخاص بتعيين الدرجة التى توجد بها كل صفة أو ضدها عنده ، كأن نقول مثلا إن أحد الأشخاص شجاع جداً ، أو شجاع ، أو متوسط ، أو جبان ، أو جبان جداً ... وهكذا .

وهذه بعض الصفات فى قائمة كاتل : —

١ — التهذيب والتكامل الخلقى ، وما يتبع ذلك من صفات الأمانة وإنكار الذات .

٢ — النضج والتكامل الانفعالى ، وما يتبع ذلك من مدى قدرة الشخص على مواجهة الواقع ، واليقظة .

٣ — الصراحة والتفاؤل والاتزان ، وما يتبع ذلك من الروح الرياضية والتحرر من التعصب .

٤ — التعقل ووضوح التفكير وصفاء الذهن ، وما يتبع ذلك من قدرة على الابتكار والتصرف الحكيم .

٥ — نظرة الشخص لنفسه ولغيره ، وما يتبع ذلك من ميل إلى حب الظهور ، والغرور أو التواضع ، ولوم النفس أو لوم الغير .

٦ — الشجاعة والإقدام ضد الجبن والإحجام ، وما يتبع ذلك من حب المخاطرة والتحمس ، والاعتداد بالنفس .

٧ — الروح الاجتماعية وما ينطوى تحتها من حب العزلة والانكماش والخجل والاكتفاء الذاتى ، أو حب الاختلاط والاشتراك فى العمل مع الغير .

٨ — الثبات الانفعالى والاتزان المزاجى ، وما يتبع ذلك من تقلب أو تطرف ومن القدرة على ضبط النفس أو التسرع .

٩ — التمسك بالمبادىء والمثل العليا ، وما يتبع ذلك من العرفان بالجميل أو إنكاره ، والاستخفاف بالأمور ، وتقدير القيم الأخلاقية والعمل بها .

١٠ — النشاط والحيوية ومدى ما لدى الشخص من طاقة فعالة ، وما يتبع ذلك من التحمس والمثابرة و بذل الجهد، أو القابلية للتعب والملل والتواكل.

١١ — القابلية للتحرر من القيود والعادات والأوضاع الجامدة ، وما يتبع ذلك من تمسك بالقديم والمحافظة على النظم والمواعيد الدقيقة ، و اتباع القواعد الدينية بحذافيرها ، أو التحرر فى الرأى والقابلية للتغيير .

١٢ — البوهيمية وعدم النظام والفوضى ، أو العمل عل أسس وخطط موضوعة ، وما يتبع ذلك من وجود فلسفة خاصة عند الشخص ، ومدى انسجام أهدافه وأغراضه .

١٣ — الميل نحو الفنون الجميلة وتقدير الجمال والإبداع ، وما يتبع ذلك من قدرات موسيقية أو هبات جمالية وابتكارية أخرى .

١٤ — صفات القوة الجسمية والصحة العامة ، وما يتبع ذلك من احتمال المشاق وصبر على مواجهة الصعوبات ، والتركيز والإقبال على العمل مدة طويلة .

١٥ — هواية النشاط الرياضى واللعب .

١٦ — الجرى وراء الشهوات الدنيوية ، كإدمان المخدرات والخضوع للذة الذاتية ، وعدم الاكتراث أو الاهتمام بتوجيه الحياة إلى ما هو أجدى .

١٧ — اتساع الأفق وكثرة الميول ، وحب الاستطلاع والبحث والتنقيب والاهتمام بما يجرى فى المجتمع و بالتغيرات السياسية فى الداخل والخارج .

١٨ — الاندفاع وراء الرغبات الحاضرة وعدم تقدير العواقب ، أو بعد النظر والعمل للمستقبل .

١٩ — مدى شعور الشخص بالرضا بما هو فيه ، وما يتبع ذلك من القناعة أو الطموح والمحافظة على عدم التغيير أو التبديل .

٢ — الاستقرار المكانى وتهيئة الذهن على الوضع المألوف وما يتبع ذلك من صعوبة التكيف فى البيئة الجديدة إذا تغيرت ، أو حب الرحيل والتنقل وسهولة الانسجام فى الوسط الجديد .

وقد يلمس القارىء بعض التداخل والتشابه والتكرار فى هذه الصفات مما يدل على صعوبة تحديدها ، وذلك لأن الشخصية كلها وحدة وكل محاولة لتحليلها تعتبر تحايلا على تسهيل البحث والدراسة .

الصفات المحبوبة والمكروهة :

من البحوث الطريفة التى أجريت فى دراسة صفات الشخصية ما قام به أحد علماء النفس من تحليله للصفات المحبوبة والصفات المكروهة كما يراها الطلاب والطالبات فى زملائهم و زميلاتهم ،وفيما يلى جدول الصفات التى تجعل الشخص محبوبا من غيره .

الرجال يحبون فى		النساء يحبون فى	
الرجال	النساء	الرجال	النساء
الذكاء	الجمال	الذكاء	الذكاء
الانشراح	الذكاء	مراعاة شعور الغير	الانشراح
الصداقة	الانشراح	العطف	المساعدة
تشابه الميول	تشابه الميول	المرح	الإخلاص
	الجاذبية الجنسية	التهذيب	

أما أهم الصفات التى تجعل الشخص مكروها من غيره فهى ما يأتى : —
الأنانية . الخداع . الوقاحة . القذارة . الغباء . العبوس .
ومن الواضح أن من الممكن لكل شخص أن يعمل على تدريب نفسه على الصفات التى تحبب فيه غيره ، وأن يبذل جهده فى محاولة التخلص من الصفات التى تجعله مكروها من غيره . . .

التحليل العاملى فى محيط الصفات الخلقية :

لقد دلت أبحاث التحليل العاملى على وجـــود عامل خلقى عام (General Character - Factor) فى النواحى النزوعية يناظر الذكاء العام فى النواحى المعرفية والانفعالية العامة فى النواحى المزاجية .
وأول من أبرز وجود هذا العامل الخلقى هو وب (Webb) منذ عام ١٩١٥ حين رمز إليه بالحرف (W) ووصفه بالوضوح فى :

(١) الصفات الخلقية المبنية على القيم والمبادىء الاجتماعية .
(٢) المثابرة والكفاح للتغلب على الصعوبات والوصول للهدف .
(٣) الاتزان وضبط النفس والإرادة القوية .
(٤) التعامل الاجتماعى .

وقد أيدت البحوث الحديثة التى قام بها العلماء أمثال كاتل (Cattell) وثرستون (Thurstone) وجود هذا العامل الخلقى العام الذى يطلق عليه أحيانا العامل الإرادى الخلقى (Will-Character) إشارة إلى ارتباطه الوثيق بالنواحى النزوعية والإرادية .

أما العوامل الطائفية الخلقية فكثيرة ، وتتوقف على عدد ونوع الصفات التى يهتم الباحثون بأخذها فى حسابهم أثناء البحث ، ومن أمثلة العوامل الطائفية فى هذا المحيط ما يأتى : —

١ — عامل التكامل الخلقى ضد التفكك والانحلال .

٢ — عامل النضج الخلقى والاعتماد على النفس ضد الطفولية والاعتماد على الغير .

٣ — القيادة ضد التبعية :

٤ — عامل المخاطرة والإقدام ضد الانسحاب والإحجام .

الفصل الحادي عشر

اللاشعور والجهاز النفسي

يفترض علماء التحليل النفسي وجود ثلاثة مكونات رئيسية للشخصية يمكن الاستعانة بها في تفسير السلوك وهي :

(١) الشعور . (٢) اللاشعور . (٣) الضمير .

الشعور :

إذا حاول كل منا أن يتأمل أفكاره وتصرفاته ، ليعرف بواعثها وكيفية حدوثها ومدى خضوعها للإرادة والمنطق ، فإنه سيجد أن جزءاً يسيرا من سلوكه يسهل عليه متابعته وإدراكه ومعرفة مسبباته ويسهل عليه أيضا توجيهه . . وهذا هو الجزء « الشعوري » من النفس الذي يسمى أحيانا بالعقل الواعي أو « الشعور » .

ولكن هذا الجزء الشعوري من النفس ما هو إلا حلقة من سلسلة كبيرة متدرجة في الوضوح والغموض ، بحيث يمكن أن نعتبر أن العقل الشعوري هو أوضح الحلقات وأقربها إلى وعينا وإدراكنا . . . ويليه حلقة أخرى يمكن أن تسمى شبه الشعور أو « ما قبل الشعور » ، لأنها تكون وسطا بين الغموض والوضوح بالنسبة لوعينا لها . . وهذا الجزء من النفس قريب من الشعور الإدراكي بحيث يسهل على محتوياتهما الانتقال والظهور إلى قمة الشعور التي تعرف « ببؤرة الانتباه » .

وإذا تدرجنا نحو الجزء من النفس الأكثر غموضا فيمكن أن نتصور مرورنا بمنطقة « هامش الشعور » وهى التى تعتبر محتوياتها على الحدود بين الوعى والإدراك البسيط وبين القرب من الغموض باعتبارها على حافة « اللاشعور ».

اللاشـــعور :

واللاشعور هو ذلك الجزء من النفس الذى يصل إلى درجة من الإبهام والغموض بحيث لا نعرف عنه إلا مظاهره ، والذى يعتبر مصدراً للنشاط العقلى الذى يستمر حدوثه بدون معرفتنا ، بحيث لا نستطيع التحكم فيه . فهو القوة التى تعمل من وراء الستار ، فتجعلنا نحب ونكره ونتصرف من غير أن ندرى بواعث حبنا أو كرهنا أو تصرفنا .

ويمكن أن نتصور أن اللاشعور أو العقل الباطن يحتوى على أنواع كثيرة من القوى والخبرات النفسية ، وكلها مختلطة ببعضها ودائمة الحركة والفاعلية ، بحيث تتولد منها القوى الدافعة لسلوكنا والنابعة من تلك الطاقة النفسية الكبيرة الكامنة خلف حواجز النفس الشعورية .

ومن الممكن تقسيم هذه الخبرات اللاشعورية إلى خبرات يسهل تذكرها وإحضارها للشعور بإرادتنا كالمعلومات المعرفية والذكريات القريبة . . . وخبرات يصعب تذكرها إما لكونها قليلة الأهمية ، أو لكونها حدثت فى الماضى البعيد ، أو لأن لها صفة خاصة تجعل من الصعب استحضارها أمام العقل الشعورى .

وهناك خبرات من نوع آخر لا يمكن تذكرها إلا بوسائل التحليل النفسى أو التنويم المغناطيسى ، أو غير ذلك من الطرق التى تحتاج إلى الإخصائى النفسى وهذه الخبرات تكون فى الغالب ذات صبغة انفعالية خاصة

ومن النوع الذى اضطر العقل الشعورى إلى كبته و إلقائه فى أعماق اللاشعور ليكون بعيداً عنه . . فيظل يعمل من وراء الستار فيؤثر فى السلوك من غير أن يشعر الشخص — ومن قبيل ذلك نتائج الصدمات النفسية المؤلمة المكبوتة وما يعرف « بالعقد النفسية » .

ومن مكونات العقل الباطن أيضا ما يولد به الشخص من طاقة نفسية ودوافع غريزية ورغبات واستعدادات كامنة .

واللاشعور هو أيضا المستودع الذى تخرج منه تلك الأحلام المخيفة أو المضحكة عند النوم — وهو الذى يفسر لنا الكثير من تصرفاتنا وحيلنا العقلية كالاندفاع والتبرير والتقمص والتعويض عما يكون عندنا من نقص ، وغير ذلك من التصرفات . .

ومن الممكن أن نقول أن الجزء اللاشعورى من النفس يكوّن الجزء الأكبر من الشخصية ، ولذا يشبه بثمانية أتساع قطعة الثلج المنغمس فى الماء والذى لا يستطيع أحد أن يراه ، فى حين أن الشعور يمثل التسع الظاهر من قطعة الثلج وهو الجزء الطافى على الماء الظاهر لإدراكنا .

وقد أشار مايرز (Myers) فى كتابه الذى ظهر فى عام ١٩٠٣ عن تحليل « شخصية الإنسان » إلى اللاشعور فيما سماه « النفس الغير منظورة » وهى « ما تحت النفس » (Subliminal Self) و « ما فوق النفس الشعورية » (Ultra—Marginal Consciousness) على اعتبار أن ذلك هو الجزء الأكبر من النفس الغير ظاهرة — أما الجزء الظاهر من النفس وهو « النفس الشعورية » فهو الجزء الذى يقع فى مجال إدراكنا والذى تمكننا حواسنا من الشعور به .

فى حين أن هناك محيطا أوسع منه بكثير يقع بعد حدود الجزء الشعورى ويمتد إلى دائرة واسعة لا تدركها عقولنا ولا نعرف عنها إلا مظاهرها وذلك هو اللاشعور .

ويمكن تشبيه الشعور بذلك المجال المحدد من التموجات الضوئية الممكن إدراكها وهى التى تكون تموجات الطيف المنظور المحصور بين ما يسمى « الأشعة تحت الحمراء Infra Red » من طرف . . وما فوق البنفسجية Ullra — Violet من الطرف الآخر . . . أما بقية التموجات الإشعاعية خارج هذه الحدود فتشبه اللاشعور من حيث اتساع محيطها وقوة أثرها فى حياتنا وفى كونها خارج مجال إدراكنا وفوق مقدور حواسنا .

إذن فالعقل الظاهر أو الشعور جزء يسير من ذلك الكل العام الذى يتكون منه اللاشعور ، الذى تحدث فيه كثير من الظواهر النفسية الغير مرئية والغير معروفة لنا . . وربما يكون له علاقة بالقوى الطبيعية الخارقة للعادة والظواهر الروحية التى نرى بعض آثارها ولم نستطع بعد أن نجد لها تفسيراً مقبولا لعقولنا المحدودة بمبلغ ما وصل إليه الإنسان من علم وتكوين عقلى .

الضمـــير :

والجزء الهام الثالث من الشخصية هو الضمير أو « الرقيب » وهو الذى يتكون أثناء نمو الشخصية منذ الطفولة المبكرة عندما يمتص الطفل من والديه وبيئته المبادىء والمثل العليا التى يتخذ منها معياراً لما يصح عمله وما لا يصح ، وما يليق أن يبدو من تصرفاته وما لا يليق أن يظهر به أمام الغـير . . . فهو إذن الوظيفة التنظيمية الموجهة للسلوك والتصرف . . وهو يعتبر بمثابة

رجل البوليس بين الشعور واللاشعور لينظم ما ينبغى أن يظهر فى تصرفاتنا وما ينبغى أن يمنع من الظهور . . وهو الذى يجعلنا نشعر بالخطأ والذنب عندما نحيد عن المعايير التى يحددها لنا . . بل إنه يستطيع أحيانا أن يجعلنا نعاقب أنفسنا على أخطائنا بدون أن نشعر . . .

ويتأثر الضمير فى عمله بعوامل التعب والملل بحيث يمكن أن تقل سيطرته بدرجات متفاوتة حسب درجة يقظته . . فعند التخدير أو النوم مثلا تقل سيطرته تماما ولذا تكون المحتويات اللاشعورية فى أوج قوتها الدافعة فلا تجد ما يقاومها أو يمنعها ولذا تظهر فى الأحلام حرة من القيود التى يضعها عليها الضمير فى وقت اليقظة .

الجهـاز النفسى :

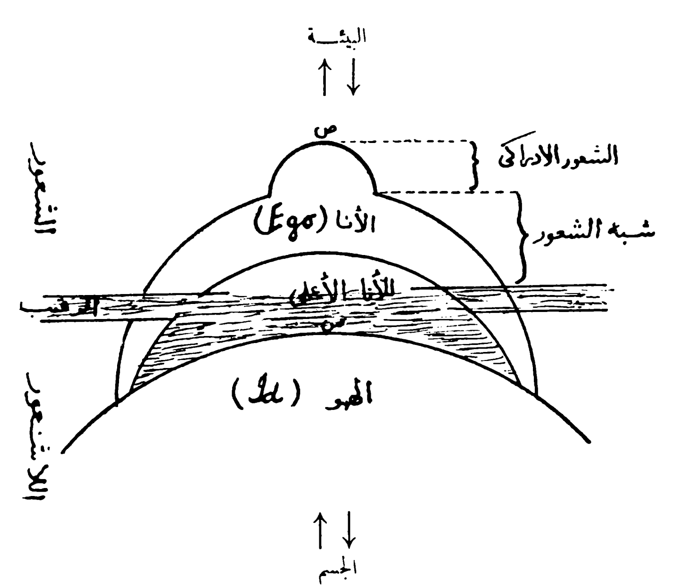
وقد فتح فرويد-(Freud) أبواب البحث فى أعماق النفس بافتراضه لأجزاء الجهاز النفسى التى تتكون من : (١) الأنا (Ego) .

(٢) الهو أو الهى (d) . (٣) الذات العليا (Super Ego) .

وقد ساعدت هذه الاصطلاحات على تفسير الصراع النفسى فبنى عليها « فرويد » نظريته فى التحليل النفسانى .

وفيما يلى شكل يوضح مكونات الشخصية وجهازها النفسى ، وعلاقة أجزائه بالشعور واللاشعور والضمير أو الرقيب :

طبوغرافية الجهاز النفسى



شكل يوضح مكان النفس ومكوناتها بين البيئة والنواحى الجسمية
عن كتاب : برج (Berg) صفحة ٤٣٧

ومن هذا الشكل يتضح ما يأتى :

١ — أن الجزء من النفس الذى يتعامل مع البيئة هو الشعور أو العقل الظاهر ، وأن هذا الجزء يمكن اعتباره مكونا من مراتب متدرجة ، حيث يمكن أن نميز فيه : بؤرة الشعور ، والشعور الإدراكى ، ثم ما قبل الشعور أو شبه الشعور .

٢ — أن اللاشعور أقرب إلى النواحى الجسمية والدوافع البيولوجية ، وأنه أكثر اتساعا وعمقا من الشعور ، مما يدل على أهمية العقل الباطن كأحد مكونات الشخصية .

٣ — أن بين الشعور واللاشعور يمكن أن نتصور الرقيب الذى يعمل بمثابة المنظم لتفاعل محتوياتهما ، فيسمح لبعض القوى بالظهور من العقل الباطن إلى الشعور ولا يسمح للبعض الآخر ، وهو الذى يكون فى غفلة فى حالة النوم ولذا تتدفق محتويات اللاشعور فتظهر فى الأحلام بصورها الرمزية المعروفة .

٤ — يمكن أن نسمى الجزء الذى يغلب فيه الجانب الشعورى من الشخصية بالأنا (Ego) ، وهو ذلك الجزء من النفس الذى يواجه العالم الخارجى ويتأثر به ، وهو الذى يُشعر الشخص بذاتيته . ويصح أن يسمى بالنفس الذاتية .

٥ — أما ذلك الجزء من اللاشعور الذى يعبر عنه بالهو (Id) فيمثل النفس البدائية التى تتكون من الطاقة الغريزية وتحوى الرغبات والنزعات اللاشعورية التى تريد التعبير عن نفسها . ويضم أيضاً تلك التنظيمات ذات

الصيغة الانفعالية التى تكون قد مرت بالشخص ولكنها تعارضت مع بعض المؤثرات والقوى النفسية فحدث لها الكبت أو الفصل والقذف إلى أعماق النفس ، حيث تبقى هناك فعالة نشطة ، وإن كانت بعيدة عن الوعى والشعور وفى زوايا النسيان . وهذه هى ما يعبر عنها بالعقد النفسية .

٦ — وبين الأنا والهو ومن نتيجة تفاعلهما معا يتكون جزء آخر من النفس يسمى الأنا الأعلى (Super-Ego) ، وهو الذى ينشأ مع الشخصية ويتطور تكوينه بنموها وتطورها ، فتتمثل فيه سلطة المعايير الخلقية والمثل العليا ، ويكون للنفس الذاتية بمثابة الذات العليا المسيطرة ، ويمكن أن يطلق عليه اسم النفس اللوامة . وواضح من الرسم أن جزءا منه لا شعورى وجزءا آخر شعورى ، لأن تكوينه كما قلنا يتأثر بالنزعات اللاشعورية والمعايير الخارجية أيضاً ، وواضح من الرسم أيضاً أنه يؤدى وظيفة الرقيب .

التفسير التحليلى للصراع النفسى ونتائجه :

ويفسر علماء النفس التحليلى ما يحدث للشخص من اضطرابات مزاجية وأمراض نفسية على أساس الصراع الذى يحدث بين أجزاء هذا الجهاز النفسى .

فإذا حدث الصراع بين النفس البدائية (Id) وبين النفس الذاتية (Ego) أو النفس اللوامة (Super Ego) فإن هذا النوع من الصراع يعتبر داخلياً (Endo psychic) حيث يمكن أن نتصور مكان حدوثه عند (س) على الرسم .

وفى هذه الحالة تكون العلاقة بين الأنا (Ego) وبين البيئة لا زالت مستمرة ، ولذا يكون وعى الشخص لرشده لا زال موجوداً ، ويكون تعامله مع المجتمع لا زال ممكناً . ولهذا فإن الاضطراب النفسى فى هذه الحالات

يكون جزئياً بحيث لا تتأثر به الشخصية كلها ، وهذا هو ما يحدث فى حالات الأمراض النفسية .

أما إذا حدث الصراع بين النفس البدائية أو (الهو) أو الذات أو الذات العليا أى النفس اللوامة ، و بين قوى البيئة ومؤثرات المجتمع ، فإن نتائج هذا الصراع يمكن تصور حدوثها عند (ص) على الرسم . وفى هذه الحالة يكون الأنا (Ego) قد أثقل بقوى الهو (Id) لدرجة تجعله يكاد يفقد صلته بالواقع . ولذا تحدث اضطرابات الشخصية التى يفقد فيها الشخص رشده وصوابه ، ولا يكون شاعراً بما فيه من تغيير واضطراب ، ولا يكون عنده استبصار لما صارت إليه حاله . وهذا هو ما يحدث فى حالات الذهان .

وقد ذهب علماء النفس فى تفسير الصراع النفسى ونتائجه مذاهب مختلفة ، فمثلا نجد أن فرويد يرى أن أساس الاضطرابات والأمراض النفسية هو الصراع بين النفس البدائية وما بها من دوافع يغلب عليها الناحية الجنسية وما يحدث لها من كبت وحرمان وما يقف أمامها من قيود ، فالأمراض النفسية قد تكون مظهراً للتعبير عن الحرمان من الإشباع الجنسى مثلا ، وتختلف أنواع هذه الأمراض بحسب مراحل النمو الجنسية وما حدث للشخص أثناءها من صعوبات واضطرابات ، ويضيف فرويد إلى ذلك أيضاً أهمية الشعور بالذنب ، وأهمية النزعات العدوانية فى تكوين هذه الاضطرابات والأمراض . فهو إذن يعمل أهمية كبرى للحياة الماضية .

أما أدلر فيبنى تفسيره على أساس النزعة إلى السيطرة وما يعتريها من صعوبات ، وعلى أساس الشعور بالنقص والميل إلى التعويض عنه أحيانا ،

وعلى المبالغة فى تقدير الذات وتخيل أهداف أبعد من قدرة الشخص ، فيكون فشله فى تحقيق هذه الأهداف عاملا من عوامل الانهيار النفسى . . فهو إذن يعمل أهمية كبرى للنظر إلى الأهداف المستقبلة .

أما يونج (Jung) فيؤكد أهمية المسئوليات التى يواجهها الشخص، خصوصاً عند عجز طاقته العقلية عن الاضطلاع بأعباء الحياة ، واضطراره إلى الانسحاب من الواقع والرجوع أو النكوص إلى نوع من وسائل السلوك البدائية التى ترتبط بإحدى مراحل النمو الماضية . فهو إذن يعمل أهمية كبرى لمشاكل الحياة الحاضرة .

وهناك آراء أخرى فى تفسير الصراع النفسى وتكوين الاضطرابات النفسية ، ومن أهمها رأى كارن هورنى Karen Horney القائل بأن الاهتمام بالعوامل الغريزية أو الخبرات التى أثرت فى حياة الشخص فى الماضى أيام طفولته لا تكفى وحدها لتفسير ما يصيب الشخصية من اضطراب ، بل لا بد أن نبحث أيضا عن عوامل البيئة والظروف الحاضرة المحيطة بحياة الفرد التى تشترك فعلا فيما ينتابه من الصراع النفسى .

و إذن يصبح لدراسة الحياة الاجتماعية للفرد اعتبارا كبيرا بحيث لا يكتفى بالعوامل البيولوجية أو الغريزية وحدها فى البحث ، فالغريزة الجنسية لا يصح إذن أن تعتبر المركز الرئيسى لكل اضطراب نفسى . . بل إن المشكلات الجنسية إن ظهرت فى بعض المشكلات فإنما تظهر كنتيجة لفساد عوامل البيئة ولا تعتبر إذن سببا للاضطراب .

أما العوامل الخلقية فهى التى يجب أن تحتل الاهتمام الأكبر ، وينبغى

أن نتناولها بالتحليل والدراسة بدل أن نحاول الرجوع إلى عهد طفولة المريض .
ويكون هدفنا فى العلاج النفسى إذن ليس مجرد تمكين المريض من السيطرة
على دوافعه الغريزية بل أيضا تقليل حدة التوتر النفسى الموجود عنده نتيجة
تضارب نزعاته مع قيود البيئة المحيطة به بمحاولة تغيير ما يجب تعديله من
ظروف البيئة . وفى هذا الرأى اتجاه سليم للعناية بعوامل التربية الحاضرة
ودراسة الظروف الثقافيـة والاتجاهات المحيطة بالفرد التى تسبب له الصراع
النفسى . وهذا الاتجاه متفق عليه من علماء التربية وعلماء الاجتماع والباحثين
فى العلاقات الثقافية والاجتماعية .

الفصل الثانى عشر

أثر الوراثة والبيئة فى تكوين الشخصية

الوراثة والبيئة :

تحدثنا فيما سبق عن مكونات الشخصية من النواحى الجسمية والعقلية والمعرفية والمزاجية والخلقية وسنحاول فيما يلى أن نتبين أثر كل من عاملى الوراثة والبيئة فى هذه المكونات . . .

والمقصود بالوراثة انتقال بعض الصفات من الآباء والجدود إلى الأبناء سواء كانت هذه الصفات فطرية عامة يشترك فيها أفراد الجنس كله .. أو كانت من التغييرات التى تطرأ فى الجنيات فيما يسمى بالطفرة العاملية فتنشأ عنها صفات جديدة بالنوع تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الكروموسومات . . والتى يصح أن تختفى فى بعض الأجيال ثم تعود إلى الظهور فى أجيال أخرى حسب قوانين الوراثة ونظرياتها .

أما البيئة فهى كل ما يحيط بالفرد و يؤثر فيه مدة حياته ، وتشمل ظروف تكوين الجنين وما يطرأ عليه أثناء مدة الحمل والولادة ، ثم ما ينتابه من المؤثرات بعد الولادة سواء منها ما يتصل بالعوامل الطبيعية كالمناخ والطبيعة الجغرافية أو ما يتصل بالعوامل الثقافية والاجتماعية من عادات وتقاليد ونظم .

وقد تباحث العلماء كثيراً فى الأهمية النسبية لكل من الوراثة والبيئة .. فتحمس فريق منهم لأهمية الوراثة . . وهم ممن تأثروا بدراسة علوم الحياة . .

ومن هؤلاء Wiggam الذى يقول : « إن الوراثة لا البيئة هى العامل الرئيسى فى تكوين الشخصية ، فكل السعادة وكل الشقاء الذى يصيب الفرد فى حياته مرده إلى الوراثة والتكوين الأصلى . . وكل ما نراه من فروق بين الأفراد ترجع إلى الاختلاف بينهم فى تكوين الخلايا التى يولدون بها » . ويقول Gennings أيضا « إن النواحى العقلية والمزاجية وطابع الشخصية فى أى مرحلة من مراحل نمو الفرد تعتمد معظم الاعتماد على الجينات — ويمكن القول بأنه ما من مظهر من مظاهر الاختلافات الفردية إلا وله أساس وراثى » .

وعلى النقيض من ذلك نجد فريقاً آخر من العلماء يجعل للبيئة الأهمية الكبرى ، وهؤلاء ممن تأثروا بدراسة علوم الاجتماع والتربية . . ومن أمثالهم Watson الذى يقول : « أعطنى عدداً من الأطفال الأصحاء الأقوياء البنية ومكنى من أن أهيىء لهم البيئات التى أريدها لهم . . وسأضمن لك أن أجعل من أى واحد منهم نوع الشخصية التى أريدها وأختارها ، فباستطاعتى أن أخلق من أى واحد منهم طبيباً أو فنانا أو تاجرا . وإن شئت فسأخلق منه شحاذاً أو مجرماً . . بصرف النظر عن مواهبه الموروثة وميوله الفطرية وغير ذلك من القدرات التى انتقلت إليه من أجداده ، فليس هناك شىء يدعى وراثة المواهب أو المزاج أو التكوين العقلى » .

ولست أود الاسترسال فى ذكر أمثلة من آراء الفريقين . ولكن الرأى المتفق عليه الآن هو أن مكونات الشخصية تتأثر بعاملى الوراثة والبيئة معاً ولكن بدرجات متفاوتة . . ويصح أن نعترف بأن أثر الوراثة يكون أكثر وضوحا فى النواحى الجسمية كطول القامة ولون البشرة ، وكذلك النواحى العقلية الثابتة نسبيا مثل كمية الذكاء والاستعدادات العقلية المعرفية . . بل إن

التكوين المزاجى للشخص وقوة طاقته الغريزية تعتمد كثيرا على تكوينه الطبيعى والوراثى . أما أثر البيئة فيظهر بوضوح أكثر فى التكوين الخلقى والصفات النفسية والدوافع التى يكتسبها الفرد بالتعلم والخبرة . . وكذلك ما يتكون عنده من اتجاهات وآراء ومثل عليا وما يحصله من أنواع الثقافة وضروب المعرفة والمهارات العملية .

ويجدر بنا كمصلحين اجتماعيين وكمربين أن نهتم بعوامل البيئة ونعطيها وزنا أكبر من عنايتنا ، إذ أنها أكثر خضوعا للتغيير والإصلاح ، وفى مقدورنا أن نعمل على تحسينها والتحكم فيها بدرجة أكثر من عوامل الوراثة . على ألا نتجاهل أهمية عوامل الوراثة وتطبيقها فى تحسين النسل والعمل على خلق أجيال أكثر قدرة على الكفاح فى الحياة .

ويمكن أن ندرس تأثير البيئة فى تكوين الشخصية بالإشارة إلى ما يأتى :

(١) البيئة المنزلية .

(٢) البيئة المدرسية .

(٣) بيئة المجتمع العام .

البيئة المنزلية

المنزل هو المزرعة الأولى التى تنبت فيها بذور الشخصية ، وتدل الدراسات التتبعية للأطفال والكبار على أن أسس الشخصية التى تتكون فى المنزل فى السنين الأولى من حياة الطفل يصعب فيما بعد تعديلها أو تغيير جوهرها ؛ إذ أن البيئة المدرسية لا ينفذ أثرها بعيداً فيما وراء النواحى المعرفية والثقافية . وقد قام بعض الباحثين فى أمريكا بمقارنة أثر كل من المنزل والمدرسة

فى تكوين الشخصية ، فوجد أن نصيب الأم فى التأثير على التكوين الخلق للطفل يوازى ٦٠ درجة ، ونصيب أقرب صديق للطفل ٥٨ درجة ، ونصيب الأب ٤٠ درجة ، بينما وجد أن نصيب مدرس الكشافة — وهو أقرب المدرسين إلى التلميذ — ٢٠ درجة ، ونصيب المدرس العادى ٨ درجات فقط . مما يدل على أن المدرسة لا تخلق شخصية جديدة ، وإنما تبنى على الأسس التى وضعها المنزل محاولة تهذيبها وتوجيهها .

ويمكن تلخيص العوامل المنزلية التى تؤثر فى تكوين شخصية الطفل فيما يأتى : —

١ — الوالدان :

فهما مصدر العطف ومبعث الاطمئنان ، فإذا فقد الطفل أحدهما بالوفاة أو بسبب الطلاق والتفكك العائلى ، فإن هذا من شأنه أن يؤثر فى شخصية الطفل نتيجة ما يتبع ذلك من تغيير فى المعاملة وحرمان من العطف ، وقد تزداد الحالة سوءاً إذا كان للطفل زوجة أب أو زوج أم ، أو إذا فقد الطفل والديه . . وهكذا . .

٢ — الحالة المادية فى المنزل :

يتبع ذلك حالة المنزل من فقر أو غنى ومن شعور الطفل بمركزه العائلى واعتزازه به ، فقد دلت الدراسات الاجتماعية على أن الفقر عامل فعال فى تكوين الشخصية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، سواء من حيث التأثير فى الحالة الصحية ، أو من ناحية نقص التغذية أو عدم كفايتها ، أو من ناحية عدم استكمال وسائل الراحة أو التمكن من حصول الطفل على مطالبه واضطراره أحيانا إلى السرقة أو التشرد . . وهكذا . .

٣ — الحالة الثقافية فى المنزل :

وتشمل مدى مايقدمه الآباء لأطفالهم من كتب ومجلات وما يحيطونهم به من جو ثقافى ، سواء فى إجابات أسئلتهم ، أو تسهيل استفادتهم الثقافية عن طريق الرحلات والأسفار ، والذهاب إلى السينما وقراءة الصحف وسماع الإذاعة . . . وغير ذلك .

٤ — الحالة الوجدانية والانفعالية التى تحيط بالطفل فى الجو المنزلى :

ويتبع ذلك المعاملة التى يلقاها من أبويه ومدى اتفاقهما ، أو تضارب آرائهما فى هذه المعاملة . ثم مدى تشددهم وتساهلهم فى الثواب أو العقاب مع الطفل . . . ومما يؤثر فى الحالة النفسية للطفل بصورة مباشرة ما يشعر به من جو عام فى المنزل ، سواء كان ذلك خاصا بعلاقة الأبوين وخلافاتهما الزوجية ، أو بعلاقة الطفل بإخوته ، أو باقى أفراد المنزل الآخرين من جدات وخدم وأقارب .

٥ — الإخوة :

فقد أشار أدلر (Adler) إلى أهمية مركز الطفل فى العائلة ، وأثر ذلك فى تكوين الطابع العام لأسلوب حياته ونوع شخصيته ، كما أشار فلوجل (Flugel) إلى أثر علاقة الطفل بإخوته ، وأثر علاقاتهم فى المجتمع المنزلى فى تحديد أساليب السلوك وتكوين الصفات الخلقية والطباع المزاجية ، من ميل إلى التعاون ، أو العناد والمشاكسة أو الغيرة أو الانقياد أو التبعية . . وهكذا . . ووصف علماء النفس الصفات التى يغلب وجودها فى الطفل الأول ، والتى تميزه عن الطفل الثانى والطفل الأخير فى العائلة . . فقالوا إن الطفل

الأول يحظى من أبويه بعناية ورعاية أوفى من غيره ، فتجاب مطالبه وينشأ مدللا معتمدا عليهم ، ولذا يتعود على الاتكال ، ويكون قليل الكفاح وأقل نجاحا فى الحياة من الطفل الثانى الذى ينشأ على حب المنافسة والمثابرة على الكفاح والاعتماد على النفس ، نتيجة الظروف التى وجد نفسه فيها منذ ولادته ووجود أخيه الأكبر أمامه محتلا المكانة الأولى ، فيضطر لبذل الجهد حتى يصل إلى النجاح والتفوق عليه . . وأما الطفل الأصغر فيكون أكثر تمتعا بطفولته وحريته ، لأنه يعامل على أنه ضعيف ولا يطلب إليه تحمل المسئولية بسرعة ، ويكون فى مستقبله أقل قدرة على القيادة ، وقد يعوض عن شعوره بنقصه فينجح فى حياته . ويمكن أن يقاس على ذلك فى حالة الطفل الوحيد أو الشبيه بالوحيد ، كأن يكون الذكر وحده بين عدد من البنات أو غير ذلك من الحالات .

ويمكن بوجه عام أن نلمس أثر البيئة المنزلية فى تكوين شخصية الطفل بالرجوع إلى سجلات حالات الأطفال المشكلين فى العيادات السيكوجية ومكاتب الأحداث ، وبالرجوع إلى الدراسات التى تعمل فى التحليل النفسى لدراسة مشاكل الكبار المصابين بأمراض نفسية وعقلية ، حيث يقرر الإخصائى الاجتماعى دائما وجود المشاكل المنزلية التى تسبب الشذوذ فى هذه الحالات ، بل إن (Neill) يقول « فى الحقيقة لا يوجد أطفال مشكلون، وإنما المشكلون هم الآباء والكبار » .

فالطفل المهمل المحروم هو الذى ينشأ ميالا للاعتداء ، والطفل المدلل هو الذى ينشأ على الجبن والانكماش والخجل ، والطفل الذى ينشأ تحت ضغط القسوة والتقييد هو الذى ينشأ ثائرا على السلطة غير محب للخضوع للنظام ، والأطفال الذين ينشأون فى منازل مفككة أو متدهورة هم الذين يكونون نسبة كبيرة بين المتشردين والمجرمين .

البيئة المدرسية

المدرسة هى البيئة الثانية التى يواصل الطفل فيها نموه وإعداده للحياة المستقبلة ، والتى تتعهد القالب الذى صاغه المنزل لشخصية الطفل بالتهذيب والتعديل بما تهيئه له من نواحى النشاط لمرحلة النمو التى هو فيها .

وبالتحاق الطفل بالمدرسة تتسع الدائرة التى تكون مجال سلوكه ، وتبدأ حلقة جديدة من حلقات حياته التى تعتبر مرحلة من مراحل الفطام النفسى وتحرر الطفل من الجو الاتكالى بالمنزل إلى الجو الذى يشعر فيه بشىء من الاستقلال ، فيخرج من المجتمع الصغير الذى كان يتكون من والديه وإخوته وباقى أفراد المنزل إلى مجتمع أكثر اتساعا وأقل تجانسا ، وهو المجتمع المدرسى الذى يتكون من الناظر والمدرسين والتلاميذ وغيرهم .

وفى هذا المجتمع الجديد مجال واسع للتدريب والتعلم والتعامل مع الغير والتكييف الاجتماعى وتكوين الأسس الأولية للحقوق والواجبات والقيم الأخلاقية .

ومن أهم العوامل المدرسية ذات الأثر المباشر فى تكوين شخصية الطفل ما يأتى : —

١ — الروح المدرسية العامة :

وتشمل ما يسود الجو المدرسى من استقرار أو اضطراب ، وما يتبع فى معاملة التلاميذ من شدة أو لين ومن ثواب وعقاب ومن ثبات فى هذه المعاملة ، وما تحققه المدرسة من عدل اجتماعى وتقدير واحترام لكل تلميذ مهما كانت طبقته الاجتماعية ، وما تهيئه للجميع من شعور بالأمن والاطمئنان وما تبعثه فى نفوسهم من شعور بالعزة والكرامة . . إلى غير ذلك .

ويتوقف مدى تأثير المدرسة فى شخصية الطفل على مدى ما تحققه من أغراض تربوية عامة ، فالمدرسة التى تقصر عملها على مجرد تلقين المعلومات وتحفيظ الدروس لا يتعدى أثرها ناحية التكوين المعرفى ؛ أما المدرسة التى تعمل على تربية الشخصية من جميع نواحيها المعرفية والمزاجية والخلقية ، وتضع فى برامجها من نواحى النشاط الاجتماعى والعملى ، ما يتفاعل مع شخصية الطفل كلها ، فهى التى تستطيع أن تحدث تغيرا ملموسا فى تكوين الشخصية .

ومن أمثلة المدارس التى تعنى بتربية الشخصية فعلا ذلك النوع الموجود بانجلترا ، والذى يسمى المدارس العامة (Public Schools) ، وهى مدارس ذات تقاليد خاصة ، يعيش التلاميذ بالأقسام الداخلية بها على نظام الأسر (House System) ويستمرون بها طول مدتى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية معاً ، بحيث يتشبعون بتقاليد المدرسة ونظمها وعاداتها ، وتقوم الدراسة بهذه المدارس على أساس الاهتمام بالحياة الاجتماعية ، وتربية الشخصية والروح الرياضية وتكوين المبادىء الخلقية ، والمثل العليا بجانب الاهتمام بالنواحى الثقافية والمعرفية التى لا تطغى على النواحى السابقة .

٢ — عامل المدرس :

فهو المصدر الذى يعتبره الطفل النموذج الذى تستمد منه المعرفة والمبادىء الخلقية ، ومصدر السلطة الذى يلجأ إليه التلميذ فى معرفة الخطأ والصواب ، والسلوك السوى المقبول والسلوك الشاذ الغير مرغوب . .

ولهذا نجد للمدرسين مثل ما للآباء من الأثر فى تكوين فكرة الطفل عن نفسه وفى تربية خلقه وتكوين شخصيته ، ويتوقف تأثير المدرس فى

التلميذ على ما يشعر به التلميذ نحو المدرس من تقدير واحترام ، فكم من الناس قد تغيرت حياتهم وتحدد مستقبلهم نتيجة الإعجاب بالمدرس وتأثيره ، وكم من الناس قد كرهوا العلم وكرهوا الحياة وهجروا المدارس بسبب المدرس أيضاً .

فأثر المدرس إذن يمتد وراء النواحى المعرفية والثقافية إلى ما ينتقل منه إلى التلميذ عن طريق التقليد والمحاكاة فى أساليب السلوك وصفات الشخصية الأخرى ، وما يحدثه المدرس من توجيه ميول التلميذ واتجاهاته العقلية نحو الأمور المختلفة من هوايات وفنون وآداب مما يكون له أثر كبير فى توجيه حياته المستقبلة .

٣ — عامل النجاح المدرسى :

يتوقف النجاح المدرسى على عوامل كثيرة ، ولكن النجاح فى ذاته عامل ذو أثر كبير فى تكوين الشخصية ، إذ أن النجاح يتبعه عادة تقدير ورضاً من الغير وشعور بالارتياح والثقة بالنفس ، أما الرسوب والفشل المتكرر فيتبعه فى العادة تأنيب النفس ونقد الغير ، وعدم الشعور بالارتياح أو الرضا . وكل هذه عوامل نفسية تؤثر فى فكرة الشخص عن نفسه ، وفى شعوره بالنقص أو شعوره بالكفاية وما يتبع ذلك من أثر على الشخصية كلها وكلنا يقدر الطاقة النفسية وراء النجاح وما تحدثه من توقد الحماس وإيقاظ الأمل مما يساعد على بذل الجهد ومواصلة السعى إلى تكرار النجاح ، أما فى حالات الفشل والرسوب فيحاول الشخص عادة توجيه طاقته إلى نواح أخرى تشعره بالنجاح والتفوق ، كإحداث الشغب وارتكاب الجرائم أو تزعم التلاميذ فى الخروج على النظام وقيادة المظاهرات . .

وكل هذا لا ينكر أثره فى الطابع المزاجى للشخص وفى درجة الثبات الانفعالى عنده ، وما يتبع ذلك من صفات خلقية ، وغنى عن الذكر ما يحدثه النجاح أو الفشل من تغيير فى مجرى حياة الشخص وأسلوب سلوكه ، وتحديد لمستقبله الثقافى والمهنى ونجاحه فى الحياة بوجه عام .

ويرتبط بهذه الناحية فى تكوين الشخصية عيوب الامتحانات التقليدية المتبعة فى تقدير النجاح ، وما تؤدى إليه من تكوين الشخصيات السطحية فى ثقافتها والتى تعكس ما لاقته من قسوة الامتحانات فى صورة السخط على المجتمع .

بيئة المجتمع العام

بجانب ما تتأثر به شخصية الطفل من عوامل منزلية ومدرسية نجد نوعا آخر من التأثير الذى يتم بطريقة يصعب التحكم فيها . ذلك هو تأثير البيئة بالمعنى الواسع التى يمكن تلخيص عواملها فيما يأتى : —

١ — الموقع الجغرافى للوطن الذى تنشأ فيه الشخصية ، وما يتبع ذلك من مؤثرات جوية ، ومن طبيعة أرضية من جبال وسهول وبحار وأنهار وصحار ووديان . . وهكذا . فسكان الجبال والغابات أكثر ميلا للمخاطرة والقتال من سكان السهول والوديان مثلا .

٢ — نوع الحياة المدنية ، ونوع الحرف والصناعات التى يتطلب من الشخص حذقها وإتقانها فى البيئة ، فسكان المدن يختلفون عن سكان القرى وسكان البلاد الصناعية يختلفون عن سكان البلاد التجارية ، وسكان القصور يختلفون عن سكان الخيام ، والذين يعيشون على الصيد والقنص يختلفون عمن يعيشون على الرعى والزراعة . .

٣ — النظم والأوضاع الاجتماعية الثابتة نسبياً كالدين واللغة والنظام السياسى والاقتصادى ، فلكل ديانة مبادئها وطقوسها ، والشخص الذى ينشأ فى بلد ديموقراطى يختلف عمن ينشأ فى بلد شيوعى . . وهكذا .

٤ — الروح الاجتماعية السائدة المرتبطة بالعلاقات بين الرجل والمرأة والدور الذى يقوم به كل منهما فى المجتمع ، ونظرة كل منهما للآخر ومدى السلطة المعطاة لكل منهما ، فهناك مجتمعات تعطى المرأة حقوقها فى المساواة مع الرجل ومجتمعات تحد من هذه الحقوق ، ويتبع ذلك اختلافات جوهرية فى نوع الشخصية .

٥ — العادات والوسائل التربوية التى تتبع فى تنشئة الأطفال ومعاملتهم فى مراحل النمو المختلفة ، وما يتبع ذلك من شدة أو لين ومن تساهل أو تدقيق ، ومن ثواب وعقاب ومن تأجيل الفطام وطول مدة الطفولة ، أو تقصير مدة الرضاعة وسرعة الفطام وانخراط الطفل فى أعمال الرجولة من سن مبكر . . وهكذا .

٦ — المعايير الخلقية والاجتماعية السائدة ومدى ما يوجد بين الأفراد من انقياد للنزعات العدوانية وحب الأخذ بالثأر وقتال وحروب ، أو مسالمة وتعاون وهدوء وحب وعطف وروابط ودية ، فهناك قبائل وجماعات ترى الفخر فى القتال والنضال ، وقبائل وجماعات تحب السلام والهدوء والأمان . وهذا يؤثر فى تكوين الشخصية فى أفراد كل جماعة .

٧ — ما يعتبر شاذاً وما يعتبر عادياً فى البيئة . فالمعروف أن الشذوذ أمر نسبي ويتوقف على نظرة المجتمع ، فهناك جماعات تعتبر السرقة جرأة والأخذ بالثأر عزة . وهناك جماعات ترى التهتك والفوضى الأخلاقية حرية . .

وجماعات ترى فى الضغط والكبت والحرمان من الاختلاط تدينا وأدبا . . وهكذا .

وطبيعى أن الشخصية تتأثر بذلك ، إذ يحاول كل فرد أن يكون متمشيا مع ما هو عادى فى الجماعة التى ينتمى إليها . .

٨ — أنواع الثقافات ودرجة التعليم وما يتبع ذلك من تمسك بالخرافات والعادات المرذولة واعتقاد فى السحر والشعوذة ، أو التصرف فى الأمور بناء على أسس علمية ودراسات صحيحة .

أمثلة لتأثير البيئة فى الشخصية

قام علماء الأنثروبولوجيا (Anthropology) بدراسات مقارنة لأنواع مختلفة من القبائل والشعوب فى البيئات المختلفة ، وما تحدثه البيئة من أثر فى تكوين صفات الشخصية التى يظن أنها فطرية . ومن أمثلة ذلك البحث الذى قامت به مارجريت ميد (Margret Mead) فى دراسة ثلاث قبائل من بيئات مختلفة ، حيث وجدت أن طابع البيئة ينعكس على شخصية الأفراد ، بحيث تتباين الطباع والصفات بوضوح كبير ، بفعل مؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية . وإلى القارىء ملخصا سريعا لهذه القبائل الثلاثة : —

١ — قبيلة أرابش : (Arapech)

وهى قبيلة يعيش أهلها على سفوح الجبال ، ويشتغلون بالرعى والزراعة ، وينشئون أطفالهم نشأة لينة بدون تشدد فى قسوة أو عقاب ، وحياتهم العامة طابعها الهدوء والمسالمة ، ولذا نجد شخصياتهم تنفر من النزاع ولا تميل للمقاتلة ،

وحياتهم الزوجية هادئة تشوبها العلاقات العاطفية الودية ، ويكاد يوجد نوع من المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات .

٢ — قبيلة منديوجومر : (Mundugumor)

ويسكن أهلها الغابات والأحراش ، ويشتغلون بالصيد والقنص وقطع الأشجار ، وحياتهم ممزوجة بالمخاوف والدفاع والقتال ، لا يعرفون السلم أو الهدوء ، يتسمون بالسطوة والسيطرة على القبائل المحيطة بهم ، يقاتلون فى سبيل حب التملك ، وحياتهم مشوبة بالقلق والاضطراب والمنافسة والنزاع ، ينشأ أطفالهم على القسوة والبغض والعقاب الصارم ، ويشب الطفل ليجد نفسه فى بيئة عدوانية مملوءة بالتشاحن والتطاحن ، حتى أن الأم ترضع الطفل لماما وتبادر بفطامه سريعا . أما الروابط العائلية فبعيدة عن الشعور بالاطمئنان ، ويتنازع الرجال النساء ويتنازع النساء الرجال ، بل ويتنازع الرجال والنساء على السلطة فيما بينهما ، وعلى الجملة نجد أن الصفات الغالبة فى كل من الرجل والمرأة هى تلك الصفات التى نسميها نحن صفات الرجولة ، لما تتسم به من قوة وخشونة وعنف وقتال .

٣ — قبيلة تشامبولى : (Tchambuli)

وتسكن بيئة ساحلية ، ويشتغل أهلها بصيد الأسماك ، ولكن النساء يقمن بالنصيب الأكبر من المسئولية ، فعليهن القيام بالصيد وعمل الشباك ، علاوة على إنجاب الأطفال ورعايتهم والإشراف عليهم ، وعليهن إدارة حياة المنزل الاقتصادية ، أما الرجال فيذهبون للأسواق ، ويقومون بمهمة الرقص وإقامة الحفلات للترفيه عن النساء ، ويدفع النساء أثمان مشاهدة مثل هذه

الحفلات . . . أى أن الرجال يقومون بدور المرأة ، والمرأة تقوم بعمل الرجل . . . وهذا هو الوضع العادى الذى ارتضته هذه الجماعة ونشأت عليه ، ولذا يتصف الرجال بالتخنث والضعف أمام النساء ، وتقل بينهم المنافسة أو السيطرة ، ولـكن غيرتهم على النساء تتخذ مظهرا هادئا يبدو فى الحقد والغيبة واستراق السمع والتجسس ، أما النساء فيجتمعن فى تكاتف وقوة بحيث يشعر الرجال بالحاجة إليهن و إلى رعايتهن اقتصادياً وعاطفياً .

و يمكن القول بأن هذا المجتمع يعتبر سيادة المرأة أمراً طبيعياً و إذا ظهر بينهم رجل يميل للتسلط وعدم الخضوع للمرأة يعتبر شاذاً . .

ومن هذا نرى مثالا يوضح أثر البيئة فى تكو ين الصفات المزاجية والخلقية الثابتـة نسبياً والتى يظن أنها فطر ية وطبيعية ، فصفات الخشونة والسيطرة وتسلط الرجل على المرأة تعتبر من الصفات المـكتسبة ومن نتائج ظروف البيئة ، والنزعة العدوانية وحب المقاتلة أو المسالمة والهدوء والميل إلى الدعة تعتبر — من هذه الأمثلة — دوافع مكتسبة ويخضع تعبيرها لطبيعة البيئة . . وهكذا .

اختلاف الشخصية فى المجتمعات المعاصرة :

وقد حاول علماء الاجتماع (Sociology) القيام بدراسة مقارنة لأنواع الشخصية فى الشعوب المعـاصرة ، وما تحدثه الاختلافات فى ثقافات هذه الشعوب ونظمها السياسية والاجتماعية من اختلاف فى تـكو ين الصفات البارزة فى الشخصية . ومن أمثلة ذلك مقارنة الأشخاص فى الشعوب الآتية :

١ — سكان اليابان :

وهؤلاء ينشأون فى تنظيم اجتماعى يفنى فيه الفرد لصالح المجموع ، ويسوده الولاء الكامل للامبراطور ، وينشأ أطفالهم فى جو من الرعاية والعطف الشديد الذى ينقلب بسرعة إلى شدة وقسوة وطاعة للنظام ، ولذا يتميز طابع شخصية اليابانى بالقلق والخوف ، والتفانى فى أداء الواجب نحو الأمبراطور والطاعة العمياء ، مع كبت الحرية والنزعة الاستقلالية .

٢ — الشعب الأمريكى :

وعلى النقيض من ذلك ينشأ الأمريكيون فى جو من الحرية والتفكك الاجتماعى نسبياً ، ولذا يتوقف نجاح كل فرد على جهده وكفاحه الشخصى ، وينشأ الأطفال فى بيئة تسودها الرعاية والعطف ، فيشب الشخص معتمداً على نفسه ويعمل لنفسه ويلقى تبعة القتال والدفاع على الحكومة . .

٣ — شعوب أخرى :

وقياساً على ذلك يمكن أن نفهم شخصية الإنجليزى الذى ينشأ فى بيئة صناعية ويتعود التنقل فيما وراء البحار والسفر إلى المستعمرات ، وشخصية الألمانى أيام النازية الذى ينشأ على النظام العسكرى الدقيق . . . وشخصية الروسى الذى يعيش فى بيئة تسودها الشيوعية . . . وهكذا .

الفصل الثالث عشر

تكامل الشخصية وانحلالها

لقد رأينا من تحليلنا للنواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية أن من الممكن أن نصل فى هذا التحليل إلى عدد لا نهائى من العناصر والصفات التى يمكن أن تختلف فى النوع والكم والكيف .

وقد رأينا أن من الممكن أن نرجع اختلاف الشخصيات وتباين الأفراد إلى ذلك العدد الكبير من التباديل والتوافيق التى يمكن أن تتجمع بها مجموعة الصفات التى تمثل نواحى الشخصية وأركانها الرئيسية بحيث تتكون منها التنظيمات والتشكيلات التى يتكون بها الفرد .

ولكن ليس المهم فى دراستنا للشخصية أن نعرف تحايل الصفات التى تكونها فقط ، بل يجب أيضا أن نقف على مدى ما يحدث بين هذه العناصر من توافق وتداخل وانسجام فى التركيب بحيث تنتج منها تلك الوحدة التى لا تتجزأ ، وأن نعرف إلى أى حد تتميز الشخصية بالنضج والتكامل والصحة الجسمية والنفسية .

<u>معنى التكامل :</u>

التكامل اصطلاح علمى يستعمل فى العلوم الرياضية بما يفيد التكوين الكلى الناتج من تجمع الكميات المتزايدة بما يؤدى إلى الوحدة الشاملة لها ... وقد استعمل هذا اللفظ فى علم النفس فى دراسة الشخصية بما يفيد اندماج

العناصر وترابط المكونات التى تتدخل فى تنظيمها بما يؤدى إلى تماسك وحدتها واتساق وظائفها . . .

فالتكامل إذن يتضمن النمو والنضج ، و يتضمن كذلك التوافق والترابط والانسجام بين أجزاء الشخصية وعواملها لتتكون منها الوحدة الشاملة المميزة للفرد . ويختلف الناس كثيراً فيما يتحقق عندهم من درجات النمو والنضج ، ومن درجات التوافق والتآزر بين نواحى نشاطهم وأساليبهم فى السلوك . . . ولذا يمكن أن نعتبر أن لكل شخصية درجة معينة من التكامل تزيد أو تنقص بسبب عوامل كثيرة ... وأن التكامل فى ذاته هدف مثالى وغاية ترمى إليها التربية بما تحدثه من التغيرات المتتابعة فى نفس الفرد لتصل بمكونات شخصيته إلى ما يمكن الوصول إليه من التناسق والتوافق والاكتمال .

والتكامل التام أمر نظرى يتسابق الجميع فى الاقتراب منه أو الوصول إليه لأنه السبيل إلى السعادة التامة والراحة النفسية والنجاح فى الحياة .

ولكى نفهم جيداً معنى التكامل يصح أن نتصور حالة عدم وجود القدر الكافى منه فى أحد الأفراد . . فسنجد فى هذه الحالة أن شخصيته تكون ضعيفة ومفككة وأن عناصرها ومكوناتها تظهر غير متناسقة وغير منسجمة ، وأن استجاباته للمواقف تحدث فى صورة مضطربة متنافرة ، ويسود تلك الشخصية الانحلال والتدهور ، بحيث تعجز عن عمل التوافق اللازم بين الدوافع النفسية و بين مقتضيات الظروف المحيطة .

و يتضمن تكامل الشخصية وجود التوافق والانسجام والتعاون بين جميع مكوناتها بحيث نلمس آثار ذلك فى التكامل الجسمى ، والتكامل

العقلى ، وبحيث يظهر أثر ذلك أيضا فى التوافق بين المكونات الشعورية واللاشعورية . . وبين القوى النفسية النابعة من دوافع الفرد والقوى الفعالة فى مجال البيئة التى ينشأ فيها .

التكامل الجسمى :

ويمكن أن ندرك معنى التكامل بوضوح أكثر إذا تأملنا مظاهره فى النواحى التشريحية والفسيولوجية وخصوصاً ما يحدث بفعل الجهاز الغددى والجهاز العصبى .

فإذا تأملنا فى التنظيم التشريحى للجسم فسنجد أن هناك عدداً كبيراً من الخلايا . . وأن هذه الخلايا تتجمع وتنتظم فى مجموعات صغيرة لتتكون منها وحدات متعاونة فى تأدية وظيفتها بشكل يصعب فيه تمييز كل خلية منها . . وبحيث تكاد كل خلية أن تفقد فرديتها تماماً فى سبيل تحقيق الغرض الوظيفى العام المشترك بينها وبين غيرها من الخلايا . . ثم إن هذه الوحدات وتلك المجموعات الصغيرة تنتظم مع بعضها لتتكون منها وحدات أشمل وأعم تتعاون أيضا على تأدية الوظائف الجسمية والعقلية المعقدة بحيث ينتج ذلك السلوك الكلى الذى ترد به أعضاء الجسم على المؤثرات المختلفة . . وهكذا تستمر عملية الترابط والتعاون والانتظام والتكامل إلى أن نصل إلى تلك الوحدة الشاملة الكبيرة التى تمثل الجسم كله فى تصرفه إزاء عوامل البيئة .

وتبدو ظاهرة التكامل بوضوح أيضا فيما يحدث من التعاون والتآزر بين إفرازات الغدد الصماء حيث تعمل جميعها على الوصول إلى نوع من الاتزان فى التركيب الكيمائى الذى يميز الطابع المزاجى للفرد . . وحيث

تقوم بعض الغدد بالعمل على توازن أو تعويض إفرازات الغدد الأخرى وتعادل هورموناتها بما يحفظ حالة الاتزان الممكن بين هذه الإفرازات . ولذا نجد أن وظيفة الجهاز الغددى وحدة شاملة بحيث لو حدث اضطراب فى إحدى هذه الغدد اقتضى الأمر علاجا شاملا مبنيا على دراستها وتشخيص حالاتها كلها .

و يقول شرنجتون (Sherrington) عالم الفسيولوجيا الشهير أن من الممكن اعتبار وظائف الجهاز العصبى الرئيسية قائمة على معنى التكامل الذى يمكن أن نلمس فيه نوعا من التدرج الواضح . فالنخاع الشوكى مثلا يعتبر مركزا يقوم بوظيفة الترابط والتنظيم بين عمليات الإحساس و إدراك المثيرات والرد عليها فى صورة الأفعال المنعكسة التى تقوم بها الأعصاب المنتشرة فى أجزاء الجسم . بينما يعتبر المخيخ المركز المسئول عن وظيفة أكثر شمولا مما سبق . . فهو الذى يعمل على تنظيم وتكامل الإحساسات المتصلة بالحركة والاتزان بما يدخل فى ذلك من أفعال منعكسة أيضا . . . وأما المخ فهو المركز الرئيسى الذى يقوم بعملية التكامل فى دائرة أشمل وأوسع من ذلك إذ يقوم بتنظيم وتنسيق جميع الوظائف التى يقوم بها النخاع الشوكى والنخاع المستطيل والمخيخ و باقى أجزاء الجهاز العصبى كلها .

ومن ذلك يمكن الحكم على مبلغ اكتمال تكوين الجهاز العصبى ودرجة تطوره عند نوع معين من الحيوان بدرجة ما نلمسه فى سلوكه من آثار التكامل بمستوياته السابقة . . حيث نجد أن الإنسان مثلا أكثر تكاملا من القردة . . وأن القردة أكثر تكاملا من باقى الحيوانات .

تكامل النواحى العقلية :

يتضمن التكامل أيضا كيفية حدوث العمليات العقلية والوظائف النفسية والتطورات التى تحدث فيها منذ بدء حياة الفرد وتقدم حياته بتقدم مراحل النمو . فمن المعروف أن تصرفات الطفل فى أيام حياته الأولى تتكون من وحدات جزئية مفككة ومبعثرة وموزعة بغير انسجام . . ولكنها لا تلبث بعد مدة أن تترابط وتنسجم وتتحد مكوناتها وتتجمع فى وحدات متعاونة تجعل للسلوك اتجاهات معينة وأغراضا واضحة . فمثلا يقوم الطفل فى أيامه الأولى بتحريك يديه ورجليه من غير غرض واضح ويحدث أصواتا مختلفة لا ترتبط بحركات يديه أو رجليه من حيث أهدافها وأغراضها . . ولكنه بعد أن يكبر لا يلبث أن يربط بين إشاراته وحركاته وبين ما يحدثه من أصوات فى أحاديثه وكلامه وتعبيراته بحيث تتكامل أغراض هذه العمليات العقلية وتتعاون حواسه وأعضاء جسمه على تحقيق رغباته والاستجابة لمختلف المؤثرات .

ولا يقتصر أثر ظاهرة التكامل على الربط بين الإحساسات والردود الحركية والإدراكية . . وإنما يمتد ذلك أيضا إلى ما يحدث من تكوين الارتباطات بين أعمال الشخص وتصرفاته المتتابعة المتكررة التى تتطور بتأثير الانتظام والتكامل إلى تكوين عادات السلوك التى تمكن الفرد من تأدية الكثير من الأعمال بانتظام واقتصاد فى الوقت والمجهود .

وكذلك الحال فيما يكتسبه الشخص من ضروب الثقافة وأنواع المعلومات المعرفية فكلما كانت هذه المعلومات المكتسبة مترابطة ومتماسكة ومتحدة مع خبرات الشخص الماضية . . وكلما تفاعلت فى نفسه بحيث أصبحت جزءاً منها

كلما ساعدت على حسن الانتفاع بها فى تكوين الاتجاهات والميول الثقافية والمهارات التى يقوى بعضها البعض وتتعاون على حسن التكيف فى المواقف الجديدة . . وهذا هو الذى يميز الشخص المثقف ثقافة متكاملة عن الشخص المفكك المعلومات الذى يجد نفسه ينسى ما يعرفه ويعجز عن الاستفادة من خبراته الثقافية .

وتظهر أهمية التكامل بوضوح أكثر فى محيط حياتنا الانفعالية والوجدانية إذ أن النضج الانفعالى يتضمن تآلف الانفعالات وتجمعها حول مراكز مشتركة والانتظام حول موضوعات معينة أو أشخاص أو أفراد فتتكون منها العواطف التى تحدد السلوك وتنظمه وتساعد على حسن الانتفاع بالدوافع الانفعالية والطاقة الوجدانية . و باتحاد العواطف وانسجامها وتعاونها وانتظام اتجاهاتها تتكون الميول والاتجاهات الخلقية . . كما أن اتحاد الصفات الخلقية وانسجامها فى السير نحو تحقيق أغراض موحدة هو الذى يؤدى فى النهاية إلى تكامل الشخصية كلها .

ومن ذلك يتضح أن هناك سلسلة من التطورات التكاملية فى محيط المكونات العقلية الإدراكية والوجدانية والنزوعية . . وأن من الممكن أن نحكم على قوة الشخصية بدراسة المستويات التى وصلت إليها فى هذا التكامل .

تكامل المكونات الشعورية واللاشعورية :

لقد رأينا من دراسة اللاشعور والجهاز النفسى أن الكثير من الشقاء والاضطراب ينتج من عدم الانسجام والتوازن بين الرغبات الشعورية

والقوى اللاشعورية وما يحدث فى النفس من الصراع بين الهو أو النفس البدائية و بين النفس الذاتية أو الأنا . . . أو الذات العليا أو النفس اللوامة . أو بين إحدى هذه القوى و بين عوامل البيئة .

وكلما قوى الضمير وسادت كلمة الذات العليا ، كلما كان ذلك دليلا على قوة الشخصية حيث يكون من السهل على الشخص أن يفصل فى المواقف المختلفة بتحكيم عقله و إرادته فتنساب الطاقة النفسية فى الطريق المؤدى إلى السلوك السوى الذى يرضاه الفرد و يرضاه المجتمع . . . ومعنى ذلك أن تقل حدة العقد النفسية ، بحيث تنسجم المحتويات اللاشعورية مع الحياة الشعورية . . . ولا يتم هذا إلا بأن يحاول الفرد أن يفهم نفسه ، و يتأمل ماضيه بما فيه من عيوب وآلام وأخطاء . . ثم يحاول أن يعمل على تغيير أساليبه فى السلوك ، بما يساعد على تحقيقه لحياة أفضل . .

و يتضمن التكامل بين المكونات الشعورية واللاشعورية ، أن يحاول الشخص أن يتقبل نفسه على حقيقتها ، وأن يعمل على الرضا بهذه النفس ، والعمل على إسعادها . . . و بذلك يكون طبيعيا فى سلوكه بعيدا عن التكلف . . . إذ أن أعظم ما يسبب الشقاء والانحلال النفسى ، أن يحاول الشخص كبت مشاعره ، والظهور بمظاهر تخالف حقيقة نفسه ، إذ أن هذه المحاولة مصيرها إلى الفشل دائما . . . فضلا عما يلابسها من القلق والاضطراب .

التكامل العام والصحة النفسية :

التكامل العام يتضمن الانسجام والتآلف بين المكونات الجسمية والعقلية الشعورية واللاشعورية . و يتضمن أيضا التوافق التام بين الفرد والبيئة التى

ينشأ فيها . . إذ أن حدوث التنافر أو الاضطراب بين هذه المكونات ، هو الذى يؤدى إلى انحلال الشخصية وتفككها . . ويظهر أثر التكامل العام فى قيام الشخصية بوظائفها واستجاباتها بأسلوب متناسق بحيث تكون دوافع الشخص واستعداداته وقدراته العقلية متعاونة على خدمة أهدافه وأغراضه ، التى يكون قد كونها لنفسه ، بما يحقق له التكيف السليم مع البيئة .

ولا يتوافر التكامل بهذا المعنى إلا إذا ارتبطت خبرات الشخص الماضية بحياته الحاضرة ، وتفاعلت هذه وتلك مع آماله المستقبلة و إمكانياته ، بحيث تتعاون على مواجهة مطالب الحياة ، والاستجابة إليها استجابة متكاملة متزنة .

ويمكن أن نلخص مظاهر تكامل الشخصية الذى يؤدى إلى الصحة النفسية فيما يأتى : —

١ — النمو الكامل لجميع القدرات والاستعدادات والنزعات الفطرية والمكتسبة .

٢ — تمكن هذه النزعات والاستعدادات والقدرات من التعبير عن نفسها .

٣ — التوافق والانسجام وعدم وجود التصادم بين هذه النزعات ، فى أثناء تعبيرها عن نفسها .

٤ — عدم تعارض هذه النزعات مع مقتضيات البيئة المادية والاجتماعية .

٥ — الخلو من الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية .

٦ — الشعور بالقدرة على العمل والإنتاج والإحساس بالكفاية والسعادة .

هذا ويمكن أن نقارن بين الأشخاص من حيث تكامل شخصياتهم ، ومن حيث مدى ما لديهم من الصحة النفسية بما يأتى : —

(أولا) مستوى الإنتاج العقلى :

فلكل شخص طاقة محدودة وكفاية خاصة إذا قل الإنتاج عنها كان الشخص خاملا كسولا ضعيف الشخصية ، وإذا زاد الإنتاج عن حدوده ، فإن ذلك يكون على حساب أعصاب الشخص ، فيؤدى إلى الإرهاق والانهيار العصبى وهناك أشخاص تسوقهم أعصابهم المتعبة وقلقهم النفسى إلى مضاعفة مجهودهم بشكل مبالغ فيه ، فيحدث لهم الانهيار العصبى نتيجة ذلك الإرهاق .

(ثانيا) مستوى النضج الانفعالى :[1]

لا يوجد شخص محصن ضد المآسى أو الأمراض أو الحوادث . . . فمهما احتاط الشخص لنفسه ، فمن الجائز أن تتطور المشكلات الاقتصادية أو الاجتماعية المحيطة به لدرجة تعجز انفعالاته عن تحملها . . . وبالرغم من ذلك ، فكثير من الناس يستطيعون الاحتفاظ بمستوى حسن لصحتهم النفسية . . ويمكنهم تحمل الكثير من الضغوط الانفعالية القاسية . بينما يوجد بعض الأشخاص الآخرين الذين يعجزون عن مواجهة الاضطرابات الانفعالية البسيطة ، وتتدهور حالتهم النفسية لأقل الأمور .

والصحة النفسية لا تتوقف على الخلو من المشكلات . وإنما على القدرة على مواجهتها بثبات ، وإيجاد الحلول المناسبة لها فى صبر واتزان . ومن العوامل التى تساعد على الوصول لهذه الدرجة من النضج الانفعالى ما يأتى : —

١ — أن يدرب الشخص نفسه منذ طفولته على أن يُحِبَّ ويُحَبَّ . . أكثر من أن تكون علاقته بغيره مبنية على الكراهية . . وأن يتغلب على انفعالات الكراهية بتكوين علاقات مبنية على العطف والمودة لكل من يعيش معهم .

(١) أنظر كتاب « افهم نفسك » ترجمة المؤلف .

٢ — أن يشعر الشخص بالارتياح والرضا . . ويأتى ذلك من تعوده على إتقان أعماله والاعتماد على نفسه . وأن يحاول الابتكار والتجديد فى عمله ونشاطه الاجتماعى . . وأن يكون لنفسه أصدقاء يحتفظ بصداقاتهم ، بحيث تكون صداقتهم مبنية على تبادل العلاقات الودية والاستعداد للتضحية .

٣ — أن يشعر الشخص بالأمن والاطمئنان الانفعالى والتحرر من الإحساس بالذنب والخطيئة والخوف . . وهذا الشعور لا يأتى من تلقاء نفسه ، وإنما يأتى من حسن علاقات الشخص بغيره ، ومن شعوره بأنه مقبول ومعترف به ، وأنه فى موضع التقدير والحب ممن يحيطون به .

٤ — أن يكون للشخص أهداف يعمل على بلوغها ، بحيث تكون حياته سائرة فى اتجاهات واضحة ، ولا يكون كالسفينة الحائرة التى تنساق من غير دليل يقود اتجاهها .

(ثالثا) مدى التكيف الاجتماعى :

فالإنسان اجتماعى بطبعه ، وقد رأينا كيف تختلف الميول والأهواء وكيف تتباين الصفات النفسية والخلقية بين الأشخاص ، ولكن من دلائل الصحة النفسية قدرة الشخص على الانسجام فى الوسط الذى يتعامل معه وما تمليه قوى المجتمع من تقاليد وعادات ونظم دينية وسياسية وغيرها .

أما من يخرج على قومه وتتباين طباعه مع المألوف والسائد فى بيئته فإنه يعتبر شاذا ، فالشذوذ فى الناحية الاجتماعية يعتبر أمراً نسبيا كما قلنا بحيث أن ما هو شاذ فى وسط ما قد يكون عاديا فى وسط آخر .

ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع دائما يكون صوابا أو صالحا ، ولذا

فالتكييف الصحيح يتطلب أكثر من مجرد الاستسلام لما يجرى فى المجتمع بأن يحاول الشخص أن يساهم فى إعلائه وتقدمه ورقيه .

ويمكن أن نحكم على تصرفات الشخص الاجتماعية فى النواحى الآتية : —

١ — تكييف المرء نحو نفسه .

٢ — » » » عائلته وفى زواجه .

٣ — » » » من يحيطون به فى ميدان العمل .

٤ — » » » باقى أفراد المجتمع الذى يعيش فيه .

٥ — الاتجاهات العقلية نحو الإنسانية والمثل العليا

(رابعا) مدى التطور فى أساليب السلوك :

من الممكن أن نلمس الانتقال والتدرج فى طريق تكامل الشخصية بدراسة أساليب السلوك حيث تبدو مظاهر التكامل فيما يأتى : —

١ — أن يغلب على السلوك مراعاة شعور الغير وتقدير حقوقهم أكثر من النظرة الذاتية المشوبة بالأنانية .

٢ — أن يغلب على تصرفات الشخص مواجهة عالم الحقيقة والواقع بما فيه من مشكلات وصعوبات أكثر من الاستغراق فى عالم الخيال والهروب من الكفاح العملى .

٣ — أن يبنى الشخص اختياره ومفاضلته بين نواحى السلوك على أساس العقيدة والاقتناع التلقائى أكثر مما يترتب على ذلك من الثواب أو العقاب .

٤ — أن ينطاع الشخص لما يمليه عليه عقله وتفكيره أكثر من الانسياق وراء الانفعالات والدوافع العاطفية والتعصب .

٥ — أن يكون سلوك الشخص مبنياً على البحث والتأمل والوعى أكثر من الخضوع للعادات الآلية .

٦ — أن يغلب فى تصرفات الشخص المسالمة وحسن التفاهم والإقناع بدل السلوك المبنى على الاندفاع والتهور والعدوان .

٧ — أن يهدف السلوك إلى أغراض واضحة ومحددة بدل أن يكون متصفا بالتفكك وعدم الترابط والانسجام .

٨ — أن يكون الرائد للشخص فى سلوكه بوجه عام هو اتباع أسس الصحة النفسية لا مجرد مجاراة التقاليد والقيم الرجعية .

الشذوذ وانحلال الشخصية

رأينا أن هناك درجات متفاوتة فى تكامل الشخصية ، وأن التكامل هدف مثالى يحاول كل واحد أن يصل إليه ، وأن عدم تكامل الشخصية يؤدى إلى تفككها وتنافر عناصرها فيظهر أثر ذلك فى التصرفات الشاذة والانحرافات .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى معنى الشذوذ لكى نفهم المقصود بانحلال الشخصية .

المعنى الإحصائى للشذوذ :

إذا قصدنا بالشخص الشاذ من يكون فرداً « غير عادى » فسنجد أن هذا المعنى ينصب على جميع الحالات التى تنحرف عن متوسط العام أو تخرج عن المعتاد . . ومن المعروف فى الإحصاء أن توزيع أى صفة عقلية أو جسمية

بين الناس يتبع المنحنى الاعتيادى المتماثل ، الذى نجد فيه غالبية الناس فى الوسط ، ويتدرج التوزيع على الجانبين إلى نجد الحالات المتطرفة فى نهايتى المنحنى ، وهى الحالات التى تعتبر « غير عادية » . أى أن الشذوذ بهذا المعنى يشمل الطرفين ، وهما من يتميزون بدرجة عالية فى الصفة التى نريد المقارنة فيها وكذلك من يكونون متصفين بالضعف فى تلك الصفة . وبهذا المعنى يكون العبقرى المفرط فى الذكاء شاذا ، والعملاق المفرط فى طول القامة شاذاً . . . وكذلك ضعيف العقل الذى ينقص ذكاؤه عن المعتاد بدرجة كبيرة ، والقزم الذى يقل طول قامته عن المعتاد بدرجة كبيرة . . إذ يعتبر كل هؤلاء من الشواذ أيضا .

المعنى البيولوجى للشذوذ :

الشذوذ بمعناه البيولوجى ينصب على كل ما فيه نقص تكوينى أو ولادى فى أية ناحية جسمية أو عقلية . فالشخص الذى يولد مشوهاً فى خلقته ، أو الذى يكون فى بعض أجهزة جسمه عجز أو ضمور أو خلل يظهر بوضوح فى عدم تأديتها لوظيفتها الحيوية . . يعتبر شاذاً . وينطبق هذا على من يولدون فى حالة نقص تشريحى فى تكوين غددهم أو عظامهم أو حواسهم أو أى جزء من من جهازهم العصبى . . .

فالشخص الذى يخلق فاقد السمع أو الإبصار أو عاجزاً عن النطق يعتبر شاذاً ، والذى يولد وفى تكوينه عجز يسبب له العقم وعدم القدرة على التناسل وانجاب الأطفال يعتبر شاذا . . وهكذا .

المعنى الاجتماعى للشذوذ :

الشذوذ بمعناه الاجتماعى هو كل ما فيه غرابة عن المعتاد أو خروج عن المألوف فى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد . . فالشخص الذى لا يخضع لتعاليم الدين فى مجتمع إسلامى أو مسيحى يعتبر شاذاً . والمرأة التى لا تخضع لتقاليد الحجاب وعدم الاختلاط بالرجال والاكتفاء بالبقاء فى المنزل فى مجتمع يقيد حرية المرأة ويحرم عليها الظهور بين الرجال والاشتغال معهم خارج المنزل تعتبر شاذة بالنسبة لهذا المجتمع . . وواضح أن الشذوذ بهذا المعنى يعتبر أمراً نسبيا و يتوقف على المعايير والقيم الاجتماعية السائدة . ولذا نجد عادة أن ما يعتبر شاذا فى مجتمع معين قد يكون أمراً عاديا فى مجتمع آخر . . وما يراه الناس أمراً عادياً لا غرابة فيه فى مجتمع ما قد يبدو منكرا وشاذاً فى مجتمع آخر وذلك بحسب التكوين الاجتماعى والطابع الثقافى الذى نرجع إليه كأساس للحكم على الشذوذ .

المعنى السيكلوجى للشذوذ :

يعتبر الشذوذ فى علم النفس حالة خاصة من حالات الفروق الفردية — فعندما تصل هذه الفروق إلى درجة تجعل الشخص يسلك سلوكا غريبا يؤثر فى إنتاجه وتكيفه الاجتماعى بشكل واضح فإنه يعتبر شاذا .

ويفرق علم النفس بين الشذوذ فى النواحى الإيجابية وهى التى يكون الشخص فيها فوق العادى Super-Normal كحالات العباقرة . . . وبين الشذوذ فى النواحى السلبية ، وهى التى يكون الشخص فيها أقل من العادى Sub-Normal كحالات الضعف العقلى والمرض النفسى .

وسنقصر الشذوذ هنا على النـوع الأخير من الحالات ، وهى حالات الأفراد ممن يبدو فى سلوكهم وتصرفاتهم نوع من الغرابة ، والذين تتصف شخصياتهم بالانحلال والتفكك والبعد عن التكامل بدرجة كبيرة .

ولذا يقاس الشذوذ بالمعنى المقصود هنا بمبلغ ما أصاب مكونات الشخصية من الاضطراب الذى يؤدى إلى ضعف الصحة النفسية . فالشخص الشاذ هو الذى يظهر عنده نقص أو خلل واضح فى إحـدى مكونات الشخصية بحيث يظهر أثر ذلك فى تصرفاته ، كأن لا تتوازن عنـده قوى النفس الشعورية واللاشعورية مع مؤثرات البيئة المحيطة به فينساق فى أعمـاله بدون ضابط وبدون هدف .

وعند الحـكم على درجة الشذوذ أو التكامل عند أى شخص يصح أن يؤخذ فى الاعتبار عوامل كثيرة من أهمها عامل السن ومرحلة النمو التى يمر بها الفرد . إذ أن ما يعتبر أمرا عاديا فى مرحلة ما من مراحل النمو قد يعتبر شاذا فى مرحلة أخرى . فإذا وجدنا طفلا فى سن الثامنة مثلا يعتنى بزينته ويبالغ فى تجميل نفسه فإننا نعتبر هذا السلوك أمرا شاذا بالنسبة لسنه ، فى حين أننا نعتبر نفس هـذا التصرف أمرا عاديا بالنسبة لشاب فى دور المراهقة .

وإذن فالشذوذ أمر نسبى يتوقف على درجة ما وصل إليه الشخص من الاضطراب ، وعلى مدى تمشى تصرفاته مع المرحلة الزمنية التى يمر بها . . ويقاس كل هذا فى ضوء الظروف المحيطة بالفرد والمعايير التى نقيس عليها الشذوذ

وقد يظهر الشذوذ فى ناحية معينة من نواحى شخصية الفرد ، بينما يبدو الشخص عاديا فى نواحى شخصيته الأخرى ، غير أن أى اضطراب يصيب

ناحية ما من نواحى الشخصية يؤثر على باقى النواحى الأخرى مما يجعل الشذود شاملا للشخصية كلها .

ويمكن أن نقسم مظاهر الشذوذ فى الشخصية بحسب مكوناتها الرئيسية حيث نجد الأنواع الآتية من الشذوذ :

١ — الشذوذ فى النـواحى الجسمية كما يظهر فى الأمراض الجسمية ومشاكل ذوى العاهات .

٢ — الشذوذ فى النواحى العقلية المعرفية كما يظهر فى حالات الضعف العقلى بأنواعه .

٣ — الشذوذ فى النواحى المزاجيـة كما يظهر فى مشكلات الأطفال والأمراض النفسية .

٤ — الشذوذ فى النواحى الخلقية والاجتماعيـة كما يظهر فى التشرد والانحراف وارتـكاب الجرائم .

هذا ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن الشذوذ فى أى ناحية من نواحى الشخصية يؤثر على باقى النواحى الأخرى ، كما أن الشذوذ والانحراف لا يرجع لسبب واحد وإنما تـكون له غالبا جملة أسباب [١] .

---

(١) انظر كتاب عيادات العلاج النفسى للمؤلف .

الفصل الرابع عشر

طرق دراسة الشخصية[1]

يتوقف اختيار الطرق التى تتبع فى دراسة الشخصية على الغرض من هذه الدراسة ، وعما إذا كان المراد قياس نواح خاصة منها كالذكاء أو الطابع المزاجى ، أو تقدير الشخصية للحكم عليها بصفة عامة .

دراسة النواحى الجسمية :

وتشمل تتبع الصفات الموروثة ، وتعيين المميزات التشريحية ، وقياس أبعاد الجسم وشكله العام ، ثم الوقوف على التكوين الغددى والكيماوى والدموى ، ودراسة تقاسيم الوجه وتعبيراته . . وهكذا .

ويستعمل لذلك وسائل الكشف الطبى المختلفة لقياس ضربات القلب وضغط الدم ومعامل التنفس ، ثم قياس زمن الرجع (Reaction Time) ، والاتزان الحركى ، واستعمال جهاز قياس التغيرات الكيماوية المصاحبة للانفعال (Psychogalvanometer) وجهاز قياس التيارات العصبية للمخ (Electroen-cephelogram) وهكذا .

دراسة النواحى المعرفية :

وتشمل قياس الذكاء والمواهب الخاصة والثقافة العامة والقدرات التحصيلية . ويستعمل لذلك اختبارات مقننة (Standardised) .

---

(١) انظر كتاب الاختبارات والمقاييس العقلية للمؤلف .

ويمكن تقسيم اختبارات الذكاء إلى :

١ — اختبارات لفظية وتشمل :

(ا) اختبارات فردية مثل اختبار بينيه (Binet) .

(ب) اختبارات جمعية مثل اختبار الذكاء الثانوى .

٢ — اختبارات غير لفظية وتشمل .

(ا) اختبارات جمعية مثل اختبار الذكاء الحسى واختبار الذكاء المصور .

(ب) اختبارات فردية مثل اختبار متاهات بورتيوس واختبار الإزاحة لألكسندر .

أما اختبارات المواهب الخاصة فلكل نوع من هذه المواهب اختبارات خاصة بها ، كاختبارات القدرات الموسيقية واختبارات القدرات الميكانيكية واختبارات التصور البصرى . . وهكذا .

وأما أختبارات الثقافة العامة فهى اختبارات مقننة أيضا وأسئلتها تقيس لمعلومات العامة التى يمكن للشخص أن يمتصها من البيئة التى يعيش فيها .

وأما اختبارات القدرات التحصيلية فتشمل الاختبارات الموضوعية التى تحل محل الامتحانات العادية فى قياس التحصيل المدرسى فى نواحيه المختلفة ، و بعض هذه الاختبارات له قيمة تشخيصية (Diagnostic) لتعرف نواحى الضعف . وهذه إما فردية أو جمعية ، و بعضها لغرض التقدير والقياس .

وتشمل النواحى المعرفية أيضا قياس العمليات العقلية المعرفية بالاختبارات الخاصة بها مثل اختبارات التذكر بأنواعها ، واختبارات التصور ، واختبارات التخيل ، واختبارات التفكير ، واختبارات تقدير الجمال .

دراسة النواحى المزاجية والانفعالية[1] :

وتشمل قياس الانفعالية العامة والطابع المزاجى والصفات الانفعالية الخاصة ويتبع فى ذلك ما يأتى : —

١ — الحصول على تقديرات الغير للصفات المزاجية والانفعالية المراد قياسها ، أو الحصول على تقديرات الشخص لنفسه فى هذه الصفات ، وتعطى هذه التقديرات فى شكل يسهل معالجتها إحصائياً ، ويمكن أن تستعمل لذلك مقاييس التقديرات (Rating Scales) .

٢ — اختبارات التكميل (Completion Tests) التى يطلب إلى الشخص فيها أن يكمل النقص الموجود فيما يقدم إليه مثل اختبارات تكميل الصور ، واختبارات تكميل الجمل . . .

٣ — الاختبارات الإسقاطية (Projection tests) ويقصد منها أن يفرغ الشخص ما فى نفسه عن طريق التعبير الذى يعطيه الفرصة للتنفيس عما عنده من رغبات وما فيه من طباع مزاجية ومن أمثلة ذلك : —

(ا) اختبار تفهم الموضوع : (Thematic Apperception tests)

(ب) اختبار بقع الحبر لرور شاخ : (Rorschach Ink Blots)

(ج) اختبارات تفسير الصور الغامضة :

(Interpretation of Ambiguous pictures)

---

(١) أنظر كتاب الأختبارات والمقاييس العقلية للمؤلف .

٤ — اختبارات التداعى الطليق .

٥ — ملاحظة التعبيرات الثابتة فى الوجه التى تدل أحياناً على أنواع الانفعالات الغالبة فى الشخص .

دراسة النواحى الخلقية :

وتشمل معرفة عادات الشخص وصفاته الخلقية وميوله والنواحى التى يهتم بها ، ويتبع لذلك طرق الحصول على التقديرات فى هذه النواحى باستعمال الاختبارات والاستفتاءات (Questionnaires) والملاحظة (Observation) ، وغير ذلك .

ثم دراسة التقارير والوثائق التى تلقى الضوء على حياة الشخص فى الماضى أو الحاضر للوقوف على أساليب التصرف والتعامل الاجتماعى . . وغيره .

ويصح أن تكون هذه التقارير مما يكتبه الغير عن الشخص أو مما يكتبه الشخص عن نفسه كالمذكرات والمفكرات والخطابات وما يتبع ذلك من تحليل هذا الإنتاج العقلى ومحتوياته .

ويمكن الاستعانة أيضاً بوسائل دراسة التعبيرات الحركية ، كدراسة الصور الفوتوغرافية والكاريكاتورية للشخص فى أوضاع مختلفة حتى نتبين أسلوب الشخص فى المشى وحركات الإشارة وتعبيرات الوجه . . وهكذا .

ويتبع ذلك أيضاً دراسة ما خلفه الشخص من إنتاج أدبى من شعر أو نثر وما ألفه من كتب ، ومن إنتاج فنى فى النواحى التى يكون له ميل فيها .

دراسة البيئة :

وتشمل جمع البيانات عن ظروف البيئة التى نشأ بها الشخص من عادات سائدة وطقوس دينية ، وخرافات ، وعلوم وآداب ، وتراث ثقافى عام . كما تشمل التقارير الوافية عن الظروف المنزلية والمدرسية أو ظروف المصنع أو المجتمع العام مما يساعد على تقدير الشخصية .

الطرق العامة لدراسة الشخصية كلها :

هذا ويمكن أن نلخص طرق تقدير الشخصية كلها والحكم عليها فيما يأتى : —

١ — طرق الملاحظة (Observaion) سواء كانت ملاحظة الغير للشخص أو ملاحظة الشخص لنفسه ، وما يتبع ذلك من الحصول على التأمل الباطنى (Introspection) .

٢ — طريقة المقابلة أو الاختبار الشخصى (Interview) ويحسن أن يقوم بها شخصان واحد للاختبار والثانى لتدوين نتائج سير المناقشة والاختبار .

٣ — طرق التجريب وهى الملاحظة تحت ظروف صناعية بحيث يمكن تكرار الملاحظة فى نفس الظروف والحصول على نفس النتائج بالتقريب .

٤ — استعمال الاختبارات (Tests) بأنواعها المختلفة .

٥ — استعمال الاستفتاءات (Questionnaires) .

٦ — التحليل الإحصائى (Statistical Analysis) لنتائج التجارب والاختبارات والاستفتاءات وغيرها .

٧ — المواقف المقننة (Standardised Situations) وهى وضع الشخص المراد اختباره فى مواقف معينة لمعرفة أساليب تصرفه فيها سواء كانت هـذه المواقف تتصل بأعمال مهنية خاصة من نماذج الحياة الواقعية ، أو مواقف تمثيلية مصطنعة تشبه ما يراد للشخص القيام به من عمل على ضوء الاختبار . . .

٨ — الطرق التحليلية (Analytical Methods) وتشمل تحليل الأحلام وتحليل أحلام اليقظة ، وتحليل الـكتابة الأتوماتيكية وتحليل الإنتاج الفنى أو الأدبى للشخص ، كما تشمل تحليل تصرفات الشخص فى مواقف العمل أو اللعب . و ينطوى تحت هـذه الطرق أساليب التنويم المغناطيسى وطرق التحليل النفسى المختلفة .

٩ — طريقة بحث الحالات الفردية وهذه هى التى تتبع فى العيادات السيكلوجية حيث يتم دراسة الحالة من جميع النواحى السابقة ، وحيث يتعاون الطبيب والإخصائى النفسى والإخصائى الاجتماعى وغيرهم فى هذه الدراسة .

١٠ — السيكوجراف وهى طريقة توضيحية لتلخيص نتائج التقارير والقياس المختلفة ووضعها فى صورة بيانية تسهل إدراك صفات الشخصية البارزة ونواحى النقص أو القوة فيها .

مراجع

1. Allport, G. W. : Personality. Holt. 1937.
2. Anastasi, Anne & Foley J. P. : Differential Psychology, Mc. Millan. 1949.
3. Burt, C. L. : The Assessment of Personality : The Egyptian J. of Psy. Vol. 1. oct. 1946.
4. Burt, C. L. : The Structure of the Mind. B. J. Ed. Psy. Vol XIX. 1950.
5. Cattel, R. B. : Description & Measurement of Personlity Yonkers. 1946.
6. Cattell, R. B. : An Introduction to Personality Yonkers. 1950.
7. Cattell, R. B. : Personality. Yonkers. 1952.
8. Cruze W. W. : General Psy. for College Students Prentice Hall. 1951.
9. Dashiell J. E. : Fundamentals of General Psy. Houghton Miffin 1949.
10. Dennis Wayne : Readings in General Psy. Prentice Hall 1949.
11. Dollard J. & Miller N.E. : Personality & Psychotherapy. Mc. Graw Hill. 1950.
12. Eysenck, H. J. : Dimentions of Personality Kegan Paul. 1947.
13. Ferguson, L. W : Personality Measurement. Mc. Graw Hill. 1952.
14. Flugel. J. C. : Man, Morals & Society. Duckwork. 1945.
15. Hallowell, A. I. : Personality Structure & the Evolution of man. Amer. Anthrop. 1950.
16. Hunt, J. : Personality & the Behavior Disorders. Ronald N.Y. 1944.
17. Lewin, K. : A Dynamic Theory of Personality Me. Graw Hill. 1935.

18. Krech D. & Crutchfield R. S. : Theory & Problems of Social Psychology.Mc.GrawHill.1948.
19. Munn, Norman, L. : Psychology, Harrap 1946.
20. Murphy, Gardner : Person ality Harper N.Y.1947.
21. Murray H. A. : Explorationo in person ality Oxford Uni press. 1938
22. Newcomb T. M. : personality & Social Change Dryden N. Y. 1943.
23. Sheldon, W. H. & Stevens S. : The Varieties of Temperament. Harper. 1942.
24. Stagner, Ross : Psychology of personality Nc Graw Hill 195o.
25. Symonds p. M. : Diagnosing personality & Conduct 1931.
26. Thorpe, L. p. : Psychological Found ations of personality. 1645.
27. Tyrrell & N. M. : The personalty of Man. penguin 1946 .
28. Vernon p. E. : Persoaality Tests & Assessments 1953.
29. Watson, J.' H. : How to Graw a personality Uni. Chicago. press 1933.
30. Woodworth R. S. & Donald G. M. : Psychology. Holt, N. Y. 1947.

فهـــــرس

الفصل الأول

تعاريف الشخصية

الفصل الثانى

مكونات الشخصية

الفصل الثالث

النواحى الجسمية

الفصل الرابع

النواحى العقلية المعرفية

صفحة

الفصل الخامس

الذكاء

الفصل السادس

الاستعدادات المعرفية الطائفية

صفحة

الفصل السابع

القدرات المعرفية المكتسبة

الفصل الثامن

النواحى المزاجية

صفحة

الفصل التاسع

ديناميكية الشخصية

الفصل العاشر

النواحى الخلقيـــة

الفصل الحادى عشر

اللاشعور والجهاز النفسى

صفحة

الفصل الثانى عشر

أثر الوراثة والبيئة فى الشخصية

الفصل الثالث عشر

تكامل الشخصية وانحلالها

الفصل الرابع

طرق دراسة الشخصية

المؤلف

١ — « تحليل الشخصية »

وهو من سلسة كتب « فى علم النفس » التى تقوم بطبعها ونشرها « مكتبة مصر » — الطبعه الثانية مايو ١٩٥٤

ويبحث فى : تعاريف الشخصية ومكوناتها الجسمية والعقلية والشعورية واللاشعورية ، وديناميكية الشخصية ، وأثر الوراثة والبيئة فى الشخصية . وتكاملها وانحلالها . وطرق دراستها .

٢ — « عيادات العلاج النفسى » :

وهو من سلسلة كتب « فى علم النفس » التى تقوم بطبعها ونشرها « مكتبة مصر » — الطبعة الأولى . مارس ١٩٥٢

ويبحث فى : تكوين العيادات النفسية ومهمتها ونشأتها، والفريق الذى يعمل بها . ثم يعرض نماذج من المشكلات التى تبحثها العيادات كالضعف العقلى والتأخر الدراسى وذنوب الأحداث ، وكذلك دراسة الأمراض النفسية والعقلية من حيث أنواعها وأسبابها وعلاجها .

٣ — « الاختبارات والمقاييس العقلية » :

وهو من سلسلة كتب فى علم النفس التى تقوم بطبعها ونشرها « مكتبة مصر » الطبعة الأولى مارس ١٩٥٤

ويبحث فى الميادين التطبيقية للقياس العقلى — التطور التاريخى للاختبارات النفسية . تأليف الاختبارات . نماذج من اختبارات الذكاء والمواهب والقدرات . الاختبارات التحصيلية والمهنية . طرق الحكم على الشخصية — قياس الاتجاهات النفسية . الاختبارات الاسقاطيه واختبارات المواقف المقننة .

٤ — « افهم نفسك » :

وهو من سلسلة كتب علم النفس « للآباء والمدرسين » . التي تصدرها مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر وقد طبع في فبراير ١٩٥٤
والكتاب من تأليف وليم ميتنجر وترجمة المؤلف ، وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى . وفيه عرض مبسط لأحدث الأتجاهات في الصحة النفسية من حيث ضرورة معرفة الذات . وطريقة تحليل أعراض الأضطراب النفسى — والحاجة إلى علاج هذا الاضطراب — ووسائل الاحتفاظ بالصحة النفسية وأثر ذلك في معاملة الأطفال .

٥ — « اكتشاف ميول الأطفال »

وهو من سلسلة كتب علم النفس « للآباء والمدرسين » التي تصدرها مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر وقد طبع في عام ١٩٥٤ .
والكتاب من تأليف « كودر وبلانش » وترجمة المؤلف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى .
وفيه عرض الميول وكيفية قياسها والانتفاع بها في توجيه الطفل تعليميا ومهنيا — مع إرشادات للآباء والمدرسين عن كيفية غرس الميول وتعهدها بما يؤدى لتحسين حياة الأطفال .

٦ — « تحليل القدرات الرياضية »

وهى رسالة المؤلف للدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٥٠ وقد نشرت خلاصة وافية لها في مجلة علم النفس الإحصائى للجمعية البريطانية لعلم النفس